جامعة جالا الإسلامية ـ تايلاند
كلية اللغة العربية

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبوالخير
الخبير الدولي في اللغة العربية

دستور اللغة العربية

الحلقة الثالثة

١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

الناشر
دار الأصدقاء بالمنصورة

مُقَدِّمَة

هذه هي الحلقة الثالثة من دستور اللغة العربية ، وصلنا فيه إلى المادة الثلاثين ، والتي بدأت بالمادة العاشرة ، وشروحهن ، هذه الحلقة التي تميزت بأنها كتبت في حرم جامعة جالا الإسلامية ، في جنوب تايلاند ، في الفترة من نهاية سبتمبر ٢٠٠٩ إلى أول مارس ٢٠١٠م ، إضافة إلى كتاب : (وتمر الأيام في مملكة سيام) والذي كُتب في ذات المكان ، وذات الفترة ، وإن كان طُبع قبل هذه الحلقة الثالثة.

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبوالخير
الخبير بجامعة جالا
abu_elkher@yahoo.com

المادة العاشرة

{١٠}

اللغة العربية في طليعة اللغات المعبرة ـ بين لغات العالم من شرق وغرب ـ عن حياة أصحابها بسبب عمر اللغة العربية المديد والعشرة الطويلة جدا بين العربية ومتحدثيها.

كيف بالله عليك ؟ عزمت عليك وأقسمت أن تفسر لي ما تقول ، توضح وتشرح ، حبا للقارئ وكرامة نقول : العربية من بين لغات العالم أجمع تضرب بجذورها عبر التاريخ ، منذ عصر إبراهيم نبي الله الخليل (عليه السلام) قبل ٤ آلاف سنة على الأقل من الآن ، ثم نلتفت عبر الزمن قبل ذلك إلى نبي الله إدريس (عليه السلام) الذي جاء إلى مصر في بعض الروايات ، والذي عاش جزءا من عمره في عهد أبي البشر آدم (عليه السلام).

ومن ثم نجدنا على يقين ويقين من أن العربية من أقدم اللغات على وجه البسيطة ، إن لم تك ـ على الإطلاق على الإطلاق ـ أقدمها ؛ ولذا قال بعض الباحثين العرب بأن لغتنا هي أصل جميع لغات الدنيا ، وممن قال بهذا الباحثة الدكتورة تحية إسماعيل.

وبسبب هذه العشرة الطويلة المطولة جدا بين العرب ولغتهم كانت العربية في

طليعة لغات العالم التي عبرت عن حياة أصحابها.

انظر - أيها القارئ الكريم - إن أهم ثلاثة أشياء في [1] حياة العرب كانت :

- الجمل .
- التمر.
- الصحراء.

الجمل كان بالنسبة للعربي - بحق وبصدق - سفينة الصحراء ، لذا كان لهذا الحيوان عدة أسماء طبقا لنوعه وطبيعته واستخدامه وصفاته وخصائصه ، مثل : (الجمل - الناقة - القلوص - الجزور ... الخ).

بل أيضا طبقا لسنه ، كيف بالله عليك ؟

- بنت مخاض = ناقة عمرها أكثر من سنة واحدة.
- بنت لبـون = عمرها أكثر من ٣ سنوات.
- جذعـة = يزيد عمرها عن ٤ أعوام.

وفي العصر الحديث تقلص دور الجمل ، لكن الأسماء لا زالت تختلف من نوع لآخر، ومن سن لأخرى ، فالقعود في العامية المصرية المعاصرة هو الجمل الصغير، في مقابل الجمل في سنة الأكبر ، والناقة في مقابل الذكر ، حيث كان للجمل دور أكبر في الريف المصري إلى عهد قريب ، فمن الأغاني الشعبية في مصر والتي ترددت قبل أعوام في الخمسينات والستينات أغنية للجمل، أو على وجه التحديد حول (جمل حمدان) بكسر الحاء ، في العامية المصرية أيضا المثل : (هوّه شاي جملي) إذا طال صنع الشاي لأن الناس [2] من ولا تزال إلى الآن مناطق في دلتا مصر تفضل لحوم

(١) راجع : دستور اللغة العربية ، ص١١١ ، شرح المادة السادسة.
(٢) تعرف أن لحم الجمال لا تنضج قبل مدة طبخ وغلي طويلة بطيئة.

الجمال على غيرها ، مثل : البقر والغنم والجاموس ، بعض محلات الجزارة فيها لا تذبح ولا تبيع إلا الجمال ، كما في منطقة بلبيس في محافظة الشرقية ، وفي الزقازيق عاصمة المحافظة ، بل إن بعض الناس في هاتين المنطقتين - خاصة بلبيس - ربما لا يأكلون غير لحم الجمال ، وقد أكلتها مرة واحدة في حياتي ، ولا أظنها تختلف كثيرا عن لحوم البقر التي تعتبر الأكثر شيوعا وشعبية وانتشارا بين بني مصر.

وعندما تتطور حياة أهليها تطور العربية من آليات عملها لتعبر عن الحياة الجديدة ، تفي بها وبمتطلباتها ، كانت العربية - في السابق - تطلق كلمة (قطار) على عدد من الإبل يسير خلف بعضها ، وعندما جاءت السكك الحديدية في العصر الحديث أطلقت (قطار) على مجموعة من العربات يسير خلف بعضها ، تجرها قاطرة في الأمام ، فهذي العربات تشبه في سيرها وراء بعضها قطار الإبل.

وفي كلمة سيارة التي جاءت في سورة يوسف ، عندما أراد إخوته أن يقتلوه أو يطرحوه أرضا أخرى ينفونه إليها حتى يخلوا لهم وجه أبيهم يعقوب ، قال أحد إخوته المشفقين مقترحا اقتراف أخف الضررين : (لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) وبالفعل تم ما خططوه له : (وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ...) لقد مرت قافلة يقودها مالك بن زاعر ، وهو من نسل إبراهيم - أبي الأنبياء - وجد يوسف ، وجدوا هذا الغلام المسكين المتآمر عليه ، ثم اشتروه من إخوته فقط بثمانية عشر دينارا وزعوها على أنفسهم ، كل واحد أقل من دينارين ، باعوه ، كما قال القرآن : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) وذهبت به القافلة إلى مصر حيث اشتراه عزيزها بـ ٣٠٠٠ قطعة ذهبية.

إذن فالسيارة كما جاءت في الآيتين هم هؤلاء الذين كانوا يسيرون في قافلة مالك بن زاعر.

والآن عندما جاءت هذي الماكينة التي تسير على عجلات أعطيت لها كلمة (سيارة) كما وجدنا في كلمات أخرى مثل :

- مطار : مكان طيران الطيور ، والآن المكان الذي منه وإليه تهبط الطائرات ، ومنه تقلع.
- الطيار : الفرس الذي ينطلق بسرعة فائقة كأنه يطير طيرانا ، ثم أطلقت في العصر الحديث على من يقود الطائرة ، ثم أطلقت الآن على من يوصل الطلبات من المحال والمطاعم إلى الزبائن ، يمتطي ظهر دراجته النارية كأنه الفرس الطيار إلى حيث يريد منه صاحبه.
- الهاتف : كانت تعني من يكلمك ، ولا تراه ، أو من تتصور أنه يكلمك ، ولكن أطلق في العصر الحديث على التليفون ، يكلمك أحدهم ، لكن لا تراه ، ولا يراك ، وعندما وصل الأمر إلى أن ترى صورة من يكلمك سمي بالهاتف المرئي ، أو التليفون المرئي.

لكن من المهم أن يذكر ويقال إن تعبير كل لغة عن أهليها هو سمة عامة في لغات البشر ، فقد ذكرنا ـ قبلا ـ أن لغة الإسكيمو بها ٣٦ اسما مختلفا للثلج ، وفي لغة غينيا الجديدة نحو ٥٠ كلمة لشجرة [١] جوز الهند [٢] ، ولكن اللغة العربية في هذا المجال تفوق وتبز أقرانها من شتى اللغات .

بقي أن نقول شيئا عن التمر والتمور ، وابنة العمة (النخلة) فنشير إلى أن هذه الثمرة مهمة جدا للعرب في زادهم وتزودهم ، أسماؤها من : (البلح [٣] ـ

---

(١) السابق.
(٢) من الطريف أن شجرة جوز مرتفعة إلى أكثر من ١٠ أمتار أحيانا ، ومن ثم يستعين الإنسان بقرد معلم حتى يلقي بثمارها على الأرض !!
(٣) ثمر النخل مادام أخضر ، واحدته بلحة ، ولكن العامة في مصر يستخدمون كلمة (البلح) لمختلف الأنواع ، وفي كل الأحوال ، هي في مصرنا كلمة عامة على كل ثمر النخل وطلعه.

التمر[١] ـ الرطب[٢] ـ البسر[٣] ـ الحشف [٤] ـ الدقل [٥]... الخ) حسب حالتها ووضعها.

وفي اللهجة المصرية الآن عديد من الأسماء لهذي الثمرة : (البلح) تيك الكلمة تطلق على كل الأنواع ، بشكل عام ، ثم البلح الأحمر ، عندما ينضح ويتلون باللون الأحمر ، الأسود للرطب و (الرامخ [٦]) للبلح الأخضر قبل نضجه ، عندما يكون طريا وتحاول الأطفال أن تأكله ، البلح الناشف ، نوع من البلح خاصة الأصفر بعد أن يصير رطبا يجفف في الشمس أولا ، ثم يحمص في الفرن ليخزن ويحفظ حتى يؤكل في أوقات لاحقة ، و (الفص) البلح الصغير إلى جانب أقرانه بشكل واضح.

(الفديغ [٧]) يجفف الرطب الجيد في الشمس ، ثم يفدغ ، تخرج منه النواة ، وتزال عنه القشرة الخارجية تمهيدا لإدخاله إلى المفارم لصنع العجوة.

وفي مصر ، في مسقط رأسي بمحافظة الشرقية تعرف عديد من أنواع النخيل، العجلاني ، البلحة صفراء رفيعة ، لكنها قلما تؤكل إلا أن تصير رطبا ، وهي التي تجفف في الشمس ، ثم الفرن ليأكلها الناس بعد ذلك.

---

(١) التمر واحدته تمرة ـ بالتاء ـ الرطب إذا يُبِّس للتخزين والحفظ ، أو التصدير ، كالتمر الذي نستورده في مصر في رمضان وعيد الفطر بعده ، وبعض الناس في مصر وغيرها يطلق هذي الكلمة على كل الأنواع ، أو كل ما تثمره النخلة.

(٢) الرُّطب : اللين الناعم ، خلاف اليابس ، إذا اسود بعد أن كان أحمر ، أو كان بلون آخر.

(٣) البسر : قبل أن يُرْطب ، أي وصل قمة نضجه ، بعدها يصل إلى مرحلة الرُّطب.

(٤) أردأ الأنواع ، الذي يجفف قبل نضجه ، فلا يكون له نوى ولا حلاوة ولا لحاء ولا لحم ، ويقال (أحشفا وسوء كيل) لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

(٥) وهو أيضا أردأ الأنواع.

(٦) هي من أصل فصيح ، هو (الرّمَخ) بتشديد الراء ، وفتح الميم ، أي البسر ، و (أرمخ) النخل ، أثمر : (الرّمخ) وأرمخ فلان لانَ وذل ، وأرمخت الدابة أخذت في السن وضعفت.

(٧) وفي الفصحى : فدغ الشيء فدْغا كسره ، وأكثر ما يكون في المجوف والرطب ، انفدغ الشيء لا عن يَبَس.

وأنواع عديدة أخرى ، منها : عَمْري [1] - بنت عيش [2] - كبوشي [3] - عجلاني - سكري ... الخ ، كل نوع له اسم خاص به حسب حالته ، وكل نخلة لها اسم يخصها لا تشركها أخرى فيه ، وهكذا.

أما عن الصحراء والمناطق الصحراوية ، فلا نضيف شيا - شيئا - إلى ما قلناه قبلا في المادة السادسة [4].

والآن نهرول سراعا سراعا إلى العلامة العقاد - رحمه الله - الذي يشير [5] إلى أن :

١ - الفصاحة العربية بلغت بجهاز النطق الإنساني غاية ما بلغ الإنسان المعبر عن ذات نفسه بالكلمات وأصوات اللغة.

٢ - إذا كان الشاعر البليغ - وكذا الأديب والكاتب - إذا كان كل هؤلاء يعرفون مما يقولون ويكتبون ، وإن لم يقصدوا ويتعمدوا ، بل ربما ما تحدثوا عن أنفسهم قط من قريب أو من بعيد ، إذا كان الأمر كذلك فإن اللغة علي عمومها أولى بهذا الأمر ، إنها قوام التعبير الحي النابض الناطق لأهليها ومتكلميها ، فإن لم يظهر

---

(١) كلمة فصيحة ١٠٠% إذ هي منسوبة إلى (العَمْر) جاء في المعجم الوسيط : (العمر : التمر الجيد) واحدته عمرة ، وبالفعل هو من أجود الأنواع في مسقط رأسي ، أو هو أجود من غيره ، وهو نوع من تخصيص الدلالة من جيد التمر إلى نوع ما.

(٢) (بنت عيش) ويعرف لهجتنا بالألف واللام ، ويحلى ، فيقال (البنت عيش) تعبير فصيح فصيح ، مركب إضافي ، البلحة صغيرة حمراء ، حين ترطب تكون جيدة المذاق طيبة ، هذا النوع يسمى في منطقة دمياط الجديدة بالبلح العربي ، حيث يصل عدده إلى ملايين النخيل ، يثمر بمجرد ابتعاده وخروجه عن الأرض معظم هذا النخل قصيرة ، قطوفها دانية ، دانية : الواقف - وربما الجالس - بيده يتناول ما شاء من تمر وثمر ، على عكس نخيل مسقط رأسي الذي لا يثمر إلا إذا كان طويلا جدا. ويعرف البلح البلدي الجيد الرطب الطازج بلمعان لونه ، عكس البلح أو الرطب المكمور أو المرطب عن طريق الخل ... الخ.

(٣) كلمة (كبوشي) هي فصيحة أيضا ، إذ منسوبة (كبوش) وهي جمع (كبش) إلا أن الكاف تنطق ساكنة في لهجتنا ، ولعل هذا الاسم يناسبها إذا أنها كبيرة الحجم ، برتقالية اللون ، لعلها تشبه الكبش في كبر حجمه ولونه ، مقارنة بـ (بنت عيش) التي لها من اسمها نصيب في صغير حجمها ، فهي (بنت) ثم هي لأهميتها وطيب مذاقها يضاف العيش إليها ، وبه ترتبط.

(٤) راجع ٤٢ وبعدها.

(٥) راجع ص١١٣.

منها أحوالهم وحقيقتهم ، فما هي بالأداة الوافية.

٣- عندما تضع معجم تيك - تلك - اللغة المعبرة بين يديك فكأنك وضعت قدّام ناظريك قواعد تاريخها ، ومعالم بيئتها ، ولم يعد لكتب الجغرافية والتاريخ إلا تفصيلات الأسماء والأيام.

ولا يعرف علماء اللغات وفرسانها لغة قوم تتراءى لنا وتظهر صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار مجتمع العرب من مادة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع والمجاز كليهما.

٤- المجتمع العربي في قوامه الأصيل كان مجتمع رحلة ومرعى ، فالكلمات التي تدل على الجماعة في لسان العرب قلما تخلو من الإشارات إلى الرحلة والرعي ، فالأمة هي الجماعة التي تؤم مكانا واحدا ، أو تأتم بقيادة واحدة.

والشعب هو الجماعة التي تتخذ شعبة واحدة من الطريق ، أو شعبا واحدا ، والطائفة هي الجامعة التي تطوف معا ، والقبيلة هي الجماعة التي تسير إلى قبلة مشتركة ، والفئة هي الجماعة التي تفيء إلى ظل واحد ، والبيئة هي الموطن الذي يبوء إليه أصحابه.

٥- وفي المجاز نجد المذهب للطريقة الفكرية ، كما نقول : المنهج والمشرب والمورد ، والسيرة بمعنى الترجمة ، وهي من سار يسير ، والقصة على الحكاية وهي من قص الأثر.

النظر إلى ألفاظ اللغة من هذه الناحية متمم مكمل لكل دراسة من دراساتها ، سواء منها ما يتعلق بالتاريخ أم للتحقق من أصالة الكلمة ، أو لتقرير القواعد البلاغية ، ولا ننسى أن هذي الكلمة الأخيرة من البلوغ إلى المكان ، أو التبليغ.

٦ـ فإذا غم علينا أمر كلمة ، ولم نعرف الخيط الأبيض من الخيط الأسود من شانها ، هل هي من ألفاظ العرب الأصيلة أم من الدخيل عليها ، نفيء إلى هذا الميزان ، نقيس به دلالة الكلمة ، ونردها إلى حياة العرب ، وإلى المألوف المعهود من تعبيرها عن معالم هاتيك الحياة ، فلا يطول بنا عناء البحث عند الرجوع بالكلمة إلى أصل معقول نطمين ـ بالياء ـ إليه.

ولكن أين المثال الذي به يتضح ويظهر المقال :

- يدعي سين من خلق الله أن كلمة (القلم) مأخوذة من (كلموس) اليونانية ، دون أن يفيء إلى مراجع التاريخ المحقق المدقق ، بل أحيانا يُغطون على هذا التحقيق بما تيسر من الظنون والشبهات ، مجرد تشابه في نطق الكلمتين فقط ، دون أن ندري أي اللفظين سبق في استخدام الكلمة ، وأيهما اقترض.

هذه الكلمة يمكن أن ترد إلى القلامة والتقليم في أصيل لغتنا العربية ، وبهذا المعنى ، نتقصى مادتها كلها فيتأكد لدينا أنها لا تنقل بجملتها إلا من اللغة العربية.

- مثال آخر ، يشفي ويكفي ، إذا قيل إن كلمة (القانون) دخيلة على اللغة العربية ، فلنا بكل ثقة واطمينان ـ اطمئنان ـ هذي بضاعتنا ردت إلينا ، كيف بالله عليك ؟ أجيبك يا طويل العمر وموفور الهيبة والكرامة بما هو آت :

لفظة (القانون) اليونانية ليست إلا كلمة (القناة) العربية ، ولكن بصيغة التصغير عندهم ، لأن الغالب في لغيتهم ـ لغتهم ـ على معنى القانون أنه مستعار مقترض من (القصبة) توضح بها الحدود ، ترسم وتحدد ، وبها تقاس المواقع ، ففي اللغات الغربية ruler تدل على المسطرة التي ترسم الخطوط والحدود ، وتطلق أيضا على الحاكم الذي يقيم الأحكام ، ونحن كنا إلى عهد قريب في مصر نستخدم

هذه القصبة ـ كما رأيناه في بعض الأفلام القديمة ـ للقياس والفصل بين الحدود المشتركة.

مجمع [1] اللغة العربية في قاهرة المعز يعرفها بما هو آت :

القصبة : مقياس من القصب طوله ـ في مصرنا ـ ٣,٥٥ من الأمتار ، تمسح به الأرض ، تطلق على القصر ، وعلى جوف الحصن ، وعلى عاصمة الحكم ، وحاضرة البلد ، أو مدينتها ، التي تحوطها القرى والأرياف.

وربما يشكك أحد في أن اليونانية أخذت الكلمة من لغتنا ، ولكن الثابت في يقيننا الذي به نجزم ونوكد أن (القانون) كلمة عربية أصيلة ، لم تؤخذ من اليونانية بل أخذت من الكلمة العربية (القناة) لأن (الأقنية [2]) من النخل ومن عيدان الشجر ومن مسايل الماء ومن أسنة الرماح أصول عريقة في حياة ، لا تستعار ولا تفترض.

يقول العقاد [3] : أنفع ما تنفعنا به تلكم المقارنة حين تتشابه الألفاظ أو تتقارب المخارج بين لغتين أو أكثر ، فنعرف أيها السابق إلى اللفظ ، وأيها المقترض عن طريق المقارنة بين اللفظ أو التعبير وبين أحوال معيشة الأول.

ومن الجائز أن يمتد القياس إلى أغراض أخرى في المقارنة بين الألفاظ واللغات تحريا لأصولها ، أو العلاقة بين معانيها وبين معيشة أهاليها ، وهذي ضرورة ـ لا محيد عنها ـ في اللغات التعبيرية ، ولغتنا العربية في مقدمتها.

إنه بحث يجمع بين التاريخ والبيان والدراسات النفسية والاجتماعية ، وليس في العربية كلمة يطول الخلاف حولها إذا احتكمنا إلى أصولها وكثرة دورانها

(١) المعجم الوسيط ٧٦٦/٢.
(٢) جمع قناة.
(٣) اللغة الشاعرة ، ص٤٧ وما قبلها.

ومشتقاتها ودواعيها في حياة ناطقيها.

ومن طريف ما يمكن أن يحكى أو يقال أنني قرأت عن مادة (ب ن ك) في صميم العربية، جاء في الوسيط : (بنك = الخدم) بتشديد النون ، (تحدثوا بأسرار البيوت ، تبنك بالمكان أقام وتمكن ، ويقال : تبنك في عزه ، تمكن) لماذا لا تكون كلمة (بنك) بمعنى المصرف من ذات المادة ، فهذه الكلمة موجودة في العامية بمعنى المكان المرتفع الذي يعمل عليه الحرفي كالنجار والترزي (الخياط) حيث يختلف كثيرا عن أية منضدة أخرى في شيء مهم هو ثباته وتمكنه في المكان ، حيث لا ينقل منه البتة ، بل يبقى كما هو ، دون تحريكه إلى مكان آخر ، وهو بهذا يختلف عن المناضد خاصة الصغيرة والخفيفة التي يمكن أن تنقل بسهولة ويسر إلى أي مكان آخر ، وتحرك.

نحن لا نقول أن العربية لم تقترض من الألفاظ شيا ـ شيئا ـ هذا غير واحد ، وغير مصدق ، ولكن علينا الاحتياط والتحوط كثيرا قبل أن نقول : إن هذي الكلمة من الدخيل المقترض ، سيما إذا وجدنا أخوات ومشتقات ، كما في مثل (بنك ـ تبنك) بتشديد النون.

على أي الأحوال نترك قضية الدخيل والمقترض إلى حيث نقرر في البداية وفي النهاية أنه إذا كان على كل لغة أن تعبر عن حياة أهليها فإن العربية في طليعة هذي اللغات، بحيث إن غم علينا أمر كلمة ، هل هي من الأصل أو من الأجنبي الدخيل احتكمنا إلى وجود أخوات ومشتقات لها ، وإلى حياة العرب والمعهود المألوف من تعبيرها عن معالم هاتيك الحياة ، كما سبق.

والآن إلى المادة التالية من دستور اللغة العربية سراعا سراعا ، هرولة وحدرا ، وإليها نطير طيرانا.

المادة الحادية عشرة
{١١}

العروبة هي عروبة لغة ولسان
ليست عروبة دم وأعراق وألوان

من هو العربي ، ومن ننسب إليه العربية ، بها يوصف ويوسم ؟ قبيل النور المحمدي الهادي ، تعارف العرب فيما بينهم على أن العربي هو من اكتملت له ثلاث صفات تامات غير ناقصات :

- من تكلم بالعربية.
- من كان من أبناء العرب دما ولحما ونسبا.
- من عاش في جزيرة العرب.

هذا كان في العصر الجاهلي قبل انبثاق نور الإسلام ، في مشرق القرن السابع الميلادي ، وبالتحديد [1] عام ٦١٠م تغير الأمر ، فأصبحت هذي الثلاث واحدة فقط ، هي الأولى منهن ، أي الكلام بالعربية فقط ، ففي الحديث :

- وإن العربية ليست لأحدكم بأب ، ولا أم ، إنما هي لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي.
- عن أبي هريرة يرفعه : من تكلم بالعربية ، فهو عربي.

(١) ولد محمد ـ سيد الخلق من عرب ومن عجم ـ عام الفيل ، في اليوم العشرين من شهر أبريل عام ٥٧٠م أو ٢٠/٤/٥٧٠م ، وتوفي ١٢ ربيع الأول ١١هـ.

وهنا يجدر التنويه والإشارة إلى أمرين مهمين ، اثنين ، هما :

١- إن المقصود بالعربية ليست الفصحى كما يمكن أن يتصوره الباده أو بـه يبده ، لكن المقصود بالعروبة والعربية الفصحى واللهجات معا ، فكل متكلم بأية لهجة من لهجات الخطاب الدوارج والدارجات في عالمنا العربي ، وفي دنيا بني يعرب هو متكلم باللغة العربية.

إن هذي اللهجات الدراجات ليست نقيضات للفصحى ، أو هن لها ضرائر وعدوات - أعداء - لكن بوتقة العربية تتسع للفصحى ودارجاتها.

صحيح أننا نرى الفصحى الأرقى والأدق والمفضلة لدينا ، وهي التي يركن إليها المرء في رسمي الحديث وعندما يرنو إلى حديثه ، ولكن للدراجات دورها ومكانتها ، بل والإبداع بها ، وفي سوحها.

٢- كل من تعلم لغتنا من غير العرب ، وأجادها وتمرس وبها ، وركن إليها فهو عربي مثلنا (من تكلم بالعربية فهو عربي).

صحيح أنه ربما لا يجد في بيئته اللغوية من يمارس معه العربية ، كما في بيئة عربية خالصة ، إلا أنه يدخل في وصف العروبة أيضا ، بنص حديث سيد الأولين والآخرين : (فمن تكلم بالعربية فهو عربي).

وقد عشت مع المسلمين في بلاد كثيرة منها تايلاند خاصة في الجنوب ، كثيرون يتكلمون العربية ، أو يتوقون للكلام بها.

وفي مؤتمر قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية - ديسمبر ٢٠٠٧ - أذكر أن أحد الفضلاء من غير العرب قام منافحا مجاحشا عن دور هؤلاء القوم من غير بني يعرب في خدمة العربية قائلا : أنتم - أيها العرب - تقولون : بأننا عجم ،

ولكنا خدمنا العربية أكثر منكم.

وهنا رأيت أن لا يتحول الحفل المبهج الكريم إلى منافرة ومفاخرة - بين العرب وبين محبي العربية ومتعلميها من إخواننا - فألهمني الله أن أرد عليه : سيدي : أنتم لستم أعاجم ، بل أنتم عرب بنص حديث سيدك ، محمد (ﷺ) الذي فيه يقول : إن العربية ليست لأحدكم بأب ، ولا أم ، إنما هي لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي.

وتابعت كلامي: إن العربية وخدمتها ليست مسئولية العرب فقط ، بل مسئوليتنا جميعا ، وفي البدء والنهاية أقول : كل من تكلم لغتنا ، أحب لغتنا ، تعلمها وخدمها ، فهو عربي عربي مثلنا.

وقد نال هذا استحسان الحضور ، وكان أغلبهم من المسلمين المتخصصين في العربية والمتضلعين فيها ، وكان عدد آخر من العالم العربي أو من مصر ، يعملون في ماليزيا ، أو جاءوا إلى المؤتمر من خارج بلاد الماليز.

وإذا فتحنا المصحف وجدنا القرآن الكريم يذكر العروبة على أنها عروبة لغة ولسان ، ليس إلا ، وهي وصف لهذا الكتاب الكريم إما صراحة ، أو ضمنا مفهوما ، فمن الأول الصريح الصراح ، أي : (... قُرْآناً عَرَبِيّاً) جاءت ست مرات في القرآن ، بنفس النص ، وبنفس الشكل.

ثم : (لسان عربي - بلسان عربي - لسانا عربيا) والمقصود هنا والمذكور هنا أيضا وصف القرآن صراحة بأنه جاء بلسان عربي ، هو لسان عربي ، ولا يزال لسانا عربيا.

بقي موضعان (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً) والمراد أيضا ، وأيضا هو إنزال القرآن الكريم ، آخر المواضع : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ) أي القرآن (أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ

آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ [1] وَعَرَبِيٌّ) الراجح عندي أن العروبة في الآية منسوبة إلى النبي الأكرم ، بمعنى أن القرآن لو نزل أعجميا غير عربي لقال الكفار : عجبا !! هل هذا معقول أن يكون القرآن أعجميا ، لينزل على رسول عربي ، وهناك تفسير آخر أن (...وَعَرَبِيٌّ) معناه وقرآن عربي ، وهذا أرجح من التفسير الأول.

على أي الأحوال فإن كلمة (عربي) على اختلاف إعراباتها ما بين نصب ورفع وجر جاءت ١١ مرة في القرآن ، على اختلاف الروايات في تفسير موضع واحد ، كما [2] سلف.

الكلمة في الكتاب الكريم منكرة غير معرفة ، مفردة ، غير مثناة - ألبتة - ولا مجموعة مطلقا ، أي (عربيا - عربيين) أو (عرب) ولا أدري ، ما السبب وما الحكمة.

لكن ما يمكن أن يذكر - هنا - أو يقال : بما أن العروبة جاءت وصفا للقرآن - وهو كتاب واحد وحيد - متفرد وفريد ، فقد جاء وصفه أيضا مفردا فقط ، غير مجموع ولا مثنى.

ولو جاءت الكلمة مجموعة ، أي (عرب) لدل هذا على جنس من الناس ، هم قوم العرب ، هؤلاء القوم الذين وصفوا - من ناحية أخرى - بالأميين ، جاء هذا في ٣ مواضع :

- هو الذي بعث في الأميين [3] رسولا منهم.
- وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ [4] أَأَسْلَمْتُمْ ؟ ...

---

(١) ٤٤ فصلت.
(٢) راجع كتابنا : من ألفاظ اللغة في القرآن الكريم ، ص٧٦ وبعدها.
(٣) ٢ الجمعة .
(٤) ٢٠ آل عمران.

- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [1].

وقد فسر هذا ، أو قل : فسرت هذه الأمية بقول محمد : (نحن أمة أمية ، لا نكتب ، ولا نحسب) كما جاء في تفسير [2] ابن كثير.

بل إن سيد العرب والعجم وصف مرتين في الكتاب بأنه النبي الأمي : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ - فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ) وقد جاء الموضعان كلاهما في سورة الأعراف ، وفي آيتين متتاليتين ١٥٧ ، ١٥٨.

كما يلاحظ أن ترتيب الصفات قد جاء بهذي الطريقة ، الرسول أو رسوله ، ثم النبي ، ثم الأمي ، فهل لهذا الترتيب من حكمة ، ولماذا تأتي الأمية بعد صفة النبوة ، وليس الرسالة.

ونترك هذا السؤال العويص إلى تساؤلين آخر ، هما : لماذا كان النبي أميا ، ولماذا نزل في قوم أميين ؟ القرآن الكريم يوضح إجابة التساؤل الأول في سورة العنكبوت [3] : (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ).

هذا خطاب من رب العزة إلى النبي الأمي : (لقد لبثت في قومك يا محمد - من قبل أن تأتي بهذا القرآن - دهرا وعمرا ، لا تقرأ كتابا ، ولا تحسن الكتابة ، كل واحد من قومك ومن غيرهم يعرف أنك رجل أمي ، لا تقرأ ولا تكتب ، وهكذا رسول الله (ﷺ) لا يحسن الكتابة ، ولا يخط سطرا ، ولا حرفا بيده الشريفة ، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الملوك والكبراء وكل ما يحتاج إليه.

---

(١) ٧٥ آل عمران.
(٢) ١ / ٣٥٤.
(٣) ٤٨ .

ولو كان (ﷺ) يحسن الكتابة لارتاب بعض الجهلة من الناس ، فيقول : إنما تعلم هذا من كتب كانت قبله مأثورة عن الأنبياء ، بل هم قالوها فعلا مع علمهم ويقينهم بأنه أمي ، لا يحسن الكتابة (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً [1]).

بل هم قالوا ما هو أكثر تهافتا وضعة وتناقضا من هذا ، حيث وصفوا سيد الخلق بوصفين متناقضين تماما ، لا يجتمعان البتة ، في أي إنسان منذ آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة ، لقد وسموه بأنه (مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ [2]) كيف يتعلم المجنون يا أصحاب العقول والأفهام والأحلام ، ألا يحتاج التعلم إلى كمال العقل وتمامه ؟ ليس العقل وحده يكفي ، صدق الكريم حين قال : (فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ [3]) صدق الله العلي العظيم.

وهنا ننتقل إلى إجابة التساؤل الثاني ، لماذا بعث النبي إلى قوم أميين في البداية ، لأنه لو بعث في أمة تقرأ وتكتب وتحسب ، وتعرف الكتب وتسطيرها لكان هذا الكتاب الذي جاء به محمد مجرد كتاب من تيك ـ تلك ـ الكتب التي تنتجها تيكم الأمة، ولو كان النبي نفسه غير أمي يحسن الكتاب [4] ، والحساب ، ويجيد القراءة في كتب السالفين والخالفين ، والأولين والمعاصرين لكان لبعض هؤلاء المبطلين شبهة في أنه ربما تأثر بما يقرأ من هاتيك الكتب والسطور ، لكنه كان نبيا أميا ، من أمة لا تقرأ ولا تكتب اكتمالا للمعجزة وبلاغة الحجة على العباد والخلائق.

هذي الأمية لم تك ـ في ذياك الزمان ـ عيبا في العرب ، ولا قدحا ، إنما منقبة

(١) ٥ الفرقان .
(٢) ١٤ الدخان.
(٣) ٣٣ الأنعام.
(٤) الكتابة.

ومدح ، إن هذي الأمية عصمتهم من تلك الخرافات والأساطير والأباطيل التي حشيت بها الكتب السابقة ، وثقافة الأمم الخالية ، كان العرب كالصفحة البيضاء ، يخط فيها الكاتب ما يشاء دون رهق أو تعب أو شيء من العناء ،ولو كان قد ترسخ في أذهانهم بعض هذي الأباطيل ـ كما كان عند أهل الكتابة والقراءة من اليهود والنصارى ـ لما استقاموا لهذه الدعوة بهذا الشكل ، وفي تلك المدة الوجيزة ، ولبقوا على عتوا واستكبار ، كما فعل كثير من أهل الكتاب والكتابة ، كانوا يقرءون ، ويكتبون ، لكن بعضهم لم يفيدوا شيئا من ذياك الهدي ، بل كانوا (كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً [1]).

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إن أمية العرب كانت أهم الأسباب التي رجحت ورشحت أن يكون منهم النبي الخاتم ، ففي قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ [2]) دلالة على أن رب العزة قد اختار من العرب ـ بشكل خاص ـ نبيه الخاتم لأنهم كانوا قوما أميين ، على فطرتهم ، لم يلوثوا بكتاب قرءوه ، أو اطلعوا عليه هنا أو هناك.

وكثيرا ما نرى في زماننا هذا أن الإنسان البسيط والبدائي الذي لم يتأثر برأي ولا كتاب ، أقرب إلى الاقتناع بدين الفطرة وسليم الفكرة ممن عاش على ظنون وأوهام ، معتبرا نفسه على شيء ، ومن ناحية أخرى فقد نجد بعض مثقفينا ممن نالوا الشهادات العلى يثرثرون كثيرا ولعلك لا تفهم مما يقولون شيئا ، في حين نجد المنطق العام صعب جدا عليهم ، ومن الصعب عليهم أيضا أن يرتبوا النتيجة على سببها أو أسبابها ، وما ذاك إلا بسبب ما حشوا به عقولهم من فكر معوجة ـ لا تستقيم ـ قرءوها فيما قدم إليهم من كتب ، أكثرها ضار مفسد ، والقليل نفعه لا يسمن ولا من جوع يُغني أو يفيد أو يشبع.

---

(١) ٥ الجمعة.
(٢) ٢ الجمعة.

ولكنك قد تجد رجلا أميا ـ أو امرأة ـ لم يقرأ في حياته سطرا ، ولا حرفا : ولكنه يفهم المنطق العام ، يرتب النتيجة على السبب أو الأسباب ، ثم تجده ناجحا في الحياة سعيدا بها ، في حين قد تجد من نال الشهادات العلى يُرثى لحاله ، وحال من هم على شاكلته.

ولا يقصد مما سبق أن نحط من شان القراءة والكتابة ، أو من شان الأمية نرفع ونقدر ، كلا وألف كلا ، إنما نقصد التوكيد على أنه خير للإنسان أن يكون أميا من أن يقرأ ما يضره ، ولا في شيء ينفعه ، إن على الإنسان العاقل أن يصبر على الجوع والطوى ، لكنه لا يقدم على أكل ما يضر معدته التي ربما تودي بحياته أو صحته كي يسكن من آلام جوعه.

بعد هذا كله نعود نوكد ونوكد أن العروبة في دستور لغتنا هي عروبة لغة ولسان ، لا عروبة أعراق ودماء وألوان.

ولكن هذا لا ينفي ـ من ناحية أخرى ـ واقع المخاليق في الدُّنا وحالهم من حيث اختلاف الألسنة واللغات والألوان ، ومن توزع الناس إلى شعوب متباينة ، وقبائل متمايزة.

لقد أقر القرآن الكريم هذا الواقع الملموس ، فجعل اختلاف الألوان والألسنة من آياته الدالة على قدرته وعظمته ، وقرن هذا بخلق السماوات والأرض ، قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ [1]).

وقد بدأ القرآن بخلق السماوات والأرض على أنه الشيء الأبرز الأوضح في

(١) ٢٢ الروم.

حياة النـاس وفـي إدراك أفهـامهم ، ثـم ثنـي بـاختلاف الألـسنة ثـم الألـوان ، فـاختلاف الألسنة هو الأخطر في حياة الناس ومعاشهم ، يليه اختلاف الألوان.

ولكن لمـاذا قرن القرآن اختلاف الألـسنة بـالألوان ، هل لأن هـذين الاختلافين مرتبطان ببعضهما ، فإذا اختلفت الألوان اختلفت معها الألسنة ، وإذا اختلفت الأخيرة وامتـازت حدث في الألوان ذات الشيء ؟ ربما وربما.

وعلـى أي الأحـوال فـإن كتابنـا الكـريم خاطب الخلـق جميعـا ، أجمعين أكتعين أبصعين واضعا إياهم في سلة واحدة وصف واحد : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [1]).

أصل البشرية جمعاء ـ ذكرا أو أنثى ـ هما حواء وآدم (عليهما السلام) ثم إن الرب العليم الحكيم أراد ـ برغم الأصل الواحد ـ أن ينقسم بنو الأم الواحدة والأب الواحد إلى شعوب ـ العجم غير العرب ـ وقبائل ـ أي العرب ـ بهدف التعارف والتمـايز ، أي لكي يتمكن النـاس من معرفة بعضهم بعضا ، فهذا فارسي ، وهـذا سيامي ـ تايلانـدي [2] ـ وهذا ملايو ، وذاك كمبودي ، وذياك صيني ... الخ ، وفي العرب الهاشمي والقرشي والتميمي ، والنجدي ... الخ.

وهكذا يتمكن كل إنسان من معرفة نسبة ومعرفـة أبيـه وجده وعائلتـه ، ثـم القبيلة أو الشعب ، ولا فرق ولا فضل ولا ميزة إلا تقوى الخالق ، ونفع المخاليق.

---

(١) ١٣ الحجرات.
(٢) Thailand : هي الترجمة الإنجليزية لكلمتي (أرض سيام) والتي عرفت سابقا بمملكة سيام.

المادة الثانيـة عشرة

{١٢}

قمة الفصحى المعاصرة في النطق النموذجي للأصوات العربية يأتي على لسان القراء المصريين المجودين برواية حفص لقراءة عاصم ، رحمهما الله

ذكرنا قبلا في المادة الثانية وشروحها أن المنطقة التي امتدت من العراق - في الشمال ، ثم فلسطين والشام ، ثم جنوبا في شبه الجزيرة واليمن والحبشة وانتهاء بمصر ، هذه هي المنطقة العربية ، أو وطن اللغة العربية الأول ، هذي اللغة تفرعت أولا إلى لهجات ثم تطورت هذي اللهجات إلى لغات ، أو هكذا أريد لها.

أو على الأقل كانت منطقة لغوية واحدة ، بدليل رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ، ورحلة الصيف إلى الشام والعراق ، ورحلات الأنبياء خاصة والتي عادة ما كانت تأتي من العراق إلى الشام وتنتهي بمصر ، ثم حركة البشر والقوافل عبر هذه المنطقة ، وكان فيها الهجرتان إلى الحبشة ، ورحلات المغيرة إلى مصر ، ثم مع أبناء عمومته الذين قتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم رحلة محمد وهو صبي مع عمه إلى الشام ، ورحلة أبي سفيان - أو قل : رحلات أبي سفيان ومن معه إلى الشام.

إذن فنحن أمام نواة الوطن العربي ، لغة واحدة ، ذات لهجات ، أو منطقة لغوية واحدة ، نطلق عليها - تجاوزا - اللغات العروبية ، أي التي تنتمي إلى العروبة

وقد اخترنا تعبير (العروبية) بدل العربية ، حتى لا يوهم هذا أن المقصود باللغات العربية ، هو الدرجات الحديثة في الوطن العربي.

كانت مصر على حافة هذه المنطقة العروبية ، على تخومها الغربية ، أو في أقصى الغرب منها.

ولكن أراد الله لهذا المصر في البدء والنهاية الكرامة من رب العزة ، إذ انتهت إليه رحلات الأنبياء (إدريس - إبراهيم - يوسف - يعقوب) كما كان على أرضها رسولان نبيان ، هما هارون وموسى - عليهما السلام - كما تزوج منا وصاهرنا إبراهيم عليه السلام - ثم محمد ، سيد الخلق - عليه الصلاة والسلام - ليس هذا فقط.

بل لقد كمل من الرجال كثيرون ، ولم يكمل من النساء غير أربع (مريم ابنة عمران - آسية زوج فرعون - خديجة بنت خويلد - فاطمة بنت محمد) رضي الله عنهن.

فكان لنا منهن واحدة ، هي آسية بنت مزاحم - رضي الله عنها - والتي ضربها الله مثلا - ليس للنساء المؤمنات - بل للذين آمنوا.

يقول المولى - جل وعلا - في سورة التحريم : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وفي الآية التالية [1] : (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أي أنه ضرب مريم أيضا مثلا للذين آمنوا ، ولكنه قدم امرأة فرعون - في الذكر والترتيب - على مريم - عليهما السلام - وهذا فضل من الله وكرامة لآسية التي كانت زوجا

---

(١) آخر سورة مريم.

لفرعون ، لكنها آمنت بموسى وهارون ، عليهما السلام.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال [1] : خط رسول الله (ﷺ) أربعة خطوط ، وقال : أتدرون ، ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال (ﷺ) : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون.

ثم نالت مصر وساما آخر من الشرف والفخار ، حين وقعت كارثة كربلاء (٦١هـ) جاءت بقية الذرية المحمدية ، واختارت مصر لها دارا ومقاما ، كان على رأسهم عقيلة بني هاشم زينب بنت فاطمة ، بضعة الرسول (ﷺ) من أرضاها فقد أرضى أباها ، ومن أسخطها فقد أسخطه (ﷺ).

كما جاء رأس أخيها الحسين بن علي - عليهما السلام - فدفن في القاهرة ، فكان من معالمها الرئيسة المشرفة - بكسر الراء - حي السيدة والحسين ، ابنا علي وفاطمة.

ثم كان لمصر شرف آخر ، هو مدرسة القراءة المصرية التي بدأت بورش ، واستمرت في عمقها وزخمها إلى بدء القرن الحادي والعشرين.

بل كان في القرن الماضي عوامل وأسباب قدمت القراءة المصرية للناس في مصرنا ، ثم للعالم أجمع ، وجعلتها في مقدمة مدارس القراءة على مستوى العالم ، هذه المدرسة المصرية التي تفوقت على الجميع بسمتين أساسيتين ، هما الدقة الشديدة وحلاوة الصوت.

من هنا ومن هذا المدخل الكريم أتى النطق النموذجي لأصوات الفصحى المعاصرة أولا على لسان القراء المصريين المجودين برواية حفص بن سليمان بن

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٩٤.

المغيرة ، الكوفي (ت١٨٠هـ) التي رواها عن شيخه عاصم بن أبي النجود ، الكوفي أيضا (ت١٢٧هـ).

لكن قارئا قد يسأل : معنى هذا أن القراءة المصرية بغير رواية حفص تختلف ؟ أو بمعنى آخر : هل الأصوات في رواية حفص تختلف عن الأصوات في الروايات الأخر ؟ نعم ، نعم وألف مثلها.

فإذا فتحنا أي مرجع من مراجع القراءات القرآنية فإننا ندرك من البداية والبداهة الاختلاف في الأصوات وغيرها من المستويات ، كالصرف والنحو والدلالة من رواية إلى أخرى ، خاصة خاصة رواية حفص.

لكن الأمر يحتاج إلى مثال ، يتضح به المقال ، وهنا نعطي القارئ مثالا.

في رواية حفص تجد اللام تفخم فقط ؟ كما في مثل (حزبُ الله ـ هو الله) أما إن سبقت بكسر رققت (الحمد لله ـ بالله) ما عدا هذا يا طويل العمر والبال ـ الشان والحال ـ وكثير الصبر في كل الأحوال ؟ ما عدا هذا ، اللام مرققة فقط في كل حالاتها وتنوعاتها ، لكن في رواية ورش عثمان بن سعيد (ت١٩٧هـ) عن شيخه نافع بن أبي نعيم ـ رضي الله عنهما ـ اللام تفخم في سياقات عديدة ، أو كما تعبر كتب القراءات القرآنية (تغلظ).

قال في الإتحاف [1] : (... فكل لام مفتوحة ـ مخففة ـ أو مشددة ـ متوسطة أو متطرفة قبلها صاد مهملة أو طاء أو ظاء ، سواء سكنت هذه الثلاث ، أو فتحت ، خففت أم شددت).

وقبل أن نضرب الأمثلة نوضح ما سبق من عبارة الإمام الدمياطي ، صاحب

---

(١) ص ٩٩.

الإتحاف بأن اللام المفتوحة إذا كان قبلها (ص ـ ط ـ ظ) ساكنة أو مفتوحة كان لابد من تفخيم اللام.

ولكن ماذا عن الضاد ؟ لماذا لم تذكر مع أخواتها الثلاث السابقات ؟ أليست ـ في النطق المعاصر ـ مجهور الطاء ؟ هي كذلك ولكن عزلها عن أخواتها هنا يعزز ما قلناه في تحليل سابق عن الضاد في العربية بأنها كانت صوتا جانبيا مختلفا عن الطاء ، ليست أختها ، وإنما هي ذات طبيعة خاصة متفردة.

كيف كانت هذه الضاد القديمة ؟ لا ندري ، وإن كنا نوكد أنها كانت مختلفة عن النطق الحالي ، مفخم الدال ، أو مجهور الطاء الحالية.

ويتفرع عن هذا سؤال منطقي سألني فيه بعض طلابي : يا شيخنا إذا كانت الضاد في النطق الحديث مختلفة عنها في النطق القديم ، وهذا وثيق أكيد ، فكيف ننطقها في القرآن الكريم ؟ أحبائي : لدينا قاعدة مهمة في قراءة الكتاب العزيز ، هي قاعدة ذهبية وماسية ، هي : نحن نقرأ كما تعلمنا من شيوخنا ، وشيوخنا قرءوا ، كما تعلموا من شيوخهم ، جيلا بعد جيل بعد جيل حتى نصل إلى جيل التابعين ، الذين قرءوا كما تعلموا من الصحب الكرام ، والصحابة أخذوا من سيد الخلق (ﷺ) ومحمد أخذ عن جبريل ، وجبريل أخذ عن رب العزة ، وهكذا دواليك.

ومن ثم ليس على القارئ التالي للقرآن أن يعني نفسه أو يرهقها ، إنما هو فقط فقط ، كما علمه شيوخه وأساتذته يقرأ ، ولا شيء عليه غير هذا.

نعود إلى اللام في رواية ورش ، عثمان بن سعيد المصري عن نافع بن أبي نعيم المدني ، نعطي أمثلة لمواقع تفخيمها أو التغليظ : (الصلاة ـ يصلي ـ الطلاق ـ ظلم ـ ظلاّم ـ أظلم) وبطبيعة الحال ، الضاد لا تدخل معنا كما سبق ، لما سلف من

المبررات.

الراء هي الأخرى في رواية حفص تفخم إذا كانت مفتوحة أو مضمومة ، أو ساكنة قبلها فتح أو ضم ، فإن كانت مكسورة أو ساكنة قبلها كسر رققت ، فقط ؟ فقط.

لكن ورشا يرققها في مواضع عديدة ، وألفاظ كثيرة [1] ، منها : (إذا كانت مفتوحة ، ولكن قبلها كسرة ، مثل : شاكرا ـ مبصرا ـ مقتدرا) وفي كل الراء مفخمة عند حفص ، حيث لا يعتد بالحركة قبل الراء ، إذا كانت الراء متحركة غير ساكنة ، وهكذا.

انتهينا من مثال سقناه على الاختلاف ـ في الأصوات ـ بين رواية حفص ورواية ورش المصري ، ومن رام في هذا تفصيلا وتفصيصا [2] فليرجع إلى رسالتي للماجستير ، قراءة أهل المدينة.

فهل تختلف القراءة المصرية المجودة برواية حفص أو غيرها عن القراءة في شتى أقطار العرب ؟ نعم ، وبكل توكيد ، مع شديد احترامنا لمن يقرأ القرآن ، سواء في ربوع العرب ، أو خارج مضاربهم ، وديارهم.

القراءة المصرية تتميز بشيئين مهمين سلفا ، هما الدقة الشديدة التي تصل قريب نسبة الانتخابات والاستفتاءات الشعبية ، إذ الكمال لله وحده ، ولكن بعض القراء في مصرنا ربما تصل الدقة لديه إلى الاقتراب الشديد من ١٠٠ % ، نذكر منهم الراحلين الشيخ محمد رفعت (ت١٩٥٠) ثم الشيخ محمد خليل الحصري ،

---

(١) يمكن مراجعة هذا في الإتحاف ص٩٥ وما قبلها.
(٢) في المعجم الوسيط : فصفص فلان ، أتى بالخبر اليقين.

رحمه الله (ت ١٩٨٠م).

والشيء الثاني حلاوة الصوت المتميزة الواضحة في القراءة المصرية ، حتى إن كثيرين في العالم يقلدها.

هذا شيء مسلم به لدى أصحاب الذوق السليم والفطر المستقيمة ، أما من فسد ذوقهم فإنهم يهربون من القراءة العليا إلى الذي هو أدنى ، فعندما زرت سنغافورة عام ١٩٩٢ ذهبنا لصلاة الجمعة في مسجد السلطان - وهو مسجد أثري قديم - في الحي العربي ، سمعت قارئا كأنه الشيخ عبد الباسط عبد الصمد - رحمه الله - كأنه هو ، أو هوه ، ولكني بحسي المرهف وحساسيتي الشديدة للصوت اكتشفت فارقا بين قراءة الشيخ وبين من قلده ، لقد عرفت بعد ذلك أنه طالب إيراني في الفرقة الثانية الثانوية.

وفي أكرانيا - ١٩٩٩ - أرسلت مصر في رمضان عامها بقارئ مصري ، عندما بدأ يقرأ أحسست ساعتها بالفارق الشديد بين القارئ المصري وبين غيره ، خاصة في الغربة والسفر ، حيث القراءة المصرية لها حلاوة وعليها طلاوة ما بعدهما من طلاوة أو شيء من حلاوة.

تماما كما أجد لذة كبرى في صلاة السفر ، لا أحدها في الحضر ، وكأن الإحساس هذا يدعم الرأي القائل بأن الصلاة فرضت مقصورة في السفر ، وأتمت في الحضر ، فالأصل فيها القصر ، ليس غير.

القراءة المصرية هي قمة القراءة الآن ، لكنا نأمل أن نجد من يتقدم عليها ، ويتفوق ، بخطوة أو خطوات إلى الأمام ، منا - نحن المصريين - أو من غيرنا.

ولكن القراءة المصرية هي الآن السابقة بالإتقان والجودة على غيرها ،

المتميزة في مستوى أدنى كثيرا في الأداء وقبول الصوت ، إنهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لكن من أين بدأ التميز المصري في القراءة ؟ بدأ - في رأينا - بعثمان بن سعيد ورش المصري (ت١٩٧هـ) الذي [١] :

- رحل إلى الأمام نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة (ت١٦٩هـ) للقراءة عليه في المدينة المنورة المطهرة ، وكان ذلك عام ١٥٥هـ ، حيث قرأ عليه أربع ختمات قبل أن يخرج من المدينة.
- أستاذه نافع هو الذي سماه بورش لجماله صوته وحلاوته ، نسبة إلى طائر الورشان [٢].
- وعندما قرأ أول مرة بعيد الفجر في مسجد المصطفى (ﷺ) قال : فملأ صوتي مسجد رسول الله ، وكنت حسن الصوت ، مدادا به.

ولذا تتميز رواية ورش بالتأني الشديد ، على طريقة التحقيق ، لا الحدر ، أي القراءة السريعة ، وهو ما يظهر في أداء الشيخ محمود خليل الحصري - رحمه الله - لرواية ورش ، مقارنة بأدائه لرواية حفص.

- عندما رجع إلى مصر انتهت إليه رياسة الإقراء بها ، فلم ينازعه فيها منازع ، مع براعة في العربية ، ومعرفة بالتجويد.
- كان جيد القراءة حسن الصوت ، إذا قرأ يهمز ويمد ، ويشدد ، ويبين الإعراب ، لا يمله سامعه.
- قيل أنه كان إذا قرأ على شيخه نافع أغشى علي كثير من السامعين.

---

(١) راجع كتابنا : الأصوات في رواية حفص ، ص٩٢.
(٢) طائر من فصيلة الحمام ، أكبر قليلا من الحمامة.

ورش إذن حدد ملامح المدرسة المصرية من البداية ، وهو ما تمثل في ركنين مهمين ، هما (التأني الشديد في القراءة ، ثم حسن الصوت).

ثم كان لورش تلامذة خلفوا أستاذهم في القراءة بمصر ، وكان لهم فضل في نشر هذي الرواية ، منهم :

١- يوسف بن عمرو بن يسار المصري ، المعروف بالأزرق (ت ٢٤٠هـ) لازمه مدة طويلة ، بل كان نازلا معه في داره ، لقد قرأ عليه ٢٠ ختمة من حدر وتحقيق ، فأما التحقيق فكان يقرأ عليه في الدار التي يسكنها ، وأما الحدر فكان يقرأ عليه إذا رابط معه في الإسكندرية.

أي أن هذا الرجل الملقب بورش كان هو وتلامذته ممن يرابط في ثغر الإسكندرية ، ولم يكونوا فقط يمارسون القراءة والإقراء ، ليس إلا.

ثم انتقلت هذه القراءة من جيل إلى جيل حتى كان القرن العشرون ، ماذا حدث في ذياك القرن ؟ إنه افتتاح الإذاعة المصرية ١٩٣٤، جيء أولا بالشيخ محمد رفعت لافتتاحها ، ثم قدمت الإذاعة ، جيل المشاهير العمالقة : (علي محمود - عبد الفتاح الشعشاعي - مصطفى إسماعيل - عبد الباسط عبد الصمد - محمد خليل الحصري - محمد صديق المنشاوي - محمود علي البنا - راغب مصطفى غلوش - كامل يوسف البهتيمي ...) الخ وغيرهم ، جيل لا يعوض من القراء على مستوى العالم.

ولعل قراء آخرين سبقوهم منذ ورش في نهاية القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن التاسع عشر ، إلا أن أحدا لم يسطع أن يقدمهم أو يسجل لهم ، كما فعلت الإذاعة المصرية ١٩٣٤م.

ومما كان يغري الشباب باختيار مهنة القراءة قراءة القرآن في المآتم ،

والأجور المرتفعة التي يدفعها الأغنياء لهؤلاء القراء ، هذه المسألة لا نظير لها في العالم العربي أو غيره ، حين يموت الميت ـ أحيانا ـ يرسل إلى مثواه الأخير ، ثم يشيع أولا يشيع ، وربما أرسلوه إلى قبره في السيارة ، ثم ينصرف كل قريب أو حبيب له إلى عمله ، وإلى ممارسة حياته اليومية.

ومما دعم هذه المهنة أيضا قراءة سورة الكهف أو جزء منها قبيل صلاة الجمعة ، مما لا تجده أيضا في ديار بني يعرب.

ليس هذا فقط ، بل إن الكتاتيب التي علمت أطفال المسلمين وحفظتهم القرآن الكريم ، كانت مدرسة مهمة للتغني بالقرآن وقراءاته ورواياته.

هذي الكتاتيب التي كانت ينبوعا للأزهر الشريف الذي أعلى من مكانه مصر في العالم العربي والإسلامي ، وما يزال كان أيضا داعما للمدرسة المصرية في القراءة بإتاحة الفرصة لأبناء مصر والعالم لدراسة قراءات القرآن وتفسيره وتاريخه وبلاغته ... الخ.

وفي عهد الراحل العظيم جمال عبد الناصر عام ١٩٦٤انطلقت إذاعة القرآن الكريم من قاهرة المعز ، ومن ثم بدأ مصطلح المصحف المرتل ، حيث جمع الكتاب كله مسجلا بهذي الطريقة برواية حفص للخمسة الكبار (الحصري ـ عبد الباسط ـ مصطفى إسماعيل ـ البنا ـ المنشاوي) رواية ورش أداء الحصري ، ثم توقفت ، واقتصر الأمر على رواية حفص إلى الآن ، لكن بدأ بث قدر من القراءة المرتلة برواية ورش وقالون بصوت الحصري يسبقه شرح من أحد علماء القراءات لوجوه القراءة في الآيات.

وفي مقابل هذا كان المصحف المجود الذي يتبع المدرسة المصرية الأصيلة

في القراءة والتي تعتمد الركنين المهمين: حلاوة الصوت ـ التأني الشديد في القراءة.

ثم جاءت دول عربية بعد مصر افتتحت إذاعات للقرآن الكريم ، حاولت أن تخط لها طريقا متمايزا عن المدرسة المصرية ، فاتجهت نحو قراءة الحدر السريعة عكس القراءة المصرية ، ثم ابتعدت عن التغني بالقرآن لتؤدي فقط ، مجرد أداء.

وفي عصر الفضائيات برزت فضائيات خاصة بالقرآن الكريم ، حاولت أيضا أن تجد لها مكانا في مقاعد المشاهدين ، بعضها قدم روايات أخرى غير الروايات الشهيرة ، والله يعين الجميع.

نأمل أن نرى قريبا تسجيلات كاملة للمصحف كله بشتى القراءات والروايات ، هذا ما يمكن أن تقدمه هذي الفضائيات والإذاعات القرآنية.

ليس معنى هذا أننا من دعاة : يبقى الحال على ما هو عليه ، دون خطوة أو خطوات نحو التجديد ، كلا ، كلا ، بل ندعو إلى التجديد حتى في المدرسة المصرية ، أو حتى لو جاء من خارج المدرسة المصرية.

لقد كان العلماء المصريون والاختصاصيون والخبراء وحدهم في الميدان ، الآن أصبح في أقطار العرب الأخرى جامعات ومؤسسات وعلماء يزاحمون المصريين بالمناكب ، ولكن الأمل أن تسبق الأقطار العربية ، سواء في مصرنا أو في غيرها من ديار العرب.

إننا نسعد كثيرا عندما يبرز عالم أو باحث أو مبدع من عالمنا العربي ، أيا كان القطر الذي إليه ينتمي وينتسب ، وكذا نسعد أكثر وأكثر عندما يبرز قارئ من أي قطر آخر ، ويتفوق على نظرائه ، حتى من القراء المصريين ، والمستقبل قمن جدير بكل هذه التطلعات والطموحات.

من كل ما سبق يمكن القول بأن المدرسة المصرية في القراءة المعتمدة على الدقة في الأداء وجمال الصوت قد قدمها على كل مدارس القراءة ، خاصة ما ظهر منها حديثا والتي تميل ميلا إلى قراءة الحدر السريعة غير المتأنية.

ولذا فإننا في دستور اللغة العربية نعتمد نطق القراء المصريين المجودين برواية حفص عن عاصم عند توصيف ووصف الأصوات العربية في الفصحى المعاصرة.

فهل يختلف نطق القراء المصريين عن غيرهم من القراء في العالم العربي أو غيره ؟ نعم ، القراءات الأخرى غير المصرية تتجه بشدة نحو الحدر والسرعة ، وهو ما لا يمكن من نطق الأصوات بالشكل المطلوب.

أما القراءة المصرية التي تنحو نحو التحقيق ، أي التأني الشديد ، هذا التحقيق ، هذا التأني يمكن من نطق الأصوات بشكل أدق ، وأقرب إلى درجة الكمال.

هل هذا الكمال في المصحف المرتل أو المجود ؟ في كليهما بالتوكيد ، إنه - بشكل عام - لا يمكن تمييز واحد منهما بالجودة عن الآخر ، على الأقل في رأينا وتصورنا ، مع الأخذ في الاعتبار أن المرتل أميل للحدر والسرعة ، أو التوسط على الأقل ، والآخر إلى التحقيق والتأني.

والآن دخل عنصر جديد على الخط ، عنصر السماوات المفتوحة ، إذ أصبح لكل فضائية وإذاعة وصحفية ومؤسسة ، بل للأفراد أيضا مواقع على الشبكة الدولية (الإنترنت) ومن ثم فإن إذاعات وفضائيات القرآن ، أو التي تذيع القرآن ، أصبح لها مواقعها على الشبكة التي يمكن للفرد في أي مكان على ظهر البسيطة أن يدخل على هذي المواقع ، وأن يتجول فيها ، يستمع إلى من شاء من القراء.

بل أصبحت هناك مواقع متخصصة للقرآن الكريم عندها كل القراءة أو معظمهم ، وعلى رأسهم القراء المصريون ، مثل موقعي (صوت الإسلام - طريق الإسلام).

وإذا كان البث الفضائي يحتاج إلى طبق وجهاز [١] استقبال وأسلاك وخلافه فإن الدخول إلى الشبكة لا يحتاج سوى جهاز حاسوب وخدمة الإنترنت التي أصبحت الآن متوفرة متوافرة على مستوى العالم ، سواء كانت هذه الخدمة عن طريق الأسلاك ، أو لا سلكية مع الأقمار الصناعية بشكل مباشر.

أي أصبح العالم قرية صغيرة ، بإمكان أي فرد في أي صقع على هذي المعمورة أن يدخل إلى أي موقع من مواقع القرآن الكريم ليستمع بالقارئ أو القراء الذين يحبهم.

وقد عجبت أنه في افتتاح مؤتمر اللغة العربية في إندونيسيا - أكتوبر ٢٠٠٩ - جاء أحد الشبان الإندونيسيين يقرأ مقلدا أحد القراء المصريين المعاصرين [٢] بشكل تام ومتقن ، وعندما زرنا إحدى المعاهد الإسلامية في ضواحي مدينة ميدان الإندونيسية - على هامش المؤتمر - رأينا طالبا من المعهد يقلد ذات القارئ ، وعجبت وسألت كيف وصلت هذا المكان القصي عن مصر القراءة المصرية هذه ، وصوت هذا القارئ ؟ فقيل لي : مواقع القرآن الكريم أصبحت متاحة لكل ذي حاسوب في العالم كله.

الإذاعات المحلية المحدودة على FM مثلا تلعب دورا مهما أيضا في نشر أريج الشذا الفواح والقرآن الكريم وقراءاته ومدارسه ، خاصة المدرسة المصرية ،

(١) بعض أجهزة التلفاز الحديثة تحوي بداخلها الجهاز الخاص باستقبال الفضائيات.
(٢) الشيخ السيد عبد المتعال.

منذ عدة ليال استمعت بعد العشاء إلى صوت الشيخ كامل يوسف البهتيمي من إحدى الإذاعات المحلية [1] القريبة ، قرأ من حفلة سورة الإسراء ، ثم تسجيلات عادية استمرت قرابة الساعتين.

وعندما سألت؟ قيل لي : إن الإذاعات الخاصة الأهلية مسموح بها في تايلاند ، ما عليك إلا أن تجهز وتعد وتكلف ، ثم تبث بعد ذلك ، ومن ثم تمكن المسلمون من إقامة إذاعات محلية تذيع الأحاديث الدينية بلغة الملايو ، أو باللغة التايلاندية ، مع تسجيلات من القرآن الكريم ، منها تسجيل البهتيمي الذي سبقت إليه الإشارة.

خلاصة ما سبق :

قمة الفصحى المعاصرة في النطق النموذجي لأصوات العربية يأتي على لسان القراء المصريين المجودين ، برواية حفص عن عاصم ، وقد كان لهذا عوامل سقناها قبل هذا وفصلناها تفصيلا.

والآن إلى المادة الثالثة عشرة من دستور اللغة العربية.

(١) التقطت من حرم جامعة جالا الإسلامية الذي يبعد عن المدينة بحوالي ١٢ ك ، في ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٩.



المادة الثالثة عشرة
{١٣}

رواية حفص عن عاصم هي أكثر الروايات شهرة على غيرها من الروايات ؛ لأسباب ومبررات علمية ومعقولة ومقبولة.

كثيرا ما يساءل مساءل : لماذا سادت وشاعت رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدى الكوفي ؟ (ت ١٨٠هـ) عن عاصم بن أبى النحود بن بهدلة الأسدى الكوفي (ت ١٢٧هـ) لماذا شاعت تلك الرواية على غيرها من الروايات ؟ لماذا ، لماذا ؟ .

يحسن أولا أن نعرف ما معنى الرواية ، وما الفرق بينها وبين القراءة ؟ ولكي يتم هذا لابد أن نبدأ الحكاية من البداية ، وصولا إلى النهاية ، فنقول :

بدأت المسألة من غار حراء حين نزلت السورة الأولى من القرآن الكريم على قلب النبي الأمين (ﷺ) ثلاثة عشر عاما في مكة يتنزل الكتاب الكريم ، ثم أحد عشر عاما في مدينة الرسول الأكرم (ﷺ) في مكة كان عدد المؤمنين قليلا قليلا ، وكانوا كلا متجانسا ، رسول الهدى متفرغ لهم تقريبا ، متفرغ لتربيتهم وتعهدهم بالموعظة المتواصلة ، ومن ثم لم يختلف الناس في قراءة القرآن كما حدث في المدينة المنورة ، حيث كثر عدد المؤمنين ، واختلفوا ما بين مهاجر من مكة أو

غيرها ، أو أنصارى من الأوس أو الخزرج ... الخ .

كما أحاطت بالرسول الأعظم شواغل السياسة والحرب والسلم ومؤامرات الأعداء ، على رأسهم الزعامة القرشية أو يهود المدينة أومن المنافقين وضعاف الإيمان والقلوب ، كل هذا استقطب جزءا مهما من وقت النبي واهتمامه ، ومن ثم ظهرت على السطح اختلافات ما بين الصحابة (ﷺ) في قراءة القرآن الكريم ، كان الرسول يحسمها دوما ، ثم جاء حديث (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه) وقد أفاض كثير من الباحثين في شرحه ومناقشته [1] ، ومن ثم كان مقياس القراءة الصحيحة وشرطها الوحيد ، صحة السند عن الصادق المعصوم (ﷺ) وسماعها عنه.

وعندما فاضت الروح الطاهرة إلى باريها قتل عدد كبير من القراء فى حروب الردة ، ومن ثم شكلت لجنة من الصحابة (ﷺ) على رأسها الصحابي الشاب زيد بن ثابت (ﷺ) جمع القرآن من الصدور ومن السطور ، ومن المحفوظ في صدور الصحابة (ﷺ) ومن المكتوب على العظم والجلد والحجارة ، وخلافه مما كان يكتب عليه في ذياك الزمان ، ثم وضع ما جمع مكتوبا لدى أبى بكر حتى مات ، ثم عند عمر حتى مات ، ثم عند ابنته حفصة (ﷺ) أجمعين .

وفى عهد عثمان (ﷺ) أشير عليه بجمع القران في المصحف ، وهو ما تم على يد لجنة ترأسها ذياك الصحابي نفسه زيد بن ثابت (ﷺ) فأرسل عثمان إلى حفصة أم المؤمنين : (أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك) وقد كان ، انكتب المصحف في خمس نسخ ، أو خمسة مصاحف ، أرسلت واحدة

(١) انظر كتابنا (من ألفاظ اللغة فى القرآن الكريم) القاهرة ١٩٩٠ ، ص ١٠٠ وراجع أيضا : لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلانى ٣١/١ .

إلى الشام (دمشق) وثانية إلى الكوفة وثالثة إلى البصرة ورابعة إلى مكة ، وبقيت واحدة في المدينة ، وعليه أصبح لدينا : (المصحف المدني والكوفي والبصري والمكي والشامي) نسبة إلى تلكم الحواضر ، كما أحرقت المصاحف الخاصة التي كتبها بعض الصحابة على عهد النبي الكريم ، صلوات ربى عليه وعلى آله .

أصبحت المرجعية الوحيدة إلى المصحف الإمام ، أو المصحف العثماني ، ولم يعد مرجعية لما عداه من المصاحف الخاصة ، جدير ذكره أن هذى الخطوة حظيت بموافقة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد روى عنه :

(يأيها الناس : لا تغلوا في عثمان ، ولا تقولوا له إلا خيرا ـ في المصاحف وإحراق المصاحف ـ فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملأ منا جميعا ـ ... والله ، لو وليت لفعلت مثل الذي فعل) [1] وعليه فقد أصبحت القراءة الصحيحة للقران ولها شرطان اثنان :

- (صحة السند إلى الرسول الأكرم) و (موافقة الرسم العثماني ولو احتمالا) ثم أضيف شرط ثالث وأخير، هو :
- (موافقة قواعد اللغة العربية ، ولو بوجه أو وجيه) لكن تطبيق هاتيك الشروط على القراءة ليس بالأمر السهل ولا اليسير ، لا يطيقه إلا راسخ في العلم والقراءات ، ومن ثم تصدى محمد بن أبى بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) لعلاج تيك المعضلة ، فاختار سبع قراءات صحاح تنطبق عليها ثلاثة الشروط السابقات ، رضيت الأمة اختياره وقبلته ، فأصبحت القراءات الصحاح اللائي يقرأ بهن تلك المنسوبات إلى الأئمة :

١ـ نافع بن أبى نعيم (الأصبهانى) المدني (ت ١٦٩هـ) .

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلانى ، ١ / ٦١ .

٢- عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ) .

٣- عاصم بن أبى النجود الكوفي (ت ١٢٧ هـ) .

٤- أبو عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤ هـ) .

٥- حمزة بن حبيب الزيات الكوفى (ت ١٥٦ هـ) .

٦- على بن حمزة الكسائى الكوفى (ت ١٨٩ هـ) .

٧- عبد الله بن عامر اليحصبى الشامي (ت ١١٨ هـ) .

ثم رأى العلماء - فيما بعد - أن يضيفوا إلى ما سبق ثلاث قراءات رأوها صحيحة أيضا ، هن المنسوبات إلى الأئمة :

٨- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت ١٣٠ هـ) .

٩- يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت ٢٠٥ هـ) .

١٠- خلف بن هشام البغدادي (ت ٢٢٩ هـ) .

وما عدا هذى القراءات شاذ لا يصح أن يقرأ به لا في الصلاة ، ولا في غيرها ، وإن صح أن ندرسها وأن يفاد منها في معرفة تاريخ العربية وقضاياها ولهجاتها القديمة ، مع الإشارة إلى شيء مهم هو أن نسبة هذى القراءات لأصحابها لا يعنى أنهم اخترعوها اختراعا ، أو جاءوا بها من عنديات أنفسهم ، كلا كلا ، إنما هم فقط تعلموا هذى القراءات وضبطوها فتعلمها منهم الناس واشتهروا بها ، فكل ما ينسب إلى هؤلاء العشرة هو قراءة ، وليس رواية نقول : قراءة نافع أو عاصم ... أو غيرهما .

هؤلاء القراء العشرة كان لهم تلاميذ كثيرون ، هؤلاء التلاميذ سموا بالرواة، لكن العلماء استصفوا لكل قارئ راويين فقط ، أكثرهم ضبطا واتقانا وشهرة في النقل عن شيخه القارئ ، فأصبح لدينا عشرون رواية أو عشرون راويا ، لكن الذي بقى

من هذى العشرين فقط أربع روايات ، هن المنسوبات إلى :

١- رواية حفص (ت ١٨٠ هـ) عن عاصم (ت ١٢٧ هـ) والتي تشيع في عامة أركان العالم الإسلامي .

٢- رواية ورش عثمان بن سعيد (ت ١٩٧ هـ) عن نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩هـ) وهى القراءة الثانية في مصر ، ومنها انتشرت إلى مغرب العرب ثم الأندلس (سابقا) وغرب القارة الإفريقية ، فيما سمى بالسودان الغربي ثم وسط القارة .

٣- رواية قالون ، عيسى بن مينا (ت ٢٠٥ هـ) عن شيخه نافع ، وهى موجودة في ليبيا وموريتانيا ، وبعض مناطق تونس والجزائر .

٤- رواية الدوري عن أبى عمر ، حفص بن صهبان (ت ٢٤٦هـ) عن أبى عمرو ابن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) نجدها في غرب السودان وتشاد ونيجيريا وأواسط افريقية .

جدير ذكره أن المصاحف طبعت بروايات حفص و ورش وقالون ، ولم أر مصحفا مطبوعا برواية الدوري ، أو منسوخا بخط اليد إلى الآن .

أما من يأخذ عن الراوي فيسمى بالطريق ، فقد وردت رواية حفص من طريقين ، طريق أبى محمد ، عبيد بن الصباح الكوفي (ت ٢٢١ هـ) وكل من أخذ الرواية بعد هذين أيضا يسمى بالطريق ، إذن فرواية حفص عن عاصم هي ما رواه حفص عن شيخه عاصم من قراءة ضبطها وتعلمها وأتقنها وعلمها الناس ، فاشتهر بها واشتهرت بالنسبة إليه .

فلماذا فاقت هذى الرواية شهرة وسعة انتشار غيرها من الروايات ، لماذا ، لماذا ؟ !

أولا : أحكام القراءة في رواية حفص تتسم بالسهولة الشديدة والبساطة

التامة ، إذا قيست بما في الروايات الأخر ، ويكفى القارئ أن يراجع - مثلا ، مثلا - أحكام الترقيق والتضخيم أو الإدغام أو ياءات الإضافة ، أو هاء الكناية ، في أي مصدر أو كتاب من كتب القراءات القرآنية مثل : (السبعة لابن مجاهد) أو (النشر في القراءات العشر) لأبى الخير بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) أو غيرهما ، ليقارن بين هذه الأحكام السابقة - إن شاء - عند حفص وعند غيره من رواة القراءات العشر، ولسوف يجد البون شاسعا واسعا والبون كبيرا متسعا.

وهذا مثال به يتضح ويتأكد المقال : في رواية حفص عن عاصم إمالة واحدة ، في قولة الله تعالى : (ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَيهَا وَمُرْسَاهَا) ٤١/هود ، في كلمة (مجريها) فقط ؟ فقط فقط ، فإذا ما قارنا هذا برواية ورش عن نافع - مثلا مثلا - وجدنا البون شاسعا شاسعا ، تملأ أحكام الإمالة في تيك الرواية أو غيرها صفحات طويلات طويلات ، ويكفى أن نرجع - مثلا - إلى النشر لابن الجزري [(١)] ، أو غيرها من مصادر القراءات .

ثانيا : أحكام القراءة في رواية حفص تجدها - في الأعم الأغلب الأكثر - مما اتفق عليه القراء جميعا ، والرواة عنهم ، لذا فإن رواية حفص تصلح كبداية لمن يجود بالسبع أو العشر، فلما تقاصرت الهمم وقصرت في العصور الأخيرة وفترت ، اقتصر الناس على رواية حفص ، دون المضي إلى نهاية الروايات .

كيف بالله عليك كان هذا ؟ بالمثال يتأكد الكلام والمقال ، ففي أحكام النون الساكنة والتنوين من الإظهار والإخفاء والإدغام لا تختلف الروايات الأخر عن رواية حفص إلا في نقطتين :

---

(١) انظر ٣٠/٢ وما بعدها ، وانظر أيضا الإمالة في القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح شلبي القاهرة ١٩٧١

١ـ الإدغام الكامل (بدون غنة) للواو والياء اللينين في النون الساكنة أو التنوين ، وهو ما نجده في قراءة واحدة ، هي قراءة الأعمش الكوفي (ت ١٤٨هـ) في حين نجد باقي القراءات والروايات بما فيها رواية حفص تدغم الواو والياء في النون إدغاما ناقصا ، أي مع الغنة ، كما في مثل (من يوم ـ من واق).

٢ـ تخفى النون قبل الغين والخاء في قراءة أبى جعفر ، يزيد بن القعقاع ، وهو من القراء العشرة كما عرفنا ، وفى بعض ما روى عن نافع ، إلا أنها تظهر في غير ما سبق بما في هذا رواية حفص عن عاصم ، كما في (من خير ـ من غير) وهكذا.

ثالثا : الالتزام الصارم في رواية حفص بالرسم المصحفي ، سواء في الأصول أو الفرش ، ويكفى المرء أن يرجع إلى باب الوقف على مرسوم الخط ـ في النشر لابن الجزري أو غيره ـ ليتبين له بوضوح شديد أن هذى الرواية تفوق الروايات كلها في التزام الرسم بدقة لا نظير لها.

وقبل إن نقدم أمثلة لهذا الالتزام بالرسم يحسن بنا في البدء أن نفسر المقصود بالأصول وبالفرش ، الأصول هي القواعد العامة التي تشمل مواضيعها كلها في القرآن الكريم ، فأحكام النون والتنوين والمد ـ مثلا ـ هي من الأصول ، فإذا قلنا إن أبا جعفر ، يزيد بن القعقاع يخفى النون الساكنة والتنوين قبل الغين والخاء ، فإن هذا يشمل كل المواضيع في الكتاب الكريم ، ولا يختص بمواضع بعينها ، أو مواضيع بعينها ، كما نجد في الفرش.

وهذا مثال به يتضح الكلام والمقال : ففي سورة المدثر قرأ ابن كثير المكي وأبو عمرو بن العلا البصري والكسائى الكوفي ، وأبو بكر عن عاصم الكوفي

(وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) [1] بفتح الدال، وقرأ نافع المدني، وحفص عن عاصم وحمزة الزيات الكوفي (إِذَا أَدْبَرَ) بتسكين الدال [2] .

مثال آخر من الفرش : اختلف القراء السبعة في قوله تعالى (والصابئين - والصابئون) فقراء نافع (والصابين - والصابون) في القرآن كله بغير همز ، وقرأ باقي السبعة غير نافع (والصابئين - والصابئون) بالهمز [3] .

وهذى أمثلة للالتزام الشديد بالرسم المصحفى :

١- في هاء التأنيث التي رسمت تاء ، مثل (رحمت - نعمت - امرأت ... الخ) ، وقف على هذى المواضيع بالهاء خلافا للرسم ابن كثير وأبوعمرو والكسائى ويعقوب الحضرمى ، في حين وقف غيرهم بالتاء التزاما بالرسم [4] ومنهم حفص عن عاصم.

٢- في كلمة (كأين) حيث وقعت في القرآن ، قرأ أبو عمرو بن العلاء ويعقوب بحذف النون عند الوقف (كأيّ) في حين قرأ حفص عن عاصم [5] ، وغيره من القراء ة العشرة ورواتهم بالنون اتباعا والتزاما بالرسم .

ومن مكرور القول ومألوفة أن شرط موافقة الرسم ملحق به عبارة (ولو احتمالا) أي أن شرط الرسم - كما سبق - ليس شرطا مغلقا مطلقا ، كما في (صحة السند) معنى هذا (أن بعض القراءات يمكن أن تخالف الرسم ؟) نعم لكن في مواضيع قليلة ، أشار إليها العلماء وحصروها حصرا في كلمات ومواضيع بعينها

(١) آية ٣٣.
(٢) السبعة لأبن مجاهد ص ٦٥٩.
(٣) السابق ص ١٥٧.
(٤) النشر لابن الجزري.
(٥) السابق ٢ / ١٤٣.

وأعيانها [1] .

وما صلة الالتزام بمرسوم الخط بانتشار القراءة أو الرواية؟ الصلة واضحة، إذ أن الحضارة العربية لما انتشر أريجها في الخافقين ، انتشر معها التأليف والكتابة والقراءة، وكلما كانت الرواية التي يقرأ بها قريبة جدا من رسم المصحف ملتزمة به كان هذا أيسر على الناس ، حيث انتشر التعويل على القراءة والمطالعة في المصاحف ، وليس على الحفظ والمشافهة فقط ، مع الاعتراف بأن هذا الشرط لم يكن وحده سبب انتشار رواية حفص عن عاصم ، بل معه أسباب أخرى ، كما ذكر، وكما سوف يذكر .

رابعا : ومن الأسباب أيضا أن رواية حفص عن عاصم كانت كوفية ، منسوبة إلى الكوفة ، وما أدراك ما الكوفة ، تلكم الحاضرة التي حظيت بمآثر ومناقب منها :

١ـ كانت عاصمة الخلافة الإسلامية في فترة مهمة من فترات التاريخ الإسلامي على قصرها ، تيك الفترة التي امتدت من تولية أمير المؤمنين عام ٣٥ هـ إلى تنازل ابنه الحسن ـ عليهما السلام ـ عام ٤١ هـ ، إذ برزت عدة انجازات علمية وحضارية من هذى المدينة المباركة.

٢ـ نشأة النحو العربي على يد العلامة أبى الأسود الدؤلى [2] (ت ٦٧ هـ) وبإشارة وتوجيه من إمامه ، ابن عم النبي (ﷺ) وفى الفهرست لابن النديم : (إن النحو أخذ عن أبى الأسود الدؤلى ، وإن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

---

(١) راجع مثلا : لطائف الإشارات للقسطلانى (مرسوم الخط).

(٢) اسمه ظالم بن عمرو نسبة إلى (الدؤل بن بكر بن كنانة ، كان من سادات التابعين ، صحب أمير المؤمنين (عليه السلام) وشهد معه صفين ، ولى قضاة البصرة ، وتوفى بها) انظر الكامل في قواعد العربية ، نحوها وصرفها لأحمد زكى صفوت ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٢ / ٤٥٥ .

هذا النحو الذي كان له شان عظيم وخطر ، ليس في تاريخ الحضارة العربية ولغة بني يعرب فقط ، بل تعداه إلى الأمم الأخرى ، لغاتها وثقافاتها وحضاراتها ، ويكفى أن يشار هنا إلى ما ذكره الدكتور عبده الراجحى من أن نظريات نعوم تشومسكى مستقاه من النحو العربي ، فقد تتلمذ الرجل على أبيه الذي تخصص في النحو العبري في الأندلس ، وذلك النحو صورة من النحو العربي تؤكد التأثر العبري الواضح بنحو أبى الأسود الدؤلى، وهو ما تشير إليه دراسة الدكتور عطا أبو رية[1].

٣- وفى رحاب مدرسة الكوفة كان انجاز مهم آخر لأبى الأسود الدؤلى ، هو تشكيل المصحف ، وإيجاد رموز للحركات القصار ، وظهور مسميات الحركات القصار (الفتحة والضمة والكسرة) مما لا نظير له - على حد علمنا - في غير لغة بني يعرب ، ففي لغات العالم المختلفات يشار إلى الحركة برمزها i أو e أو u .. مثلا أو بنطقها ، دون تسمية لها ، كيف هذا بالله عليك ؟ .

يحكى أنه : (لما وضع أبو الأسود الدؤلى النحو ، قال ابغوا لي رجلا ، وليكن لقنا ... فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني لفظت الحرف فضممت بشفتي فاجعل أمام الحرف نقطة ، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين ، فإذا رأيتني قد كسرت شفتي ، فاجعل أسفل الحرف نقطة ، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين ، فإذا رأيتني فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة ، فإذا رأيتنى فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين) [2].

وهكذا ولد مصطلح (الفتحة) (الكسرة) (الضمة) و (الغنة) هذا الأخير الذي

---

(١) اليهود في بلاد المغربين .. رسالة دكتوراه بمعهد الدراسات الإفريقية بالقاهرة ٢٠٠٢ ص١٧٧.
(٢) مشكلة الهمزة العربية للدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١٧ ، ١٨ وانظر أيضا : الفهرست لأبن النديم ١ / ٤٠.

سمى فيما بعد بالتنوين [1] .

ولم تقف الحكاية عند ذلك الحد أو النهاية ، بل إن تلامذة أبى الأسود قد استكملوا مسيرة إصلاح نظام الكتابة في لغتنا فهذا نصر بن عاصم (ت ٩٠ هـ) ويحيى بن يعمر العدواني (ت ١٢٩ هـ) تلميذا أبى الأسود الدؤلى وضعا لمسة مهمة في تاريخ العربية ونظام كتابتها ، لقد أعادا ترتيب الحروف العربية من الترتيب القديم [2] (أبجد - هوز - حطي - كلمن - سعفص - قرشت - ثخذ - ضظغ) إلى الترتيب الألفبائي الحالي (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى) بدءوا بالألف ، ثم الحروف المتشابهة الثلاثية :

ب ت ث ←—— نقطة تحت الباء ، نقطتان فوق التاء ، ثلاث نقاط فوق الثاء.

ج ح خ ←—— الجيم نقطة في الوسط ، الحاء بلا نقاط ، الخاء نقطة فوق.

ثم الثنائيات : د ذ - ر ز - س ش - ص ض - ط ظ - ع غ - ف ق ، إحداهما منقوطة بنقطة واحدة والأخرى مهملة من النقط ، عدا السين والشين ، إذ فازت الأخيرة بثلاثة نقاط ، والفاء بنقطة واحدة ، ولذا كانت القاف بنقطتين ، ثم جاءت الحروف غير المتشابهة في آخر الحروف : ك - ل - م - ن - هـ - و - ى .

وقد اقتضى هذا أن يكتب الناس بثلاثة ألوان مختلفات من الأحبار للحروف ، لون للحروف ، وثاني / ثان لنقط أبى الأسود ، نقط الشكل ، وثالث لنقط التلميذين نصر و يحيي ، ولذا حل الخليل بن احمد صاحب العروض (ت ١٧٠ هـ) المعضلة بأن قدم نظاما جديدا وعبقريا لرموز أبى الأسود إضافة إلى مقترحات أخر ، وضعت

---

(١) في علم الكتابة للدكتور عبدا لله ربيع ، القاهرة ١٩٩٢ م ، ص ١٢١.

(٢) ما يزال النظام القديم مستخدما في الجبر والرياضيات ، فنقول مثلا : (أ ب جـ) مثلث أو (أ ب ج د هـ) شكل خماسي، وفى الترقيم والكتابة بدل الأرقام، وأيضا في ترتيب مدرجات الجامعة وقاعاتها، وأحيانا المباني بشكل عام ، فنقول مبنى (أ) أو مبني (جـ) إلى آخره.

اللمسات الأخيرة على نظام الكتابة العربي ليتقدم على سائر أنظمة الكتابة في لغات العالم ، فما هن هذى اللمسات [١] .

- جعل للفتحة ألفا مضجعة على الحرف بدل النقطة على اليمين هكذا ـَ
- جعل للكسرة ياء صغيرة راجعة بدل النقطة تحت الحرف ے والتي تطورت إلى هذا الشكل الذي يشبه الشرطة هكذا ـِ

وبما أن الحركات القصار أبعاض الطوال (واو المد ـ ياء المد ـ ألف المد) فإن رموز القصار كذلك ، ألف صغيرة للفتحة القصيرة ، ياء صغيرة للكسرة ، واو صغيرة للضمة ، قارن بين رموز القصار والطوال :

- الفتحة ـَ ألف المد ا.
- الكسرة ے ياء المد ے.
- الضمة ـُ واو المد و.

أما التنوين (الغنة) سابقا لدى أبى الأسود فكرر الرموز مرتين ، هكذا : كتابٌ ـ كتاباً ـ كتابٍ ، وهلم جرا.

- لما تحولت الألف من رمز ـ في بداية الحروف ـ للوقفة الحنجرية / ? / إلى رمز للفتحة الطويلة في مثل (فاس) اختلط الرمزان ، ومن ثم رأى الخليل أن تميز الوقفة الحنجرية برأس العين الصغيرة لتميز بين (فاس) وبين (فأس) وبين (راس) و (رأس) قال أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب [٢] رحمه الله : (لم يشأ ـ أي الخليل ـ أن يغير الرسم الإملائي الذي كان قد شاع واستقر ، فاخترع هذا الرمز الجديد واقتطعه من رأس العين ، ووضعه في الكلمة حيث وجد له حاملا ،

---

(١) السابق ص٧٥ ، ٧٦.
(٢) مشكلة الهمزة العربية ... ص ١١.

فالحامل له في رأس وسأل وملأ هو الألف، وفى بئر وفئة وأفئدة الياء ، وفى : يؤمن ، يؤز ، يؤدى الواو، وفى : سماء وبناء وكساء وأمثالهن لا حامل للهمزة ، فوضعها على السطر ، بلا حامل).

- وللتفرقة بين ألفى الوصل والقطع في بدء الكلمة اختار رأس صاد صغيرة فوق الألف ، هكذا آ وهو ما نجده في المصاحف وبعض الكتب التراثية التي طبعت قبلا في حين وضعت رأس العين على ألف القطع ، هكذا أ .
- وضع رأس شين اختصار كلمة شديد ، هكذا (شـّ) ورأس خاء صغيرة غير منقوطة على السكون اختصار خفيف كما في (نهـْز) وهى ما تزال هكذا في المصاحف ، وإن تطورت في الكتابة الإملائية الآن إلى هذا الرمز (نهـْز).
- وفى رحاب مدرسة الكوفة المباركة تم إنجاز آخر مهم هو وضع علم الصرف ، يقول العلامة الشيخ الحملاوى صاحب شذا العرف في فن الصرف (وواضعه - أي الصرف - معاذ بن مسلم الهرّاء ، وقيل سيدنا على كرم الله وجهه)[1] الهرّاء توفى ١٨٧ هـ ، ولا أتصور أن وضع الصرف تأخر إلى منتصف القرن الثاني الهجري أو بعده ، في حين وضع النحو في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي استمر من عام ٣٥ هـ [2] إلى استشهاده عام ٤٠ هـ [3] فان نظام الكلمة (الصرف) هو أساس نظام الجملة (النحو) هذا الأخير لا يمكن أن يقوم ويوضع دون أن يسبقه الصرف.

ومن ناحية أخرى فان الهراء الذي نسب إليه وضع قواعد الصرف على احد القولين هو عم الرؤاسى ، محمد بن أبى سارة الذي قيل عنه : (هو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو) وهذا شيء منطقي ، فقد تم وضع النحو في ولاية أمير

(١) ص١٧.
(٢) الموافق ٦٥٥ ميلادية.
(٣) الموافق ٦٦٠ ميلادية.

(٣٥ ـ ٤٠ هـ) قبل قرن أو يزيد، وقد نسب إلى ذياك الرجل نفسه (كتاب التصغير) ولم يذكر أن أول من ألف في الصرف من الكوفيين كما قيل في النحو ، فهل يعقل أن يقوم عمه الهراء [١] بوضع الصرف ثم يؤلف ابن الأخ ليس أول كتاب في الصرف أو حتى كتابا في الصرف ، بل في قضية واحدة محددة من قضاياه هي (التصغير) إن هذا يدل على أن هذا العلم قد استقرت مسائله وموضوعات حتى ألف هذا الرؤاسى في مسألة واحدة من مسائله كتابا أفرده لتلك المسيألة .

ومن ثم أرجح أحد القولين عن الشيخ الحملاوى بأن الإمام على (ﷺ) هو أول من وضع الصرف بما أنه أول من وضع النحو ، أو هو من وضع الصرف والنحو كليهما ، ولكن العلماء ، ركزوا تركيزا شديدا على النحو ، وبه بدءوا ، وافتتحوا به تواليفهم وكتبهم ، مُثَنين بالصرف ، مع أن ترتيبه علميا ومنطقيا أن يبدأ به ، ثم يأتي النحو بعده، نظام الكلمة أولا ، ثم نظام الجملة .

ونذكر برواية أخرى أخيرة حول وضع النحو تثبت أن واضعه ومؤسسه هو الإمام على (ﷺ) ثم نسج على منواله أبو الأسود الدؤلى ـ رضوان الله عليه ـ فما هي هذى الرواية ـ يرحمك الله ؟ ـ أكثر [٢] من رواية ، منها :

- قال محمد بن إسحاق : (زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبى الأسود الدؤلى ، وان أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين ، ﷺ) .
- قال أبو جعفر بن رستم الطبري : إنما سمى النحو نحوا ؛ لأن أبا الأسود الدؤلى

(١) سمى بالهراء لأنه كان يبيع الثياب الهروية نسبة إلى هراة في خراسان ، وتقع (هراة) الآن غرب أفغانستان بالقرب من الحدود الإيرانية ، أو إلى الشرق من هذه الحدود ، كما ذكر إلى الجنوب من الحدود التركمانية الأفغانية ، وشرق الحدود الأفغانية الإيرانية ؛ إذ أن تركمانستان تحد أفغانستان من الشمال الغربي ، في حين تحدها إيران من الشرق ، وأخيرا أزباكستان من الشمال ، جزء صغير من الحدود محدود بين جمهوريتي طاجاكستان وتركمانستان.

(٢) الفهرست لابن النديم ١٣٩.

قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) حين ألقى عليه شيئا من أصول النحو) انظر ـ رحمك الله ـ إلى التعبير : (ألقى ، أي أمير المؤمنين (عليه السلام) على أبى الأسود الدؤلى شيئا من أصول النحو) أي أن الإمام على هو من وضع أصول هذا العلم ، يقول أبو الأسود : (واستأذنته) أي أمير المؤمنين (أن اصنع نحو ما صنع فسمى ذلك نحوا) فأمير المؤمنين (عليه السلام) هو من وضع هذا العلم الذي شغل العرب والعجم على السواء ، كما أنه ـ كرم الله وجهه ـ هو من وضع اسمه ومصطلحه الخالد على مر السنين وكره الدهور (النحو).

- ولا ينسى القارئ الكريم أن الكوفة حظيت وقتها وحدها بثلاثة من القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد هم :

١ـ عاصم بن أبى النجود (ت ١٢٧هـ).

٢ـ حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ).

٣ـ على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩ هـ).

مع ملاحظة أن قراءة عاصم كانت الأقرب إلى عصر النبوة والصحابة (رضي الله عنهم) تلتها قراءة حمزة ثم الكسائى ، ولعل هذا ما قدمها على غيرها من القراءات الكوفية أو القراءتين الكوفيتين الأخريين .

وقد أمعنت النظر في سند القراءات الكوفية جميعها فوجدتها تتصل بأمير المؤمنين (عليه السلام) كيف ؟ قرأ عاصم على أبى الرحمن السلمي [١] (ت ٧٣ هـ) وقرأ أبو عبد الرحمن على علىّ (رضي الله عنه) وممن قرأ عليهم عاصم جعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨ هـ) وقرأ الصادق على آبائه [٢] ، وفى لطائف الإشارات القسطلانى [٣] : قرأ

(١) السابعة لابن مجاهد ص٧٠.
(٢) السابق ص٧٤.
(٣) ١/ ١٥٣.

جعفر الصادق على أبيه محمد الباقر ، وقرأ محمد الباقر على أبيه زين العابدين ، وقرأ زين العابدين على أبيه الحسين ، وقرأ الحسين على أبيه على بن أبى طالب (ﷺ) أجمعين ـ وجمعنا به في مستقر رحمته.

أما الكسائى [1] فقد قرأ على حمزة وعليه اعتماده فاخذ عنه القراءة ، وخلفه في الكوفة ، وقراءة حمزة كما سيأتي ترقى وترتفع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذا ما حققته في أكثر من مصدر ومرجع من الأمهات في القراءات القرآنية.

وإذا كان نافع رأى رسول رب العزة ـ أي في المنام ـ يقرأ في فيه ، فمن يومها وهو يشم من فيه رائحة المسك ، مع انه كان لا يمس طيبا ، ولا يقربه ، وإذا كان أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ) قد رؤى بعد وفاته ـ أي في المنام ـ في صورة حسنة قائلا لمن رآه : (بشر أصحابي وكل من قرأ قراءتي أن الله قد غفر لهم وأجاب فيهم دعوتي ، وأمرهم أن يصلوا هذه الركعات في جوف الليل كيف استطاعوا) [2] إذا كان الأمر كذلك فان حمزة الزيات قد حظي ببشارة ربه وتكريمه ومراجعة سند قراءته التي انتهت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) عن ابن عمه (ﷺ) عن جبريل ، عن رب العزة ، عز سلطانه ، كيف ؟ هذا ما نقص على القارئ الكريم :

قال سليم بن عيسى [3] (ت ١٨٨ هـ) وهو من أخص أصحاب حمزة الزيات [4] : دخلت إلى حمزة بن حبيب (ﷺ) يمرغ خديه في الأرض ويبكى!! فقلت :

---

(١) نعت بالكسانى لتسربله وقت الإحرام بكساء ، أي أنه لبس بعض الثياب (الكساء) عند الإحرام ، فأطلق عليه هذا النعت.

(٢) النشر لابن الجزري ١/ ١٧٨ ، ١٧٩.

(٣) كان إماما في القراءة ضابطا لها محررا حاذقا ، وكان أضبط أصحاب حمزة وأقواهم لحروف الزيات ، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة ، وقال يحي بن عبد الملك : كنا نقرأ على حمزة ، فإذا جاء سليم قال لنا حمزة : تثبتوا فقد جاء سليم.

(٤) سمى بالزيات لأنه كان يجلب الزيت إلى حلوان (العراقية) التي تقع إلى الشرق من العاصمة بغداد ، وقد توفى ودفن بمدينة حلوان العراقية.

أعيذك بالله ، ما هذا البكاء ؟! فقال : رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت ، وقد دعي بقراء القرآن ، فكنت ممن حضر ، فسمعت قائلا يقول بكلام عذب : (لا يدخل إلا من عمل بالقرآن) فرجعت القهقرى ، فهتف هاتف باسمى : (ابن حبيب الزيات) فقلت : لبيك داعي الله ، فبادرني ملك ، فقال : قل : لبيك اللهم لبيك ، فقلت كما قال .

فأدخلت دارا سمعت بها ضجيج القراء ، فوقفت أرعَد ، فسمعت قائلا يقول : لا بأس عليك ، اقرأ وارق ، فرقيت ، فأدرت وجهي ، فإذا أنا بمنبر من در أبيض ، ومرقاة - درجة من درجات المنبر - من ياقوت أحمر، فرقيت ، فقال لي : (اقرأ سورة الأنعام) فقرأت ، وأنا لا أدرى على من أقرأ، حتى بلغت رأس الستين آية (وهو القاهر فوق عباده)[1] قال : يا حمزة ، ألست القاهر فوق عبادي، قلت : بلى ، قال : صدقت ، اقرأ ، فقرأت الأعراف حتى بلغت أخرها فأوميت بالسجود ، قال :

- (حسبك ، فامض لا تسجد يا حمزة ، من أقرأك هذه القراءة ؟).
- (سليمان) يقصد شيخه سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨ هـ).
- (صدق من أقرا سليمان ؟).
- (يحيى).
- (صدق يحيى ، على من قرأ يحيى ؟) أي ابن وثاب (١٠٣ هـ).
- (على أبى عبد الرحمن) عبد الله بن حبيب السلمي (ت ٧٣ هـ).
- (صدق أبو عبد الرحمن ، من أقرا أبا عبد الرحمن) .
- (ابن عم نبيك ، على بن أبى طالب).
- (صدق على ، فمن قرأ عليا ؟).

---

(١) ٦١ الأنعام.

- (نبيك محمد ﷺ).
- (صدق نبيي ، فمن أقرا نبيي ؟)
- (جبريل عليه السلام)
- (فمن أقرأ جبريل ؟) فسكت ، قال :
- (يا حمزة ، قل : أنت) .
- (لا أحسن أن أقول) قال :
- (قل : أنت) فقلت :
- (أنت)
- (صدقت يا حمزة ، وحق القرآن لأكرمن أهل القرآن ، لاسيما إن عملوا بالقرآن ، يا حمزة : القرآن كلامي ، ما أحببت أحد كحبي لأهل القرآن ، ادن منى يا حمزة) فدنوت ، فغمس يده سبحانه وتعالى - في الغالية - وهى تشكيلة من أفخر أنواع الطيب كالمسك والعنبر - ضمخنى بها.
- قال : (لست أفعل بك وحدك هذا يا حمزة ، فقد فعلت بنظرائك من فوقك ، ومن دونك ، ومن قرأ القرآن ، كما قرأت، ولم يُرد غيري ، وما خبأت لكم عندي فأكثر ، فأعلم أصحابك بمكاني من حب أهل القرآن ، فهم المصطفون الأخيار ، يا حمزة : وعزتي وجلالي ، لا أعذب لسانا - تلا القرآن - بالنار ، ولا قلبا وعاه ، ولا أذنا سمعته ، ولا عينا نظرته) .
- (سبحانك يا رب)
- (يا حمزة : أين نظار المصاحف ؟)
- (يا رب : أي حفاظها) .
- (هم ، ولكنى لهم حتى يلقوني إلى يوم القيامة ، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة) .

- وبهذا ينتهي الحوار بين حمزة الزيات وبين ربه ليقول لمحدثه (أفتلومني أن أبكى ، وان أمرغ وجهي في التراب) [1].

كل ما سبق يشير ويؤكد أن حمزة (ﷺ) كان تقيا وصالحا ، وعند مات الكسائى ، على بن حمزة (ت ١٨٩ هـ) رؤى في النوم كأن وجه البدر، فسئل : (ماذا فعل الله بك ؟) قال : غفر الله لي بالقرآن ، ثم سئل : (ما فعل بحمزة الزيات ؟) قال : (ذاك في عليين ، ما تراه إلا كما يرى الكوكب الدري) أي المضيء.

ولكن الشيء الأهم هنا هو سند القراءة الكوفية إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنه إلى ابن عمه المصطفى (صلوات ربى وسلامي عليه وعلى آله) هذا السند الذي روجع على أمهات كتب القراءات ومصادرها ومنها :

- لطائف الإشارات لفنون القراءات [2] لشهاب الدين القسطلانى (ت ٩٢٣ هـ).
- النشر في القراءات العشر[3] لأبى الخير بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ).
- كتاب السبعة في القراءات [4] لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ).

والآن بعد أن فرغنا من الحديث حول أسباب شهرة رواية حفص عن عاصم - رضي الله عنهما وأرضاهما - يحسن أن تختتم بإشارة عجلي إلى أسباب شيوع رواية ورش على رواية قالون عن الأمام نافع ، ثم نعرج على أسباب شهرة المدرسة

---

(١) يمكن مراجعة هذى الرؤيا كاملة في :
- (التراث العربي في كتب تفسير الأحلام ، دراسة في اللغة - والثقافة والحضارة) للدكتور أحمد مصطفى أبو الخير القاهرة ٢٠٠٦ ص١٥٦ / ١٥٨.
- (صفة الصفوة) لابن الجوزى - ت ٥٩٧ هـ ٣ /.١٥٦
- (الإشارات في علم العبارات) تأليف العلامة خليل بن شاهين الظاهري ، طبع بالقاهرة ، بدون تاريخ، لكن ابن شاهين ذكر في نهاية كتابه أنه فرغ من تأليفه ١٠٩٦هـ ، انظر الرؤيا المشار إليها ٣٦/٣٦٠/٢.

(٢) ١ /١٥٣.
(٣) ص ٧٤.
(٤) النشر ١/ ١١٩.

المصرية في قراءة القرآن فنقول :

١- لا شك أن الذي نقل رواية ورش إلى مصر العامرة هو صاحبها عثمان بن سعيد المصري (ت ١٩٧هـ) والذي لقبه شيخه نافع بهذا اللقب لجمال صوته، لقد رحل إلى المدينة ليقرأ على الأمام نافع ، فقرأ عليه أربع ختمات في سنة ١٥٥هـ ورجع إلى مصر فانتهت إليه رياسة الإقراء بها ، فلم ينازعه فيها منازع مع براعة في العربية ومعرفة بالتجويد ، وكان جيد القراءة حسن الصوت ، إذا يهمز ويمد ويشدد ويبين الإعراب لا يمله سامعه [١] حتى قيل : إنه كان إذا قرأ على نافع أغشى على كثير من الجلساء [٢].

٢- شخصية أخرى كان لها فضل في ترسيخ رواية ورش في مصر ، إنه تلميذه أبو يعقوب ، يوسف بن عمرو بن يسار المصري المعروف بالأزرق (ت ٢٤٠ هـ) وكان محققا ثقة ، ذا ضبط وإتقان ، ولذا خلف شيخه ورشا في القراءة والإقراء بمصر ، لازمه مدة طويلة ، بل كان نازلا معه في الدار ، يقول : (قرأت عليه عشرين ختمة ، من حدر وتحقيق ، فأما التحقيق فكنت أقرأ عليه فى الدار التي يسكنها ، وأما الحدر فكنت أقرا عليه إذا رابطت معه بالإسكندرية) شيء منطقي أن يقرأ بالتحقيق في الدار عند السلم والأمن ، وهى القراءة المتأنية غير السريعة ، ولكن في الرباط في ثغر الإسكندرية كان يقرأ عليه بالحدر ، القراءة السريعة غير المتأنية التي تناسب ظروف الرباط ومتطلباته ، انظر أيها القارئ كان ورش وتلميذه خادمين من خدام القرآن الكريم ، وأيضا كانا من المرابطين في سبيل الله على أقرب الثغور إليهما.

---

(١) النشر : ١٣٣/١ . قراءة الأربعة الشواذ ... لأحمد مصطفى أبو الخير ، رسالة دكتوراه ، دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٣ ص ٣٥.
(٢) لطائف الإشارات ١/ ١٠٠.

بل إنه أحد طرق رواية ورش وواحد من تلامذته وهو أبو العباس ، الحسن ابن سعيد بن جعفر (ت ٣٧١هـ) والذي لقب في نهاية اسمه بالمطوعيّ ، نسبة إلى (المطوعة) هؤلاء القوم كانوا يأتون إلى الثغور والمناطق التي هددها أعداء المسلمين ليرابطوا فيها ، ويقيموا فيها القلاع والحصون والمجتمعات المتكاملة ، مدنيا من ناحية التجارة والبيع والشراء والمعيشة والتعليم ، وعسكريا التدريب والاستعداد لملاقاة العدو في أية لحظة ، يعتمدون على أنفسهم وعلى التمويل الذاتي دون أن يكلفوا الدولة شينا من النفقات أو المساعدة ، فكرة مهمة ليتنا نتكرم بدراسة هذه الظاهرة في تاريخنا ، وقد سألنا بعض الباحثين في التاريخ فصرحوا بأن أحدا لم يتكرم - إلى الآن - بدراسة ظاهرة المطوعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

دراسة التاريخ بالغة الأهمية لفهم جذور الواقع المعاش ، كما أن هذا الواقع بحاجة ماسة إلى الإفادة من التجارب السابقات التي يمكن أن ترفع من شأن هذا الواقع وإمكانياته وأن تطور العمل الفدائي الاستشهادية ، وهو عمل تطوعي في المقام الأول والأخير ، فإن الأمة لكي تنهض لابد أن تهتم بجذورها وتاريخها والتجارب المفيدة في هاتيك الجذور وذياك التاريخ.

على أية حال فقد غلبت رواية ورش فترة ما على أهل مصر والمغرب لا يعرفان غيرها ، أما من جاء بها إلى مصرنا فهو ورش - كما سبق - وقد جاء من بعده من عمق جذورها ، وثبت أوتادها في مصرنا مثل الأزرق وتلميذه عبد الله بن مالك التجيبى المصري (٣٠٧ هـ).

فمن نقلها إلى الأندلس وغرب إفريقية ؟ إنه أحد تلامذة ورش المسمى : يونس بن عبد الأعلى الصدفي (ت ١٩٧ هـ) [١] ومن المغرب انتقلت شمالا إلى

---

(١) قراءة الأربعة الشواذ ... لأحمد مصطفى أبو الخير ، رسالة دكتوراه ، دار العلوم ١٩٨٣، ص٣٥.

الأندلس ، بسبب شدة الارتباط ووثاقته بين المنطقتين ، ومن المغرب إلى السودان الغربي - غرب إفريقية - ثم وسطها للسبب عينه، وبسبب الطرق التجارية وطرق القوافل التي ربطت منطقة مغرب العرب بجنوبه ، وجنوب الصحراء الكبرى [1] ، تلك الطرق التي لم تكن فقط طرقا للتجارة ، بل كانت أيضا طرقا للحضارة والاستنارة ، ولذا فإن الكثافة السكانية المسلمة تجدها دائما على طرق البر القديمة ، ليس في القارة السمراء فقط ، بل في آسيا [2] أيضا .

إذن رواية ورش أو قل : مدرسة ورش وجدت لها أنصارا أقوياء ، تلامذة حافظين ضابطين معلمين لها ما جعلها تنشر في القارة الحبيبة إفريقية ، من مصر ونقلها حتى المغرب ثم الأندلس وغرب القارة ووسطها ، ما جعلها - أيضا - تسبق رواية قالون ، مع إن كلتا الروايتين خرجتا من مشكاة واحدة ، هي قراءة الإمام نافع التي تعطرت بأريج المدينة المنورة المعطرة ، بل تمتد جذور نافع بن أبى نعيم إلى أصبهان التي جاء منها صغيرا مع السبي حتى صار نجما من نجوم القراءة في مدينة النبي الأكرم (ﷺ) وانتشرت قراءته من طيبة إلى ما ذكر في القارة الحبيبة.

كل هذا على غير ما حدث لرواية قالون ، لم تجد لها رواة إلى مصر فضلا عن المغرب والأندلس ، لقد ذهبت رواية قالون شمالا إلى العراق ، ولم تتجه غربا إلى مصر ، طريقا رواية قالون كانا :

- أبا جعفر محمد بن هارون (البغدادي) المعروف بأبي نشيط - ٢٥٨ هـ - رحمه الله .
- أبا الحسن، أحمد بن يزيد (الحلواني) - ت ٢٥٠ هـ - نسبة إلى حلوان، شرق بغداد.

---

(١) انظر : أطلس تاريخ أفريقية تأليف كولين ماكيفيدى ، ترجمة مختار السويفى ، القاهرة ص ٨٦.
(٢) انظر دراستنا : طريق الحرير ، في كتابنا العربية في بلدان غير عربية.

واستمرت رواية قالون وتلامذتها في هذا المعقل العراقي ، فطرق الحلواني والبغدادي السابقين وتلامذتهما كانوا أيضا من ذات المنطقة مثل :

- أبى على بن سعيد (البغدادي) توفى قبيل ٣٤٠ هـ .
- جعفر بن محمد (البغدادي) [١] توفى في حدود ٢٤٠ هـ .

ولهذا كله لم تستطع رواية قالون عن نافع أن تصل إلى ما وصلت إليه رواية ورش ، بل بقيت فقط في ليبيا وموريتانيا وبعض مناطق تونس الخضراء وجزائر المليون شهيد.

أما سبب انحصار رواية الدوري عن أبى عمر أو انحسارها في بعض المناطق السودان - في الغرب منه - وتشاد ونيجيريا ووسط إفريقية ، فإن هذا يحتاج إلى دراسة خاصة ، نأمل أن نقوم بها قريبا ، خاصة أن شقيقي الباحث الدكتور السيد أبو الخير يصف ولاية دارفور غرب السودان بأنها ولاية القرآن ؛ لكثرة القراء بها .

ونبقى مع رواية ورش لنساءل: هل كان هذا الرجل أساس القراءة المصرية أو المدرسة المصرية في القراءة والتي تتميز على غيرها من مدارس القراءة ؟ ونقصد بهذا الطريقة المجودة ، أو المصحف المجود ، في مقابل المصحف المرتل أو القراءة المرتلة ، أتصور أن ورشا - رحمه الله - كان أساس هذه المدرسة المتميزة أو القراءة المصرية ، فقد وصف هذا الرجل دون غيره من أئمة القراءة وشيوخها بأنه كان (حسن صوت مدادا به - لا يمله سامعه - إذا قرأ على شيخه الأمام نافع أغشى على الكثير من الجلساء) ومن ثم فأن الأقرب إلى المنطق أن يكون ورش

---

(١) راجع : لطائف الإشارات للقسطلانى ١٠٦/١، ١٠٧.

أساس القراءة المصرية المجودة التي يتميز بها قراء مصر إلى الآن ، إضافة إلى الدقة الشديدة في القراءة المصرية التي لا يشق لها غبار في العالم أجمع حتى الآن .

وقبل أن نستمر مع ورش ومدرسته المصرية تشير إلى أن مصر حظيت بشخصية أخرى ، وإن كانت مهاجرة إليها إنه العلامة الحافظ أبو الخير ، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) إن هذا الرجل كان له القدح المعلى في ارتفاع شأن المدرسة المصرية في القراءة ، ويكفى أن نشير إلى أن الإجازات المكتوبة التي حصل عليها قراء مصرنا كلها تنتهي إلى أبى الخير الجزري وتحت يدي عديد منها مصور ، منها شهادة لأحد شباب حلوان المصرية ، حصل عليها من ٣ سنوات فقط ، أي سنة ١٤٢٧ هـ .

على أية فإن القراءة المصرية ارتفعت إلى قمة القراءة جمالا ودقة بفضل عدة عوامل ، منها الأزهر الشريف وانتشار الكتاتيب ، وقراءة القرآن في المآتم ، ثم دخل عامل مهم في النصف الأول من القرن العشرين ، أنشئت الإذاعة المصرية (١٩٣٤م) فكان لابد من افتتاحها بالقرآن الكريم ، ولم يجدوا غير نجم القراءة في ذياك الزمان الشيخ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ (ت ١٩٥٠م) وبعد أخذ ورد وافق الشيخ ، ثم قدمت الإذاعة المصرية بعد ذلك نجوم القراءة في العصر الحديث وفرسانها الشيوخ (على محمود ـ عبد الفتاح الشعشاعى ـ محمد صديق المنشاوي ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ عبد الباسط عبد الصمد ـ محمود خليل الحصرى ـ غلوش ـ نعينع ... الخ)

هذه الطريقة المجودة التي قلدها كثير من قراء العالم ، من الإيرانيين والماليزيين ، وما تزال هذه الطريقة هي المفضلة لدى كثير من مستمعي القرآن الكريم.

جدير ذكره أن الإذاعة المصرية خاصة فيما سمى بالحفلات أو التسجيلات الخارجية أي خارج دار الإذاعة كانت في كثير من الأحيان لا تحصر نفسها في رواية بعينها أو قراءة ، لاسيما رواية حفص أو ورش ، بل كانت تنطلق إلى سائر القراءات السبعية والعشرية ، وهو ما يعد وثيقة مهمة تسجل هاتيك القراءات والروايات.

وفى سنة ١٩٦٤ في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت إذاعة القرآن الكريم من قاهرة المعز ، حيث بدأ ما يسمى بالمصحف المرتل في مقابل المصحف المجود الذي سار على الطريقة المصرية المعهودة وأذيع المصحف برواية حفص [1] ثم ورش ، ثم اقتصر على الأولى فقط ، لكن في الآونة الأخيرة بدأنا نسمع القراءة برواية ورش وقالون بل غيرها من الروايات للقراءات العشرية بصوت الشيخ محمود خليل الحصرى ، يسبقه شرح من احد علماء القراءات.

وقد ذكر الدكتور لبيب السعيد[2] : (في سنة ١٩٦٢ شُرع - في مصر - في تسجيل رواية الدوري أبى عمرو وهنا بعث السودان بنسخة مخطوطة من المصحف مضبوطة بالشكل وفقا لرواية الدوري للانتفاع بها عند التسجيل الصوتي ، وقد رأيت تصويرها قبل إعادتها ، وتولت هذا دار الكتب المصرية لحساب وزارة الأوقاف ، معنى هذا أن هناك مصحفا لهذى الرواية ، وإن كان مخطوطا ، أما خطوة تسجيل الرواية التي تمت (١٩٦٣م) فقد رحب عدد من علماء البلدان التي تقرأ بتيك الرواية بتسجيل المصحف المرتل برواية الدوري ، وسعوا إلى هذا المطلب قبل الثورة المصرية (١٩٥٢م) [3] .

---

(١) بدأ أول تسجيل صوتي للمصحف المرتل برواية حفص بصوت الشيخ محمود خليل الحصري ١٩٦١، حيث أذيع أولا من إذاعات القاهرة ، ثم اختصت به إذاعة القرآن الكريم المصرية مع غيره من تسجيلات المرتل.

(٢) الجمع الصوتي للقرآن الكريم ، أو المصحف المرتل القاهرة ١٩٨٧ ص ٩١.

(٣) السابق ، ص ٦١ ، ٩١.

اقتدت بعض الدول العربية بالمصحف المرتل ، فحاول قراؤها تقليد هذه الطريقة المرتلة ، بل أنشأت إذاعة القرآن الكريم ، أو قل أنشأت إذاعات للقرآن الكريم في غير القاهرة ، من مكة ومن غيرها من الحواضر العربية.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت فضائيات خاصة بالقرآن الكريم تلكم الفضائيات اهتمت بتقديم روايات أخر غير حفص بعض الفضائيات مثل الكوثر الإيرانية قدمت نماذج من القراءة المصرية المجودة ، خاصة في التسجيلات الخارجية والتي ينطلق فيها القارئ إلى القراءات العشرية ، دون أن يحصر نفسه في رواية حفص أو غيرها ، وربما كان هذا اقتضاء بإذاعة القرآن الكريم التي تتحف مستمعيها كل ليلة بتسجيلات نادرة ، أو بتسجيلات خارجية تتعطر بسائر الروايات والقراءات العشر دون انحصار في رواية حفص أو غيرها.

والآن نقدم بعض خصائص رواية ورش الأبرز التي يمكن من خلالها أن يتعرف المستمع على تيكم الرواية :

١ـ حذف الهمزة إذا سكن ما قبلها ، لتنتقل حركة الهمزة إلى الساكن الذي قبلها ، مثل (خلق الأرض) بحذف الهمزة من كلمة الأرض وإعطاء الفتحة للام قبلها.

٢ـ تغليظ اللام ـ أي تفخيمها ـ إذا سبقت بصاد أو طاء أو ظاء ، مثل : (صلاة ـ يصلى ـ الطلاق ـ ظل ....).

٣ـ المد الشديد الواضح والتأني في القراءة (التحقيق) فيما بعد الهمزة ، وليس قبلها فقط ، كما يمد الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلها، مثل : (آتى ـ دعائي ـ يؤوسا ـ رءوف ـ شيء ـ سوءة).

بهذا تستطيع أيها المستمع أن تتعرف على رواية ورش ، أما رواية حفص فتذكر أنه لا إمالة فيها البتة إلا في هود : (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) إضافة إلى

السكت في المواضيع الأربعة (أول الكهف : عِوَجًا) - (يس : مَّرْقَدِنا) - (القيامة : مَنْ رَاق) - (المطففين : بَلْ رَانَ).

كل ما سبق لا شيء منه في رواية قالون ، إنها أيضا تختار التوسط في القراءة ، وليس التحقيق ، والتاني الشديد ، كما في رواية ورش ، وهذى بعض خصائص القراءات الأخرى المميزة لها حتى يستطيع المستمع التعرف عليها :

١- تتميز قراءة حمزة الزيات بالسكت على الساكن ، ويقع بعد همز أو غيره مثل : (مَنْ آمَنُوا - خَلَوْا إلى - فِي آذَانِهِم - الْمَرْءِ - الْخَبْءَ) نوع من توكيد الهمز ، على عكس رواية ورش التي تحذف الهمزة إذا سكن ما قبلها.

٢- اشتهر أبو عمرو بما سمى الإدغام الكبير ، إذا كان الصوت الأول المدغم متحركا ، أما إذا كان هذا الصوت ساكنا فهو الإدغام الصغير ، مثل : (إذ صرفنا بإدغام الذال في الصاد ـ لقد ذرأنا ←بإدغام الدال في الذال) ، ومثال الإدغام الكبير (نسجك كثيرا ← بإدغام الكاف في الكاف - رسل ربك ← بإدغام اللام في الراء).

والآن كف القلم وانكف عن الكتابة الآن ، ونفدت صفحات هذه المادة التي وضحت أسباب شيوع رواية حفص على غيرها من الروايات ، والقراءات التي رأيتها لما تزل على الساحة موجودة ، وإن توارت حتى ظهرت عليها رواية حفص عن عاصم.

ولله الأمر من قبله ومن بعده ، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم - ولا فخر - على آلة الأكرمين المنتجين إلى يوم الدين يا رب العالمين.

المادة الرابعة عشرة
{١٤}

اللهجة المصرية الحديثة والمعاصرة هي أوضح اللهجات العربية على الإطلاق ، وأكثرها انتشارا في العالم العربي - وفهما - على الإطلاق ، تليها اللهجة اللبنانية ، وفي الطرف المقابل تماما تماما اللهجتان المغربية والجزائرية

في اللغة العربية - كما في غيرها من لغات العالم - فصحى ولهجات ، العربية ليست بدعا بين اللغات في هذا ، وإن امتازت العربية وانمازت عن غيرها بسعة الهوة بين العامي والفصيح ، خاصة في لهجات كالمغربية والجزائرية.

والسبب في تيكم الهوة واتساعها هو اتساع المساحة الزمانية والمكانية للغة العربية ، فهي زمانا وفي التاريخ عمقا من أطول اللغات عمرا ، إن لم تك أقدمها على الإطلاق.

وفي المكان والجغرافيا هي أكبر اللغات مساحة ، لا يفوقها غير الروسية التي تصل مساحتها إلى ١٨ مليون كيلو تقريبا ، ولكن معظم هذه المساحات الأخيرة صحراوات جليدية في شرق البلاد ، وأقصى الشرق منها.

في حين نجد وطن العربية ١٤ مليون ك تقريبا ، في وسط العالم وسوانه ، وفي أميز بقعة وموقع ، وسط العالم ، مع مناخ معتدل ، لا مثيل له ، لا حر شديد ، ولا برد ساقع وصقيع ، ليس فيه جبالات شاهقات ولا وهاد منخفضات ، لا فواصل طبيعية ، تحجب جزءا منه عن الآخر ، قطعة من الأرض تشبه المنديل المتساوي أو المتساوق.

سكان الوطن العربي في الداخل والمهاجر يقتربون الآن من نصف المليار ، فالعربية الرابعة من حيث عدد المتكلمين بها ، بعد الصينية والهندية والإنجليزية.

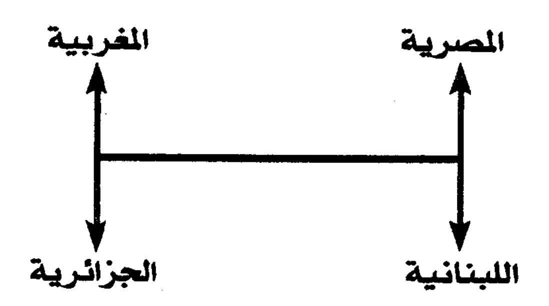
ولكل هذي العوامل ، اتساع المساحة في الزمان والمكان وكثرة عدد المتحدثين بها كانت الهوة واسعة بين المستوى الفصيح والعامي ، أو بين اللغة الرسمية التي تستخدم في المواقف الرسمية الجادة ، ذات الشان والخطر ، وبين العاميات التي تستخدم في الوطن بين الناس في الأسواق والبيوتات في أمور معايشهم المعتادة.

ولكن لا ينبغي - وبرغم هذا - أن نغض النظر عن عوامل أخرى ، مثل الاستعمار الذي حاول زرع لغاته في قلب الوطن العربي ، واستنبات ثقافته في التربة العربية ، وهذا ما سنعرض له في ثنايا كلامنا.

نستفتح بالذي هو حق وصح وحقيق ، اللهجة المصرية أوضح اللهجات العربية المعاصرة على الإطلاق ، ليس هذا رأيي أنا فقط ، بل رأى باحثي العربية وفرسانها ، مثل المستشرق الهولندي الكبير كيس فيرستيخ صاحب كتاب : (اللغة العربية : تاريخها ومستوياتها وتأثيراتها [1]) سفر جليل لخص تاريخ العربية وحاضرها وتأثيرها بدقة وتركيز وشديد الوضوح ، فليرجع إليه القارئ ، إن شاء.

(١) ترجمة عن الإنجليزية محمد الشرقاوي ، ونشر بالقاهرة ٢٠٠٣م.

وأستطيع أن أصور درجة وضوح اللهجات الحديثة في وطن العرب بأنها تشبه الخط ، أحد طرفيه من اليمين اللهجتان المصرية واللبنانية ، خاصة في بيروت ، والمصرية خاصة اللهجة القاهرية منها ، وفي المقابل في الطرف الآخر القصي البعيد المغربية والجزائرية ، هكذا :



وفيما بين هذي الأربع تأتي اللهجات العربيات الأخريات بهذا الترتيب الذي نجتهد فيه :

- الفلسطينية.
- السورية.
- العراقية.
- اليمنية.
- السعودية (والخليجية) بشكل عام.
- الليبية.
- التونسية.

أما السبب في شدة وضوح اللهجة المصرية فله عوامل تشبه التي سبقت في تصدر المدرسة المصرية في القراءة ، فمن أهم هذي العوامل :

١ - الكتاتيب : كانت هذه المؤسسة من أهم العوامل في شدة وضوح اللهجة المصرية ، كما كانت الأمة داعمة لها دائما على مر الزمان وإلى الآن ، برغم زحف مدارس اللغات الأجنبية على جسم التعليم في بلدنا.

فالطفل الذي يبدأ بحفظ القرآن الكريم ونطقه نطقا سليما بشكل عام يمرن لسانه ، وتتضح لديه مخارج الأصوات ، خاصة الصوامت (الحروف) ويبني بعد ذلك على هذا الأساس المتين.

وكانت الكتاتيب القاعدة الأساس والمعبر إلى باقي مراحل التعليم الأخرى التي يمكن أن يدخل إليها التلميذ الصغير ، ما شكل انطلاقة مهمة وصحيحة لنطق واضح شديد الوضوح.

٢- الأزهر : في فترة من فترات تاريخ مصر والعالم العربي كان الأزهر ، ولا شيء معه ، هو المؤسسة التعليمية الوحيدة العتيدة والمتكاملة ، وليذكر الناس أن الجامعة الأهلية ، أو جامعة فؤاد الأول والتي أصبحت - فيما بعد - جامعة القاهرة كانت قد بدأت ١٩٠٨م في بداية القرن العشرين.

في رحاب الأزهر كانت تدرس العلوم العربية والشرعية ، لا يقبل فيه إلا من حفظ القرآن الكريم حفظا تاما جيدا ، ما شكل قلعة حصينة لنطق عربي فصيح وسليم انعكس على العامية أيضا وطعّمها بمفردات وتعبيرات فصيحة غاية الفصاحة ، كما انعكس أيضا على العامية في وضوح أصواتها ، والتأني في نطقها.

٣- حركة الأدب والثقافة في مصر : وكانت حركة رائدة ليس مصر فقط ، ولكن في العالمين العربي والإسلامي ، واستقطاب مصر لرواد حركة الإصلاح كالأفغاني وتلامذته من بعده محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم وغيرهم.

كما نشطت الحركة الأدبية والثقافية في مصر منذ البارودي في نهاية القرن التاسع عشر ، واكتسب زخما شديدا في النصف الأول في القرن العشرين بظهور الأدباء والمفكرين والكتاب المصريين الذين ذاع صيتهم في مصر وخارج ، محمد حسين هيكل ، العقاد ، المازني ، الزيات.

كل هؤلاء أعطوا زخما شديد الحركة التأليف بالفصحى ، مما انعكس أيضا على العامية المصرية قربا من الفصحى ووضوحا في النطق ، فقد كانت هذي المؤلفات مثار نقاشات وحوارات بين جماهير القراء ، فضلا عن النقاد والمثقفين والأدباء والمفكرين.

وقد وصل صيت هذه الحركة المصرية منذ وقت مبكر ـ نهاية القرن التاسع عشر ـ إلى أقصى الشرق من العالم الإسلامي ، إلى إندونيسيا ، فرأينا عديدا من الصحف العربية كانت توزع في المستعمرة الهولندية ، جاءت من القاهرة والإسكندرية ، ومن استانبول أيضا ، فضلا عن (العروة الوثقى) من باريس [1].

وفي وقت لاحق اعتبرت صحيفة المنار الإصلاحية ـ وكان مقرها قاهرة المعز ـ الدوائر الإصلاحية في الهند الشرقية الإصلاحية في عداد قرائها ومراسليها [2].

كل هذا دل على قوة الحركة المصرية الأدبية والثقافية والإصلاحية ، والتي امتد تأثيرها ونورها ، ليس في مصر والعالم العربي فقط ، ولكن إلى أقصى نقطة وأبعد في جناح العالم الإسلامي الشرقي ، وهو إندونيسيا.

٤ـ وسائل الإعلام المصرية : قبل الإذاعة المصرية ١٩٣٤م كانت هناك :

(١) مولمان : اللغة العربية في إندونيسيا ، ترجمة د. أحمد أبوالخير والدكتور أحمد فريد ، القاهرة٢٠٠٢ ص٥٦ ، ٥٧.
(٢) السابق.

إذاعات مصرية خاصة يديرها أفراد يقولون ما يشاءون ، ويفعلون ما يرغبون ، وعندما افتتحت أول إذاعة مصرية حكومية بدأت بالقرآن الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ ثم بقية المشاهير الذين عرفتهم مصر والعالم أجمع.

وعندما بدأت الإذاعة في منتصف الثلاثينات كانت قضية الفصحى والعامية مطروحة بقوة ، فهل يكون البث بالفصحى اللغة الرسمية والمفهومة لدى العرب وغير العرب ، من متعلمي العربية ـ عبر العالم ـ أم يكون البث بالعامية ، لغة الناس في البيت والشارع والحقل والمصنع ؟ وهنا طرح رأيان ، الأول الفصحى ، والثاني العامية القريبة جدا من الفصحى ، أو التي إذا قرئت كانت فصيحة ، وإذا نطقت كانت عامية ، وفي كلتا الحالتين كسبت العامية المصرية وضوحا في نطقها ، وقربا شديدا جدا من شقيقتها الفصحى.

حتى هذه القضية كانت مطروحة في الأدب والمسرح والرواية ، فهل يكون كل هذا بالفصحى ؟ وفي هذه الحالة سوف نجد الخادم وست البيت ومن لا ثقافة لهم ينطق بفصحى المثقفين ، وهو ما لا يناسب شخصيته ، وكان الرأي الآخر أن تقدم عامية راقية قريبة من الفصحى ، أو كأنها الفصحى ، لا تستخدم فيها الألفاظ والتعبيرات المفرقة في العامية ، ولا الألفاظ والتعبيرات المعقدة الصعبة الغريبة على مفاهيم الناس وعقولهم.

وهنا أيضا وحسب هذا الرأي الأخير ارتقت العامية وأصبحت من الفصحى قريبة ، واضحة في نطقها وفي معانيها ومراميها.

وكان من أمثلة هذي الأعمال مسرحية (الصفقة) لتوفيق الحكيم ، حيث قدم النموذج السابق في الحوار بين شخصيات المسرحية.

على أي الأحوال سارت الأمور على هذا النحو حتى ظهور شخصية جمال عبد الناصر ـ رحمه الله ـ وانتشار الإذاعات المصرية الجديدة (صوت العرب ـ الشرق الأوسط ـ وادي النيل) ... الخ ثم الإذاعات الموجهة إلى إفريقية وآسيا باللغات المحلية لهذي المناطق.

كانت هذي الإذاعات من جانب تعلى من شأن الفصحى أو تقرب العامية إليها ، وعندما كان العرب من المحيط إلى الخليج يستمعون إليها ، كانوا إما يسمعون فصحى سهلة بسيطة أو عامية قريبة منها.

هذه الإذاعات المصرية كانت ولا شيء معها ، ثم سعت الدول العربية إلى إنشاء إذاعات خاصة بها ، بمساعدة الكوادر المصرية من المذيعين والفنيين ... الخ فمن النادر أن تجد مذيعا مصريا لم يعمل ولسنوات طويلة ربما تزيد عن عشرين عاما في هذه الدولة أو تلك.

ثم أطل علينا عصر الفضائيات ، الفصحى مفهومة لدى كل الناس ، من العرب وغير العرب ، عامية بعض القنوات غير مفهومة ، وهذا ما سوف نشير إليه في موضعه.

٥- الدراما المصرية : ذات القضية كانت ملحة في البداية ، هل تكون الدراما ـ خاصة الحوار ـ بالفصحى أو العامية ، وفي هذه الحالة كانت النتيجة واحدة ، أي الفصحى أو العامية القريبة منها.

وعندما كانت الدراما المصرية وحدها في السينما والمسرح والإذاعة انتشرت هذه الأعمال في عالمنا العربي ، ونالت شهرة كبيرة بين العرب ، وأستطيع التوكيد بأن وضوح اللهجة المصرية كان وراء هذا الانتشار الواسع للدراما المصرية ، وأنا

أستمع الآن إلى أنواع الدراما العربية ، السورية ، أو السعودية ـ على سبيل المثال ـ أحس الإغراق الشديد في العاميات المحلية ، وبما أنك ـ يا سيدي ـ تقدم عملك إلى العرب ، فعليك أن تختار لغة مشتركة غير مفرقة في عاميتك.

والشيء الثاني الأهم هو أن هذه العامية غير مفهومة في بعض مفرداتها وعباراتها حتى بالنسبة لي كلغوي ، ومتخصص في اللغويات العربية.

وليس المقصود أن تخلو الساحة إلا من الدراما المصرية ؟ كلا وعلى العكس ، نحن نريد أن نرى الدراما تزدهر في الوطن العربي كله ، خاصة بعد أن أصيبت الدراما المصرية بالشيخوخة الواضحة.

والحل الثاني أن تستخدم الدراما العربية الفصحى فقط ، كما حدث في بعض الأعمال المشتركة بين فنانين مصريين وسوريين.

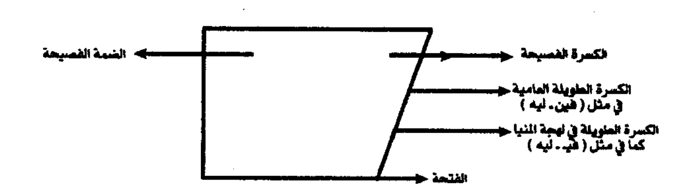
انتهينا من كل ما سبق إلى شدة وضوح اللهجة المصرية على غيرها من العاميات المعاصرة ، وحاولنا أن نبين أسباب هذا الوضوح ، وذياك الانتشار والشيوع .

تلي اللهجة المصرية لهجة لبنان ، وبالأحرى لهجة بيروت العاصمة الأبية ، هل اللهجات خارج الحاضرة اللبنانية تختلف عن عامية بيروت ؟ بلا شك ، المنطق والدراسة تقول : نعم ، ولكن هذي الاختلافات طفيفة ، ولا يؤبه لها ، كيف ولمه ؟ لبنان بلد صغير المساحة ، من شرقه إلى غربه = ٤٠ ك تقريبا ، من الشمال إلى الجنوب ، ومن الجنوب إلى الشمال فوق المائة كيلو تقريبا ، المساحة إذن = ١٠ آلاف ك ، السكان أقل من خمسة ملايين نفس في الوطن ، ٢٠ في المهاجر.

مثال : في خضم حرب ٢٠٠٦ كانت تأتي امرأة لبنانية ، يبدو أنها من الجنوب

ويبدو أنها عامية ، كانت تدعو على إسرائيل ، وتنطق الياء ممالة نحو الألف ، كما تنطق الياء العامية المصرية في مثل (فيه ـ ليه) ممالة نحو ألف المد مثلما تنطق في لهجة المنيا (جنوب القاهرة).

أو بمعنى أدق تنطق الكسرة الطويلة في (إسرائيل) أمامية ، نصف متسعة ، كما نقول في علم الأصوات ، وليس أمامية ضيقة كما في نطق الكسرة العربية في الفصحى طويلة أو قصيرة ، هكذا ، وإن بشكل تقريبي :



أما لماذا كانت اللهجة اللبنانية أوضح اللهجات بعد المصرية ؟ فلعل الشخصية اللبنانية المنفتحة ، خاصة على مصر هي السر وراء هذا ، وخاصة إذا عرف أن اللهجة المصرية هي أوضح وأشد اللهجات العربية انتشارا في الوطن العربي.

إضافة إلى روح المودة والاختلاط بين الشعبين ، حيث عاش كثير من الفنانين المصريين في بيروت ، وإلى الآن ، كما عاش كثير من الفنانين اللبنانيين في مصر أيضا.

وعندما زرت بيروت للمرة الثانية قيل لي هذا الشجر زرعه إبراهيم بن محمد علي ، ولما دخلت إسرائيل الحاضرة اللبنانية في اجتياح ١٩٨٢ قطعوا هذه الأشجار بحجة أن الفلسطينيين كانوا يختبئون فيه ، ولكن اعتزازا بهذا العمل فقد قام أبناء العاصمة بيروت بزرعها مرة أخرى وبنفس النوعية من الأشجار التي زرعها إبراهيم باشا.

وقد لاحظت في زيارتي ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦ أن القوم ممتنون كثيرا لما قدمته مصر من أجلهم ، سيما ما قدمه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وبشكل أخص جامعة بيروت العربية التي تخرج فيها كثير من علية القوم ووجهائهم.

ويذكرون أنه في أعقاب نكسة ١٩٦٧ قامت حملة قوية في لبنان لجمع التبرعات للجيوش العربية ، كان أهل لبنان الفقراء يتسابقون بكل لديهم من حلي ومصوغات وممتلكات يقدمونه عن رضا وطواعية.

وبعد هذا تأتي اللهجات العربية التي تلي اللهجتين المصرية واللبنانية إلى أن نصل إلى الطرف الآخر ، إلى اللهجتين المغربية والجزائرية ، حيث غياب الوضوح الذي يمكن أن يكون تاما ، خاصة من قبل غير المتعلمين ، وغير المثقفين ثقافة عربية.

ولعل السر في هذا أن اللهجتين اكتسبا عناصر أجنبية عن العربية ، أولها اللغة البربرية قديما ، ثم الفرنسية في العصر الحديث ، بل والأسبانية في المغرب أيضا.

وبطبيعة الحال عندما يتكلم بعض أبناء الجزائر أو المغرب بالفصحى فإنها بلا شك تكون مفهومة وواضحة.

والحل في رأيي العودة إلى نظام الكتاتيب وحفظ القرآن في الصغر للنقش على الحجر ، وليس على الماء ، هذا الحفظ في البداية والطفولة قمن أن يفك عقدة لسان الطفل الصغير ، وأن يجعل نطقه واضحا مفهوما في كبره.

انتهينا الآن من المادة الرابعة عشرة من دستور لغتنا ومن شرحها ، حيث انتهينا إلى أن أوضح اللهجات العربية على الإطلاق هي الآن المصرية فاللبنانية ،

وعلى الخط من الجهة المقابلة المغربية والجزائرية ، وبينهن لهجات أخر تتفاوت وضوحا وفهما ، وقد حاولنا إيجاد تفسير لكل ما سبق.

والآن ننتقل من المادة الرابعة عشرة إلى المادة التالية ، الخامسة عشرة بحول الله وقوته.

المادة الخامسة عشرة

{١٥}

اللغة العربية دائما لغة قيم ومبادئ

نبدأ أولا في البدء بكلام العلامة العقاد ـ رحمه الله ـ ثم نثني بما نرى ونرغب ، إذ يقول : الشعر ديوان العرب ؟ كيف ؟ كان العربي ـ ولا يزال ـ يرجع إلى الشاعر في مذاهب الأخلاق.

هذا شاعر العرب والعربية الحكيم أبو تمام يقرر حقيقة علمية بارزة في بيته :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى   بناة العلى من أين تؤتى المكارم

لم يقل الشاعر : (من أين تؤكل الكتف) كيف يصل الإنسان إلى هدفه أو جملة أهدافه بأي طريق ، وإنما قال : أين تؤتى المكارم ؟.

ففي الشعر العربي تنويه بكل صفة من صفات المروءة والفتوة ، ازدراء بكل عيب من العيوب التي تشين صاحبها وتعيبه بين قومه وأهليه ، وبيان وافٍ للأخلاق التي تحكم الحياة فعلا ، أو التي ينبغي أن تحكمها ، وتتراءى مرجحة مشرقة بين سائر الأخلاق.

تحث العربي على الشجاعة والإقدام ، فإذا عاش ، عاش عيشة الكريم ، وإذا مات ، مات ميتة الكريم ، فإذا خوفوه بالعمر القصير ، قال : ما أقرب اليوم من غد ، وإن غدا لناظره ، أو قال : إن العمر طال أو قصر كالحبل الذي يربط به البعير ، طرفه الآخر بيد القدر ، لا يدري أحد متى يجذبه.

وعندما جاءت ابنة حاتم الطائي تفتدي نفسها من الأسر والسبي ، قال سيد الخلق : (خلوا عنها ، إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق).

وهكذا رسم الشعر العربي - ديوان العرب - ملامح القيم والأخلاق ، وشرعة الرجولة في نموذج أخلاقي حي ، هو حلم مع قوة ، وعفة مع شجاعة ، وكرم مع وداعة وطيبة ، حقيقة ماثلة واقعة ، ليست أمنية من أماني المثل العليا.

وعلى هذا النحو يفتح الشعر للعربي متحفا حافلا بأنماط الحياة ، ويصور بها القيم الأخلاقية في شخصية تتناسق وتتجاوب في سلوكها وفي تعبيرها عن هذا السلوك [1].

انتهى ما قبسنا عن العلامة العقاد ، وإن بتصرف ، والآن إلى كلامنا وتحليلنا لنقول :

في دروس تعلم اللغة الإنجليزي - ذات الصيت المدوي - نجد أمثلتها حاضة دائما على قيم الغرب وفساد الغرب ، أقرب مثل عندهم (ماري تقبل جون) أو (جون يقبل ميري) وكأن اللغة ضاقت إلا من هذا المثل.

وهم يستخدمون الحكاية في تعليم لغتهم ، وهذي إحدى الحكايات التي استمعت بنفسي إليها ، زوجان شابان ينامان في سريرهما ، لكن الزوجة تريد أن ينام كلبها معهما ، والزوج فقط متضايق على أساس أن المكان والمنام إذا كان لشخصين هو أفضل من أن يكون لثلاثة ، فقط !!.

أين هذا من حماشة الرجل الشرقي ، الذي يذبح القطة من أول لحظة ، ولا يمكن أن يسمح بهذا الهراء ، أو المواء.

---

(١) اللغة الشاعرة ، ص٥٩ - ٧١.

وعندما كنت في أكرانيا ـ ١٩٩٨ـ ١٩٩٩ـ سألت إحدى الطالباتي: لماذا تهتمون بالكلاب ؟ ردت عليّ بلسان عربي فصيح : لأن الكلب واحد من أفراد الأسرة !! عجبا فأفراد الأسرة لديهم : (الطفل ـ الزوجة ـ الرجل ـ ثم الكلب) فالكلب واحد من أفراد الأسرة ، على خلاف في الترتيب ، وإجماع على أنه واحد من الأسرة !!.

ولكن ـ في الجانب الآخر ـ تعالوا إلى الشواهد في الصرف والنحو والبلاغة مثلا ، إنها إما من القرآن أو السنة أو كرام أقوال العرب وأمثالهم من الشعر أو النثر القرآن والسنة ، لاشك ولا ريب ، دعوة إلى القيم والمبادئ ومكارم الأخلاق ، لذا نقدم شاهدا واحدا من كل ، ونفصل قليلا في شواهد الشعر العربي ، ثم في الأمثلة العادية من غير الشواهد.

فمن القرآن الكريم :

١ـ البلاغة : قال تعالى : (وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ [1] حطباً) الظالمون لن يدخلوا جهنم فقط ، سوف يكونون لها حطبا ووقودا ، ترهيب من الظلم ، وترغيب في العدل.

ومن الحديث الشريف : (الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) إنه (ﷺ) لا يمدح إنسانا عاديا أو قليل الشان والخطر ، إنما يمدح نبيا ابن نبي ابن نبي ابن نبي ، من سلالة أنبياء كلهم بالمدح والثناء جدير.

٢ـ الصرف : نحو قوله تعالى : (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ [2]) يحث على

---

(١) ١٥ الجن.
(٢) ١٤ البلد.

الإطعام في الإقتار وعند المجاعة والشدة ، قيمة إنسانية مهمة.

ومن الحديث : (ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) دعوة إلى حسن الخلق ، وترغيب فيه.

٣- النحو : فمن القرآن الكريم : (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [1]) دعوة على الظالمين ، هم بها جديرون في كل عصر وآن.

ومن الحديث الشريف : (من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد) دعوة للتأني ، وترك العجلة ، خاصة في اتخاذ القرارات الصعبة والأعمال المهمة.

والآن نتحدث عن شواهد الشعر وكلام العرب ، نبدأ بالبلاغة ، ثم الصرف ، وأخيرا النحو ، نبدأ بالشواهد ، ثم الأمثلة العادية :

١- البلاغة : مثل قول الشاعر :

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشى

حكمة بالغة بأن الزمن ومرور الزمن يجعلان الصغير يكبر ، ثم يشيب ويفنى الكبير ويموت ، ومن الأمثلة العادية (إن زيدا عالم - إن زيدا لعالم) إعلاء لشان العلم ، ومن اتصف به.

٢- الصرف : من الشعر :

وبعض الحلم عند الجهـ ... ـل للذلة إذعان

(١) ٨٨ يونس.

الحلم في بعض المواقف لا يناسب ، إنما يدخل في باب الذلة ، والإذعان.

ومن الأمثلة : (إكرامك الضيف واجب) حث على إكرام الضيف ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليتق الله ، وليكرم ضيفه.

٣- النحو :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما ... يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ليس دعوة للإضرار ، لكنه دعوة إلى الفاعلية والحضور بشكل عام .

ومن الأمثلة : (زيد يزورنا ، وإذن أحسن إليه) دعوة للإحسان إلى من يزورنا وليس أن نؤذيه باللسان أو الفعال ، كما يفعل بعض الناس الآن ، كلما زرته أو قابلته بسط إليك ما استطاع من الأذى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولكل هذا ولكل ما سبق فإن اللغة العربية تجتذب من كل قوم أطيب العناصر وأميز الأشخاص ، وهذا ما رأيناه في زملاء التخصص في اللغة العربية على مستوى العالم ، منذ خرجنا من العالم العربي وارتحلت إلى نيجيريا أولا (١٩٨٣ - ١٩٨٤) ثم ماليزيا (١٩٩٠ - ١٩٩٢) ثم أكرانيا (١٩٩٨ - ١٩٩٩) والآن في تايلاند (٢٠٠٩ - ...) وفي خلال ذلك زياراتي لإندونيسيا وماليزيا وتايلاند وأذربيجان ، والاحتكاك بزملاء التخصص - حتى من غير المسلمين - على مستوى العالم.

إن من يتعلم لغتنا يتعلم معها الحكمة والحنكة والموضوعية ، والصدع بالصدق والحق ، وأقدم مثالا مهما لهذا ، هو واضح شديد الوضوح ، يحكيه كتاب الحملة الأمريكية ، مستعربون وسفراء ورحالة الذي نشر بالقاهرة ١٩٩٦ مترجما إلى العربية.

ماذا يحكي هذا الكتاب ؟ عندما وقعت فاجعة حرب ١٩٦٧ بين إسرائيل وبين العرب انقسمت الخارجية الأمريكية إلى قسمين ، الأول مؤيد لإسرائيل ، والثاني مؤيد للعرب ، كان القسم المؤيد للعرب ممن درس العربية وتعمق فيها ، ورأى مخلصا لمصلحة بلاده أن الحق في العرب ، وأن مصلحة بلاده مع العرب ، إذ لا يمكن من الناحية المنطقية أن تضحي بالعالم العربي = ٢٢ دولة في سبيل دولة واحدة صغيرة مجهولة النسب ، ومجهولة المستقبل.

وفي النهاية انتصر الرأي المؤيد لإسرائيل ، وانحازت أمريكا انحيازا تاما لإسرائيل ، ورأت أن الحل للخروج من هذا المأزق هو جمع العرب واليهود على طريق المفاوضات ، ثم الصلح ، وبأي شكل.

وهو ما تم للولايات المتحدة ، حيث صالح السادات أولا ١٩٧٩ ، ثم صالحت دول عربية أخرى بشكل خفي أو معلن جلي ، وهكذا كان الصلح ، أو أريد ، وسارت الأمور على هذا النحو.

الفريق المستعرب في الخارجية الأمريكية كان على حق تماما ، ليس ممالأة للعرب ، كما كان الفريق الآخر ممالئا لإسرائيل وللوبي اليهودي في الولايات المتحدة ، ولكن السياسة العليا الأمريكية انحازت لرأي هذا الفريق اليهودي.

وهكذا تجد العربية دائما لغة قيم ومبادئ ، لا تجتذب إلا أطيب العناصر من الأمم الأخرى غير العربية ، يتأثرون بقيمها ، ويصدعون بالحق والصدق ويميلون إلى الموضوعية ، ولو مالت الكفة إلى الجانب الآخر.

وهذا شهادة أخرى موضوعية جدا لأحد المستشرقين ، إنه المستشرق الروماني (دوبريشان) حيث يقول :

اللغة العربية لغة واحدة موحدة ، ذات رسالة خالدة ... ويمثل استقرار العربية ووحدتها مقومة أساسية من مقومات وحدة الأمة العربية ، وأرى من واجبنا بوصفنا من أساطين العلم اللغوي - في مجال الاستشراق - أن نسهم في ترويج قيم الحضارة العربية والأدب ، وحماية اللغة العربية ، بل والأمة العربية الواحدة ، مع لغتها وأدبها رافضين بحجج ومبررات علمية المقولات الباطلة بوجود لغات وأمم عربية والتي يحاول بعض زملائنا من المستشرقين - والقلائل من العرب - اعتمادها وفرضها.

إن اللغة العربية لغة واحدة وفريدة ، والأمة العربية واحدة ، وستبقى هكذا أبد الآبدين ، ويخدع نفسه من يتصور أو يتخيل أن رجال السياسة والثقافة والعلماء واللغويين العرب لا يدركون من وما يقف ويختفي وراء هذه الأباطيل.

انتهى كلام دوبريشان ، هذا نموذج ممن تعلم لغتنا ، فصدع بكلمة الحق ، ولم يأبه فيها بلومة لائم ، لقد تعلم هذا من اللغة العربية ، ومن قيم اللغة العربية ، ألم أقل قبلا إن لغتنا تجتذب إليها أطيب العناصر وأميز الشخصيات من الأمم الأخرى.

ونختم بمثال لعل بعضا من العرب لا يعرفه ، آل فودي ، عثمان بن فودي (ت١٨١٧م) وأخوه عبد الله ، وابن الأول محمد بلو ، هؤلاء الثلاثة قادوا حركة إصلاح مهمة ، بل أهم حركات الإصلاح في القارة الإفريقية ، تمخضت عنها إمبراطورية إسلامية قوية ، دامت قرنا من الزمان : (١٨٠٨ - ١٩٠٦).

وبرغم ما خاضوه من جهاد حتى أقيمت الدولة فقد ألفوا قريب ٥٠٠ كتاب باللغة العربية ، في طرح علمي وشرعي مغموس في الواقع ، وأرض الواقع ، فكر إسلامي راق جديد ، أرقى وأهم من بعض الطروحات والأدبيات المعاصرة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر.

كل هذي الإنجازات ، وتلكم الثورة العظيمة استلهمت فكر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت١٦٠٣م) وعاش فيما سمي بعد ذلك بالجزائر.

وهذا واضح في كلام عثمان بن فودي ، فهو دائما يقول : (لما أفتى المغيلي في الملك سنى علي وأعوانه ... كما قال المغيلي ...) يشير إلى كتاب مهم من كتب الإمام المغيلي ، وهو كتاب (أسئلة الأسكيا) وهو عبارة عن فتاوى كتبها الإمام لأمير المؤمنين الأسكيا محمد بن أبي بكر الطوري [1] الذي استفتاه عدة فتاو ، كان أهمها فتوى الإمام في سنى علي ، الملك السابق على الأسكيا ، حيث عمل وزيرا له مدة ٣٠ سنة ، حاول فيها الإصلاح ما استطاع ، وفي النهاية قتل سني علي ، وأخذ منه السلطنة ، وقد أفتى له المغيلي بصحة ما صنع.

وكانت هذه الفتوى مما اعتمد عليه ابن فودي في ثورته على الظالمين في عصره ، هذا قبس من هدي الفكر العربي ، والعلماء العرب ، واللغة العربية ، وفي النهاية هذا نموذج من نماذج من تعلم لغتنا ، أو من تعلم من لغتنا.

ونيجيريا دائما ولادة لعلماء ومفكرين ومصلحين كثيرين ، منهم آل فودي ، وغيرهم كثيرون كثيرون ، أذكر واحدا فقط ، هو الإمام آدم عبد الله الإلوري (ت ١٩٩٢م) رحمه الله ، لقد أسس وأدار أحد المعاهد العربية المهمة في جنوب البلاد ، في (أغيغي) وكان له نشاط واسع في التأليف باللغة العربية ، حول تاريخ بلاده ، ومشكلات التعليم والتربية والفكر الإسلامي ، وكل هذا نشر باللغة العربية ، ومن الحواضر العربية ، سيما القاهرة الذي كان كثير التردد عليها ، وهذي أمثلة لبعض كتبه :

---

(١) تنازل لابنه موسى عن ملك صنغاي ١٥٢٨م بعد حكم استمر ٣٦ سنة ، سقطت مملكة صنغاي عام ١٥٩٤ على يد مراكش التي كانت تقع شمال صنغاي.

- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني.
- تاريخ الدعوة الإسلامية.
- نظام التعليم العربي.
- موجز تاريخ نيجيريا.

ونكتفي بما ذكر لنرد على بعض ما يمكن أن يرد على ذهن القارئ من تساؤل هو : ألا ترى يا كاتب هذي السطور أن بعض من تعلموا العربية أساءوا أكثر مما أحسنوا ، أفسدوا أكثر مما أصلحوا ؟ نعم ، حدث هذا لمن دخل إلى الاستشراق والاستعراب وفي قلبه دخل أو زعل ، أو هدف خبيث صاحبه قبل أن يعرف لغتنا ، فإنه سيبقى على ضلالته وعمايته وهواه المسبق.

ألا ترى القرآن الكريم يخاطب النبي الأكرم (ﷺ) بقوله :

- فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ (1).
- وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً (2) وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ.

نخلص من كل ما سبق أن اللغة العربية لغة قيم ومبادئ ، وأنها تنقل هذه القيم إلى من يتعلمها من غير قومنا ـ فضلا عن أهليها ـ كما أنها تجتذب أطيب العناصر من الأمم الأخرى ، وأشدها تميزا وكفاءة.

وقد أعطينا أمثلة لما سبق ، أما المستشرقون المضللون الضالون فهم جاءوا إلى استشراق لغتنا وفي قلبهم زيغ وهوى ، وثم فإنهم يدخلون في زمرة الجاحدين

---

(1) ٣٣ الأنعام.
(2) ١٤ النمل.

الظالمين ، الذين يستيقنون من الأدلة والحقائق ، لكنهم بسبب ظلمهم وعلوهم ينكرون كل الحقائق الواضحات البينات ، يغطون عليها بالشبهات والترهات.

والآن نهرول سراعا سراعا إلى المادة التالية من دستور لغتنا العربية ، إنها المادة السادسة عشرة وشرحها ، وما يفتح به ربنا علينا ، وعلى قلمنا.

المادة السادسة عشرة
{١٦}

اللغة العربية ليست لغة فوضوية ولا عشوائية سبهللة بغير نظام ، وليست لغة نمطية ، بل هي لغة عبقرية

اللغة العربية لغة فوضوية وعشوائية سبهللة ، من أول كتابة الهمزة إلى قواعد الصرف والنحو ... إلخ ، شذوذ واستثناءات ، خلط واضطراب ، فوضى لا نظير لها !! هذا ليس صحيحا بالمرة ، فقد أثبتت الدراسات التي قمت بها عكس هذا تماما.

ففي كتابة الهمزة قدمنا دراستنا الرائدة : (القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل ...) وجدت أن ٨٠% من مواضع كتابة الهمزة تخضع لقاعدة أقوى الحركتين ، قولا واحدا جازما حازما.

تتفاوت الحركات في قوتها وأولويتها في كتابة الهمزة ، على هذا الترتيب ، الحركة الأقوى الكسرة [١] ، ثم الضمة ، الفتحة ، ثم السكون يأتي أخيرا وفي ذيل القائمة ، كيف بالله عليك ؟.

إذا كانت الحركة الأقوى الكسرة كانت الهمزة على ياء (نبرة) فإن كانت

(١) المقصود بالحركة ، طويلة أو قصيرة.

الأقوى الضمة كتبت الهمزة على واو ، وعند الفتحة تكتب على ألف ؟ الأمر يحتاج مزيد تفصيل ؟ نعم حبا وكرامة.

١- إذا وقعت بين كسر وضم ، أو بين كسر وفتح أو سكون فكانت الحركة الأقوى الكسرة كتبت على نبرة (ياء) مثل (سُئِل - سَئِم).

٢- إذا وقعت بين ضم وفتح أو العكس ، أي بين فتح وضم ، أو بين ضم وسكون كانت على واو ، مثل (لؤم - شُؤم - سُؤل).

٣- إذا وقعت بين فتح وسكون ، أو بين فتح وفتح كانت على ألف (فأس - رأس - سأل).

قلت : ٨٠ % من مواضع الهمزة تخضع لقاعدة أقوى الحركتين قولا واحدا فما بال العشرين في المائة الباقيات ؟ إنها تخضع لقواعد أخرى أهم من قاعدة أقوى الحركتين ، فما هن يا يرحمك الله ؟ نضعها على هيئة تساؤلات ، كيف بهذه الطريقة :

١- كراهة توالي الواوين والألفين : إذا توالت الواوان والألفان في كتابة الهمزة رأت العربية أن تحذف أحدهما ، نبدأ بالواوين ، ثم نثني بالألفين ، ففي (رؤوف) حق الهمزة أن تكتب على واو هكذا ، وكما سبق ، وهذا ما يفعله بعض الكاتبين وهو على جانب من الصحة ، لكن الأصح أن تكتب هكذا بواو واحدة تحاشيا لالتقاء الواوين في كتابة الهمزة ، أي (رءوف).

فإذا التقت الألفان في كتابة الهمزة ، تخلصت العربية من أحدهما ، كيف كان ذلك ؟ إذا جاءت الهمزة بعد ألف ، حذف الألف ، وبقيت الهمزة بدون كرسي ، ففي (قراءة - ساءل) حق الهمزة أن تكتب على ألف هكذا (قراأة - ساأل) حيث وقعت بين فتحتين ، فالحركة الأولى هي الفتحة ، ولذا كان حقها أن تكتب على الألف ، ولكن لأن العربية تتحاشى توالي الألفين في كتابة الهمزة ، فقد استغنت عن أحدهما ، هو

نوع من الاختصار والاختزال في الكتابة ؟ (أا ← اء) وهكذا.

ولكن إذا كانت الهمزة أولا بعدها ألف المد ، فإن العربية لها تصرف آخر ؟ ففي مثل (قرآن ـ ملآ) حق الهمزة أن تكتب على ألف ، هكذا (قرأان ـ ملأا) ولكن العربية اختصرت الرمزين في رمز واحد ، نوع طريف من الاختصار ؟ (أا ← آ) ونوع من الجمال والأناقة في الكتابة.

٢ـ وصل الحروف ما أمكن : ولكن نسألك يا يرحمك الله ، ما قولك ـ دام ظلك ـ في (رءوف) تكتب الهمزة على السطر ، وفي (قئول) على نبرة ، فإنهما على نفس الوزن ؟.

ليس هذا فقط ، بل في (ردءا ـ ضوءا ـ رزءا) الهمزة على السطر ، وفي (شيئا ـ دفئا ـ ملئا) أيضا على نبرة ؟ ألم أقل لك : دنيا العربية بالفوضى والسبهللة ملأى مشبعة ؟؟ مهلا مهلا ، فكل شيء له سبب ، مبرر وعلة.

كتبت في الأمثلة الأولى ـ أي الهمزة ـ على السطر ، لأن ما قبلها لا يشبك بما بعدها ، وإن كان يمكن أن تشبك بما قبلها ، وعندنا في حروف العربية من هذا النوع ٦ أحرف : همُ : ا و د ذ رز ، فإن جاءت الهمزة بعد هذي الحروف في مثل ما سبق كانت على السطر.

وإن كان حرفا آخر غيرها مما يشبك بما بعده انكتبت الهمزة على نبرة ، حتى تتصل الحروف وتتشابك ، هكذا : (شيئا) على عكس (وضوءا) التي كتبت على النبرة ، أو الياء.

٣ـ ولكن يا طويل العمر ـ دام ظلك ـ لماذا كانت (مائة) بهذي الصورة ، لماذا جيء بهذا الألف قبل الهمزة ؟ إنها على نفس وزن (فئة) فلماذا اختلفت عنها ، يا

عافاك الله ؟ السر أن لفظة (مائة) عدد تتعلق به الحقوق ، فكان لابد أن يميز ، إذ ينصح علم التفاوض بالعناية الشديد بالأعداد والأرقام ، التي بها تتعلق الحقوق والواجبات.

فإذا كتبنا في وثيقة ما : (هذا الطرف يدفع مئة ألف جنيه ...) كان من السهل أن تكتب نقطة على الميم أو تحرف لتصبح (... يدفع فئة ألف) تحول المبلغ من مائة ألف إلى ألف فقط !!.

٤- عندك لكل سؤال جواب ، فلماذا كتبت (هيئة - خطيئة) على نبرة ، وكان حقها أن تكتب على ألف ، حيث وقعت بين سكون وبين فتح ؟ لقد عوملت الياء الساكنة المفتوح ما قبلها معاملة ياء المد ، أي الكسرة ، وهل لهذا نظير في العربية ؟ نعم.

في إحدى الروايات القرآنية الشهيرة هي رواية ورش عن نافع عوملت الياء والواو إذ سكنتا معاملة الياء والواو والمديتين ، أي معاملة الكسرة الطويلة والضمة الطويلة في المد قبل الهمز والسكون ، كما في (شيْء - خوفْ) تمد الواو والياء ، كما تمد الحركة الطويلة في مثل (نبيء - قروء).

وكما في (عين) في الحروف المقطعة أوائل السور القرآنية ، إذ تمد الياء الساكنة بسبب السكون بعدها ، كما تمد ياء المد ، إذا جاء بعدها سكون أو همز.

على أي الأحوال فإن هذا لا يغني عن الرجوع إلى كتابنا (القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل ...).

ولكن يا طويل العمر : هل يستحق موضوع كتابة الهمزة كل هذه الجلبة والطنطنة ، هل يوجد أحد لا يعرف كيف تكتب الهمزة ، وصلا أو قطعا ؟ أقول الحق

والقطع : نعم ، نعم.

لقد جئت إلى جامعة جالا الإسلامية - سبتمبر ٢٠٠٩ - أول شيء ألحوا علي هو مراجعة الكتب التي تدرس في تعليم العربية ، ولسان حالهم يقول : بما أنك خبير كبير وعالم نحرير ، عليك أن تقول شيئا في هذه الكتب ، عليك أن تضيف شيئا.

ولكني قرأت أربعة منها بتجرد شديد ، ودون محاولة للتفتيش عن أخطاء ، أو البحث عن دور ، ولكن يا للهول !! في بعض هذه الكتب خطأ في كتابة همزة الوصل المضمومة ، مرة واحدة ؟ كلا ، مرات عديدة ؟ كلا ، في كل مرة : دائما تجد في الكتاب (أكتب - أذكر ...) بهمزة على الألف ، والصح : (اكتب - اذكر) وهذا يدل على أن من ألف وكتب ومن راجع لا يعرف هذه القاعدة ، أو على الأقل لا يلتفت إليها.

هذي إحدى الجامعات ذات الاسم الرنان الطنان ، في بلد عربي رائد متصدر ، أو يرى نفسه - دون غيره - جديرا بالتصدر ، فخورا بجامعاته التي يهفو إليها وإلى الانتساب إليها الجهابذة في العالم ، ليس في العالم العربي فقط ، ما هي هذه الجامعة في هذا البلد ؟ إن الله حليم بعباده ، عليهم ستار.

ولكن الهمزة استوفت حقها ومستحقها ، ومن ثم فإن القارئ يتساءل : إذا كنا نقول : العربية لغة عبقرية ، فما هي العبقرية أولا ؟ إن العبقرية هي البعد عن النمطية والآلية ، هذا البعد والتنائي هو سمة الإنسان ، تيك التي تفرقه عن الحيوان إذ هو نمطي وآلي على طول الخط [1] ، تلك السمة تجعل الإنسان يتقدم ويتقدم في حين يبقى الحيوان - كما هو - محلك سر ، لا يتقدم إلى الأمام ، ولو خطية - خطوة صغيرة - واحدة - الحيوان نمطي تماما ، لا يملك التفكير في أي شيء ، ولا يعقل أي

(١) راجع كتابنا : (عبقرية اللغة العربية ...).

شيء ، منذ بدء الخليقة يربى الحيوان ، يأكل ويشري ليخدم الإنسان ، أو ليذبح في النهاية ، لم يغير حيوان شيئا من النمطية التي درج عليها ، وعليها تعود ، رغم أنه ربما يرى بأم عينيه المصير الذي ينول إليه ، هو نفسه أو غيره.

الإنسان يختلف تماما عما سبق ، يستخدم عقله ، يفكر ، يرتقي ببعده عن هذي النمطية الحيوانية ، ولو كنت أنا - أو غيري - نمطيا لكنت نسخه طبق الأصل من أبي والأب نسخة من الجد ، وهكذا كابرا عن كابر ، لكنني أشبهت أبي - رحمه الله - في أشياء ، واختلفت عنه في كثير من هذي الأشياء ، ومن هنا ترقي البشرية وتسمو دائما.

لغتنا العربية من هذا النوع ، هي ليست فوضوية ولا عشوائية ، ولا سبهللة ، لديها قوانين ثابتة راسخة ، وفي ذات الوقت لديها من المقدرة والمرونة تمكنها من الخروج من إسار النمطية والاعتيادية ، عند الضرورة والحاجة ، لقد جمعت بين انتظام القاعدة ومرونة السياق.

وقد اتضح هذا من مجموعة سلسلة من الدراسات الرائدة ، ولم تأت هذي السطور نتيجة خاطرة عبرت ، أو فكرة طرأت ، من هذي الدراسات :

- الألفاظ التي جمعت مصححة ومكسرة في القرآن الكريم.
- سلسلة دراسات في إسناد الأفعال إلى ضمائر الرفع.
- القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل.

والآن نقدم للقارئ أمثلة على عبقرية العربية ، وبعدها عن النمطية ، منها :

١- في الكتابة العربية : أدخلت الحركات الطوال - واي - في صلب الخط ، في حين تركت القصيرة ، تلحق بالخط ، أو تفهم ، ولو كانت العربية نمطية لكتبت

النوعين ـ الطويل والقصير ـ في صلب الخط ، أو أهملتهما معا.

٢ـ في المقطع العربي : لا يتكون مقطع ألبتة من عنصر واحد ، حركة أو من الصوامت ، هذا قانون ، هو لا يبدأ إلا بصامت ، لا يبدأ بحركة مطلقا ؟ مطلقا ، هذي قوانين لا تتخلف أبدا.

وفي المقابل يغلق المقطع بصامت أو اثنين ، مثل (قاف ـ بذرْ) = ص ح ص ، ص ح ص ص ، كما ينتهي بحركة طويلة أو قصيرة (لا ـ شَرَحَ) ص ح ح ، ص ح ص ح ص ح ، ولو كانت العربية نمطية لبدأت مقاطعها بالصامت أو الصامتين أو بالحركة الطويلة أو القصيرة ، كما تفعل في نهاية المقاطع.

٣ـ في النسب عدة ملاحظات ، منها :

أ ـ إذا انتهي الاسم بألف مد بعده همزة ، نظر ـ في النسب ـ إلى هذه الهمزة ، فإن كانت أصلية أصلية ، بقيت كما هي عند النسب (ابتدأ ← ابتداء ← ابتدائي ـ أنشأ ← إنشاء ← إنشائي) الهمزة أصلية ، حقها أن تبقي كما هي ، أو كما هيه.

ب ـ وإن كانت الهمزة للتأنيث قلبت واوا ـ دلالة على التأنيث ـ (حمراء ، صحراء ← حمراوي ، صحراوي) وإن كانت غير ما سبق ، ليست أصلية ، وليست للتأنيث ، فأنت بالخيار أن تبقيها ، أو تقلبها واوا ، منطق ودقة ، وفي النهاية عبقرية وبعد عن النمطية ، إذ لو كانت العربية نمطية لأبقتها في كل المواضع أو جعلتها واوا على الإطلاق ، أو أجازت الأمرين في كل المواضع.

٤ـ وفي الإعراب : لم تعرب العربية كل الكلمات ، ولم تبنها ، بل زاوجت بين الإعراب والبناء ، فجعلت الحروف كلها مبنية (قاعدة كلية ، الحروف كلها مبنية) الأفعال كلها مبنية ، عدا المضارع الذي لم تتصل به نون النسوة أو نون

التوكيد ، وإلا بني كغيره من الأفعال ، ثم الأسماء فيها المعرب ، وفيها المبني ، وإن كان الأخير الأقل في الأسماء ، إذ الأكثر معرب.

ولو كانت العربية نمطية لأعربت الكل أو بنت الكل ، ولكنها زاوجت بين الإعراب وبين البناء ، وراوحت.

وفي الإعراب أيضا ، إذا كانت ظن بمعنى شك نصبت مفعولين (ظننت الرجل أصيلا) وإن كانت بمعنى اتهم ، نصبت مفعولا واحدا ، مثل : (كسر الزجاج فظننا الغلام) أي : اتهمنا الغلام ، ولو كانت العربية نمطية - غير عبقرية - لنصبت مفعولين أو مفعولا واحدا في كل الأمثلة.

٥- ونختم هنا بمثالين :

أ - جعلت العربية الثوب للإنسان والجلُّ للدابة ، كما يفعل بعض الفلاحين في مصر عند البرد يجعلون للماعز جلا تتجلل به وتتغطى ، أو يتقي به البرد ، وقد رأيت هذا يصنع للقطط والكلاب في أكرانيا ، التي هي - عندهم - فرد من أفراد الأسرة ، على أرجح الروايات في ترتيب أفراد الأسرة لديهم.

ولو كانت العربية لغة نمطية لما فرقت بين ما يستر الإنسان وما يستر الحيوان ، بل استخدمت كلمة واحدة للتعبير عن جلّ الحيوان وثوب الإنسان.

ب- كذلك فرقت العربية بين الأم الإنسانية ، فجمعتها على (أمهات) في حين اختارت لجمع غير العاقل (أم ← أمّات) بدون هاء.

ولو رام القارئ مزيد أمثلة فليرجع إلى دراستنا وبحوثنا ، سيما : (عبقرية اللغة العربية ...).

المادة السابعة عشرة

{١٧}

مما تتميز به العربية الاقتصاد مع الإفهام

من خصائص العربية البارزة الاقتصاد الشديد مع الإفهام ، كيف هذا بالله عليك ؟ أنا أقول لك ، وأعطيك من الأمثلة ما به تقنع وتتوكد :

١- في الإضافة تستخدم اللغات أداة لربط المضاف بالمضاف إليه ، مثل of في الإنجليزية de في الفرنسية ، لكن العربية تميز بالسلب والنقص في الإضافة ، فتجمع بين الإفهام ، وبين الاقتصاد.

ففي جمع المذكر السالم والملحق به والمثنى وما يلحق به تحذف النون ، هذا الحذف دليل الإضافة ، كما في :

- (مهندسو المشروع) بدون ألف قبل الواو ؛ لأن هذي الألف توضع أمام واو الجماعة ؛ الواو ركن من أركان الجملة ، يمكن أن تكون فاعلا : (قالوا ما قالوا - لم يتوبوا) ويمكن أن تكون نائبة للفاعل (أخذوا أخذ عزيز مقتدر) ويمكن أن تكون اسم كان أو إحدى أخواتها (كانوا على ما يرام - أصبحوا بكل خير) ... الخ.
- المفرد وجمع المؤنث السالم تعرف إضافته بحذف التنوين (كتابٌ - مهندساتٌ) ← (كتاب الصرف - مهندساتُ المشروع) بدون تنوين للمضاف ، مطلقا مطلقا.

كان يمكن للعربية أن تقول ، مثلا : (مال لمحمد - صوم في رمضان - شجرتان من البرتقال) لكنها عن هذا كله عدلت إلى : (مال محمد - صوم رمضان - شجرتا برتقال).

وقد أدرك النحاة هذه الحقيقة تماما عندما قسموا الإضافة إلى ثلاثة أقسام :

أ- إذا كان المضاف ملكا للمضاف إليه أو مختصا به قدرت الإضافة باللام ، نحو : (كتاب المعلم) والتقدير : (كتاب للمعلم).

ب- إذا كان المضاف إليه ظرفا للمضاف - زمانا أو مكانا - قدرت الإضافة بـ (في) نحو : (سهر الليالي - شهيد المعركة) والتقدير : (سهر في الليالي - شهيد في المعركة).

ج- إذا كان المضاف بعضا من المضاف إليه مع صحة الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف ، نحو : (ثوب حرير - حديقة رمان) قدرت الإضافة بمن ، أي : (ثوب من حرير - حديقة من رمان) ويصح الإخبار : (الثوب حرير - الحديقة رمان).

٢- التمييز والحال : في كليهما اختصار مع إفهام ، كيف ؟ في الأول تقول مثلا : (هذا فدان أرضا - ذاك إردب قمحا) بدل (هذا فدان من الأرض - ذاك إردب من القمح) في الحال تقول : (جاء الرجل مسرعا) بدل : (جاء الرجل في سرعة) وقد ميز التمييز والحال كلاهما بالنصب.

٣- المفعول لأجله : نوع من الاختصار والاختزال ، مع الإفهام ، تقول (استيقظت والفجر) بدل : (استيقظت مع الفجر) ميز المفعول معه هنا بالنصب ، مع الواو.

وقد هندست العربية أحوال الاسم الواقع بعد الواو هندسة دقيقة بديعة ، انظر :

أ - وجوب النصب : إذا امتنع أن يشارك الاسم الواقع بعد الواو في إحداث الفعل ، وفي هذه الحالة يعرب الاسم مفعولا معه منصوبا ، والواو هي واو المعية حتما ولزما ، فإننا في مثل : (استيقظت والفجر - سرت والنيل) لا يمكن أن يشارك

الفجر - ولا النيل - الفاعل في الفعل ، أو في فعله ألبته.

ب- جواز النصب : ولكن الاسم الواقع بعد الواو قد يصاحب الفاعل في فعله ، أو لا يصاحب ، فإن قصدت المصاحبة كان النصب ، وكانت الواو للمعية ، وإلا كانت الواو للعطف ، وأعرب ما بعدها إعراب ما قبلها !! كيف بالله عليك ؟ زد الأمر تفصيلا وبسطا ، أنا أقول لك : (جاء رئيس الجامعة ونائبه) إن قصدت أنت - يا متكلم - أو يا كاتب ، إن قصدت المصاحبة ، أي أن النائب جاء مصاحبا لرئيس الجامعة ، كانت الواو للمصاحبة ، وكان ما بعدها - قولا واحدا - مفعولا معه.

لكن إذا جاء نائب الرئيس وحده ، غير مصاحب لرئيس الجامعة في المجيء ، جاء - مثلا - في وقت آخر - سابق أو لاحق - كانت الواو عاطفة ، ليست مصاحبة ، ومن ثم يعطف ما قبل الواو على ما بعدها ، فالمعطوف عليه - هنا - رئيس ، مرفوع إذن فالمعطوف - أي كلمة نائب - مرفوع أيضا.

وهكذا تجد باديا للباده وللعيان أن المتكلم وكذا الكاتب سيد قراره ، وهو الموجه للإعراب ، وليس العكس.

جـ - امتناع النصب : على أنه مفعول معه ، ووجوب العطف ، إذا وجب أن يشارك ما بعد الواو مع في الفعل ، نحو (اشترك الطالب والأستاذ في العمل - تنازع الراكب والسائق) إذ الاشتراك والنزاع لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر ، ومن ثم لا يمكن أن تكون الواو مطلقا للمعية ، بل هي - من المؤكد - للعطف فقط ، ومن ثم لا ينصب ما بعد الواو مفعولا معه ، وإنما يتبع ما قبل الواو في إعرابه ، رفعا ونصبا وجرا ، الواو - من ثم - هي للعطف فقط ؟ فقط.

انظر : كيف فرقت العربية بين حالات الواو وما بعدها ، وهندستها هندسة

بديعة عجيبة ، من وجوب المعية إلى جوازها أو امتناعها ، لم تسو بين هذي الحالات الثلاث ، العربية لغة واعية حساسة ، مميزة ، إدراكها حاد ، بصرها حديد ، تفرق بين مختلف الأحوال والسياقات والأشياء ، التي يدق التمييز بينها.

وبرغم هذا ، ومع هذا الاختصار والإفهام فإن العربية لا تمنع استخدام الصيغ غير المختصرة ، لك أن تقول : (صحوت والفجر) ويصح لك أن تقول (صحوت مع الفجر) وكذا في حالتي التمييز والحال أيضا :

- تقول : (فدان أرضا) أو (فدان من الأرض) .
- (إردب ذرة) أو : (إردب من الذرة).
- (جاء الرجل مسرعا) أو (جاء الرجل في سرعة).

٤ـ التأنيث والتذكير : كثير مما يمكن قوله ، ويجدر ذكره ، مثل عدم تأنيث بعض الصفات ، لقد ميزت العربية المؤنث عن المذكر بالتاء ، أو الألف المقصورة أو الممدودة (المدرس والمدرسة ـ الرجل الأكبر والمرأة الكبرى ـ الأشقر والشقراء) ولكن بعض الصفات أهملتها العربية ، وعطلتها عن أية علامة للتأنيث ؛ لسبب أو لآخر ، مثل :

أ ـ الصفات الخاصة بالنساء : نحو (حائض ـ حامل ـ ثيب) إذ لا حاجة إلى علامة نفرق بين المؤنث والمذكر ، كما في الصفات المشتركة بين الرجال والنساء أو بين الذكران وبين الإناث ، كما نقول : (هو مصيب وهي مصيبة ـ هو قاضي وهي قاضية).

ولذا فإن كلمة (حامل) لو اتصلت بها تاء تأنيث تغير معناها من حمل المرأة ذا بطنها إلى (حاملة) لأي شيء آخر ، كما نقول (حاملة الهم ـ حاملة المسئولية) هلم جرا.

ب- أوزان خاصة : (قتيل - جريح - طموح) على وزن (فعيل - فعول) لأن الحدث هنا جلل خطير (القتل - الجرح - الطموح) هو أكبر وأهم من أن نفرق فيه بين مؤنث ومذكر ، فإذا قتلت نفس في أي مكان أو جرحت ، فما القيمة والفرق بين كون هذي النفس لذكر أو أنثى !! ما قيمة هذا إلى جانب فداحة الخطب وخطورته.

ج- اختلاف الصيغة : وقد تعطي العربية المؤنث صيغة ، والمذكر صيغة أخرى ، ومن ثم لا حاجة إلى علامة للتأنيث ، نحو (عجوز) للمرأة ، و(شيخ) للرجل ، في الكتاب العزيز : (أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً [1]).

د- وفي التأنيث أيضا نجد الأعداد من ثلاثة إلى عشرة تحذف التاء إذا كان التمييز مؤنثا !! كيف بالله عليك ؟ الأصل في الأعداد أنها بالتاء ، أي : (ثلاثة - أربعة - خمسة - ستة - سبعة - ثمانية - تسعة - عشرة) هي تأتي مع المذكر على أصلها (ثلاثة رجال - أربعة أبناء - خمسة أيام ...) الخ ، فإن كان المعدود مؤنثا اكتفى بتأنيثه هو ، دون حاجة إلى التاء ، فنقول : (خمس بنات - ست صفحات) مثلا.

٥- التنوين : ويختص بالأسماء المعربة فقط ، الأسماء المبنية لا تنون ، كذا الأفعال والحروف ، لكن التنوين يحجب في بعض الحالات ، هي :

أ - الأسماء الممنوعة من الصرف ، كما هو مفصل في كتب النحو : كان التنوين عاما في جميع الأسماء المعربة ، وهو ما وجدنا بقاياه في بعض اللهجات العربية القديمة ، وفي فترة تاريخية لاحقة منعت بعض الأسماء المعربة من التنوين لأسباب سنبسطها في مكانها.

ب- عند الوقف : يحجب التنوين - والإعراب أيضا - لماذا ؟ لأن غياب هذين

---

(١) ٧٢ هود.

العنصرين معناه انتهاء الجملة ، أو هو إيذان بانتهاء الجملة ، من الخطأ الكبير أن يقف المتكلم بالإعراب والتنوين ، هذا خطأ.

ج- عند العد : عند نطق الأعداد ، من ١ ← ١٠ أو غيرها أيضا ، لا إعراب ، ولا تنوين أيضا ، نقول : (واحدْ ـ اثنانْ ـ ثلاثةْ ـ .... عشرة) أو (إحدى عشرة ـ أحد عشر ، عشرون ، ثلاثون ، مائة) كل هذا بلا إعراب ، ولا تنوين.

د- عند نطق حروف المعجم مفردة : أيضا يحجب الإعراب والتنوين كلاهما ، فنقول: (ألفْ ـ باء ـ تاء ....) إلى : (واو ـ ياء) كل هذا بالسكون ، دون تنوين ، بلا إعراب ، وكذا جاءت الحروف المقطعة في القرآن الكريم (الم ـ الر ـ كهعص ...) الخ.

هـ- العلم الموصوف بابن : يحجب عنه التنوين أيضا ، لماذا ؟ غياب التنوين معناه أن ابن صفة للعلم الذي يسبقه ، وأنه ابن أو حفيد من ناحية الصلب ـ النسب ـ حقيقة ، لا مجازا ، اقتصاد مع إفهام في ذات الوقت ، فإذا قلنا : (محمد بن عبد الله) بدون تنوين كان هذا إشارة إلى الأبوة الحقيقية ، لكن إذا نونا دل هذا على بنوة غير حقيقية ، كما نقول : (سعد ابن مصر البار).

غياب التنوين يدل أيضا على عمق العلاقة بين العلم وصفته (ابن) كالتي بين المضاف والمضاف إليه ، وربما يدل أيضا على كثرة الاستخدام ، إذا تعود العرب على نطق أسماء الأبناء مشفوعة متبوعة بأسماء الآباء أو الأجداد.

فإن نون العلم الأول قبل (ابن) دل هذا التنوين على انفصام العلاقة بين الكلمتين ، وتحولت (ابن) من صفة إلى شيء غير حقيقي ، أو على الأقل يحتمل الكذب والصدق ، أي كلمة (ابن) خبر ، وليست صفة.

ففي الكتاب العزيز : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ [1]) نونت كلمة (عزير) وهي علم فأعرب على أنه مبتدأ ، وما بعده (ابن الله) خبر ومضاف إليه ، لا توجد علاقة أبوة ولا بنوة بين الكلمتين ، فكل هذا ادعاء وكذب وافتراء من جانب اليهود.

ولم تكتف العربية بحجب التنوين عن العلم الموصوف بابن ، وإنما أضافت اختصارا آخر في الكتابة ، هو حذف الألف ، كما هو المشهور المألوف : (علي بن أبي طالب) (ﷺ) ، إلا إذا جاءت كلمة (ابن) أول السطر فإن الألف تكتب برغم هذا ، ربما لأن العربية تعتبر السطر وحدة متكاملة وكاملة ، حين بدأنا سطرا جديدا ، أصبحت كل كلمة في سطر ، ولذا كتبنا الألف ، وهو ما ينساه كثير من الكاتبين ، فيحذف الألف أول السطر ، وهو خطأ صريح صراح.

ونحن نرى أن حجب التنوين في كل ما سبق هو نوع من الاقتصاد أو الاختصار ، مع بقاء الإفهام ، إذ لا يحجب التنوين إلا عن الأسماء المعربة عند طولها ، أي طول هذي الأسماء ، كما ترى في (إبراهيم ـ عثمان) ولهذا تفصيل في مكانه من دستور اللغة العربية.

٦- وفي اللغة العربية نوع طريف من الاختصار ، عندنا بعض الأعلام تحلى بالألف واللام ، مثل : (العباس ـ الحسن ـ الحسين) إن سبب التعريف هنا ليس الألف واللام ، وإنما العلمية ، ولذا فإن العربية تسمح أن ينطق العلم بدون ألف ولام ، فنقول : (عباس ـ حسن ـ حسين) نوع طريف من الاختصار ، والعلم مفهوم معروف ، مُحلى بالألف واللام ، أو عاطلا عنهما ، وهلم جرا.

٧- آخر ما نسطره هنا من أنواع الاقتصاد والإفهام ، هو ما يتعلق بالكتابة ، مثل :

---

(١) ٣٠ التوبة.

- <u>الحركات القصار</u> : (الفتحة - الضمة - الكسرة) وكذا رمز السكون ، أو السكون الخفيف ، والسكون الشديد أو الشدة ، وكذا رمز التنوين ، بتكرار الحركة القصيرة مرتين نهاية الكلمة ، كل هذا نوع من الاقتصاد ، فإن كل هذا لو أدخل إلى صلب الخط لأخذ حيزا كبيرا من هذا الخط ، ولجعله أكثر تضخما وازدحاما ، وأقل اختصارا واقتصادا.

- رأينا اللغة العربية في كتابة الهمزة تختصر الواوين والألفين ، كما يلي : (رؤوف ← رءوف) ؤو ← ءو (سؤول ← سئول) ؤو ← ئو (تبوؤ - تبوء) وؤ ← وء.

- وفي الألفين (قرأان ← قرآن) أا ← آ (قراأة - قراءة) أا ← اء ، فالكتابة العربية فرقت بين تتابع همزة فألف أا فجعلته هكذا آ وبين ألف مد فهمزة اأ فجعلته اء ، وهكذا.

انتهينا من المادة ١٧ وشرحها ، وننتقل الآن إلى المادة الثامنة عشرة وشرحها.

المادة الثامنة عشرة
{١٨}

اللغة العربية نظرها حاد وحديد
تفرق بدقة شديدة بين الحالات المتشابهة

من خصائص العربية المميزة الدقة الشديدة ، النظر الحاد الحديد ، الذي يفرق بين الحالات المتشابهة والمتداخلة ، وعندنا ما لا يحصى من الأمثلة ، منها ما ذكرناه منذ سطور في المادة السابقة من دستور لغتنا ، وهو ما به نبدأ ونستفتح :

١ ـ ما بعد واو المعية : كما سبق هذه الواو لها مع ما بعدها ٣ حالات ، هن :

أ ـ إذا كان ما بعد الواو لا يمكن أن يشارك ما قبلها في الفعل ، كانت الواو للمعية ويعرب ما بعدها مفعولا مطلقا ، قولا واحدا ، لازما لازبا ، مثل : (استيقظت والفجر ـ سرت والنيل) لا يمكن للفجر أن يشترك في الفعل ، أو في فعل الاستيقاظ ، ولا يمكن أن يشارك النيل في عملية السير مطلقا ؟ مطلقا.

ب ـ إذا صح أن يشارك ما بعد الواو في الفعل ، أو لا يشارك ، بأن استوى الأمران نظر إلى حقيقة الأمر ، ونية المتكلم ، فإذا قلنا جاء الرئيس ونائبه ، فإن جاء الرجلان معا وفي وقت واحد ، أو قل : جاء النائب مصاحبا للرئيس ، وفي معيته كانت الواو للمعية ، وأعرب ما بعدها مفعولا مطلقا.

لكن إذا لم يشاركه في المعية ، فإن جاء قبله أو بعده ، في وقت آخر ، أو في وقت لاحق ، غير وقت حضور الرئيس ومجيئه ، فالواو هنا للعطف ، ليس للمعية

وكان ما بعدها معطوفا على ما قبلها ، تابعا في إعرابه للمعطوف عليه ، معربا إعرابه.

ج- لكن إذا وجب أن يشارك ما بعدها ما قبلها في الفعل ، كأن نقول : (تشاجر السائق والراكب) فالعطف هنا واجب ، والمعية مستبعدة ، فلا يعرب ما بعدها مفعولا مطلقا ألبته ، العطف هنا واجب واجب ، ولا يجوز غيره مطلقا ، وبشكل محدد أدق ، لا تجوز أن تكون الواو للمعية ، ولا يعرب ما بعدها على أنه مفعول مطلق ، بالمطلق.

٢- مثال آخر على الدقة الشديدة في لغتنا والنظر الحاد الحديد لديها أننا نجد العربية تفرق بين من مات فعلا ، وبين من هو معرض للموت ، لا نهاية له غير هذا ، وبشكل مؤكد ويقين تام ، كيف ؟.

انظر الصيغة (ميِّت) بتشديد الياء وكسرها تعني أنه سيموت فعلا ، لكنه لا يزال يعيش على قيد الحياة ، هو فيها حي يرزق ، قال تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ) يا محمد سوف تموت بالفعل (وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) [1] وهم أيضا سوف يموتون ، كما سوف يحدث لك.

فإذا جاءت الصيغة بسكون الياء مخففة كان الموت حل فعلا ، قال الخليل [2] : أنشد أبو عمرو بن العلاء :

وتسألني تفسير ميْت وميِّت	فدونك قد فسرت إن كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميِّت	وما الميْت إلا من إلى القبر يحمل

(١) ٣٠ الزمر

(٢) تفسير النسفي ٥٦١.

وفي القرآن الكريم :

- (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِير ... [1]) بتخفيف الياء.
- (وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أحْيَيْنَاهَا ... [2]) بسكون الياء أيضا.

٣- وفي اللغة العربية ألفاظ خلت وتعطلت من علامة للتأنيث ظاهرة بادية ، مثل : (الكتف - اليد) لكن العربية بدقتها الشديدة ونظرها الحاد الحديد ، لا تنسى هذي الأسماء ، لا تنسى أنها مؤنثة ، إذ الضمير حين يعود إليها يكون ضمير تأنيث ، تقول : (الكتف في شنها [3]) أو توصف بالمؤنث : (أكل كتفا كاملة ، أو واحدة) وعند التصغير أيضا تعيد التأنيث إليها أو تنعم العربية عليها بتاء تأنيث ، فتقول (كتيفة - يدية) ألم أقل : إن لغتنا نظرها حاد وحديد ، دقيق.

٤- اللغة العربية تقول لك يا أخا بني يعرب : هذه الأسماء التي جاءت على حرفين ، قد بنيت !! لماذا ؟ تيك الأسماء (بنيت لأنها أشبهت ما جاء من الحروف على حرفين فقط ، مثل : (هل - بل - قد) فلما شابهت - أي الأسماء مثل (إذ) ونحوها - الحرف من هذا الوجه ، وجب بناؤها ، كما أن الحروف هي أيضا مبنية.

ولكن يا أخا العرب : ما بال مثل (يد - أخ - أب - دم - فم ...) الخ هذي القائمة الطويلة ، ما بالها لم تبن ، مع أنها تظهر للباده أنها صيغت أو جاءت على حرفين ؟

تقول لك العربية : قف ، تدبر الأمر ، هذي الأسماء هي في الأصل ثلاثية ، ليست ثنائية ، لها جزء حذف ، ولذا فإن هذا الجزء المحذوف يعود إليها في النسب أو التنبيه أو الجمع ، أو في اثنين ، أو في الثلاثة كلها :

---

(١) ٣ المائدة.
(٢) ٣٣ يس.
(٣) الشن : الآنية التي تصنع من الجلد.

- دم - يد ← دموي - يدوي ، عند النسب.
- أخ - أب ← أخوان - أبوان ، في التثنية.
- فم - أخ ← أفواه - إخوة ، عند الجمع.

ألم أقل لك يا طويل العمر ، وقصير اللسان : العربية لغة دقيقة ، نظرها حاد وحديد.

٥- كل ما في الجسد منه شيء فقط ، لا ينفصل عنه كالرأس والأنف واللسان والظهر والبطن والقلب ، فإنك إذا ضممت إليه مثله (عند التثنية) جاز فيه ٣ أوجه ، هي :

أ- التعبير بالجمع ، والمراد (التثنية) وهذا جائز في اللغة العربية ، إذ المثنى هو في الحقيقة نوع من الجمع ، كما في قوله تعالى : (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا [1]) والمراد (قلباكما) بالتثنية.

ب- التثنية على الأصل ، مثل (ما أحسن رأسيهما).

ج- الإفراد (ما أحسن رأسهما - ضرب ظهر الزوجين).

انظر كيف فرقت العربية بين التعامل مع عضو لا يكون إلا في الجسم واحد فقط منه ، وبين بعض الأعضاء التي ربما تكون مثناة : (اليدان - الذراعان - القدمان) أو تكون أكثر من اثنين كالأصابع والأظافر ، وهذا لا يكون إلا عن نظر حاد جدا ، وأيضا دقيق حديد.

٦- إذا أريد الدلالة على المرة من مصدر الفعل الثلاثي ، قيل (فعلة) بفتح الفاء ، نحو (أكلة - جلسة - ضربة) إلا إذا كان بناء المصدر العام على نفس الوزن

(١) ٤ التحريم.

(فعلة) بفتح الفاء ، فإن العربية لجأت إلى حل هذا التشابه بالوصف نحو (رحمة واحدة ـ دعوة واحدة)

وفي الدلالة على الهيئة (فِعلة) بكسر الفاء (قِتلة ـ ذبحة) إلا إذا كان المصدر على نفس الوزن ، فإن العربية تلجأ إلى الوصف أو الإضافة مثل : (خبرة واسعة) بالوصف ، أو (خبرة المجرب).

وكذا المرة من غير الثلاثي يأتي بزيادة تاء على مصدره القياسي ، مثل (انطلق ← انطلاقا ← انطلاقة ـ أغفي ← إغفاء ← إغفاءة) فإن كان بناء المصدر مع التاء ـ كاسم المرة من غير الثلاثي ـ دل على المرة بالوصف : (إمالة واحدة ـ استحالة واحدة).

ولا يبنى من غير الثلاثي للهيئة ، بل يأتي المصدر الأصلي موصوفا (رأيت احتفالا شائقا أو ضخما) ولا حل هنا غير الوصف للمصدر كما [1] رأينا.

وهكذا تجد العربية بنظرها الحاد الحديد ، الثاقب الدقيق ، تدرك أن الصيغ تشابهت واتفقت ، فلابد من حل لفك هذا التشابه والتشابك ، فكان الوصف أو الإضافة.

ولو كانت الأمور في لغتنا سبهللة فوضى لتركت العربية هذي الصيغ المتشابهة اعتمادا على السياق فقط ، لكنها تصرفت بوعي شديد ، ودقة أكيدة ، ربما لا نجد لها نظيرا في لغات العالم.

٧ـ وللعربية مع الحقيقة والمجاز وقفة طريفة ، وبالغة الدقة ، ومع عبقري العربية ابن جني في الخصائص [2] :

(١) الكامل لأحمد صفوت ، ٩/٢
(٢)٣٦٢/٢.

الحقيقة ما أقر في الاستعمال ، على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان بضد ذلك يضيف أبو الفتح : يقع المجاز ، ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة ، ما هي يا صاحب الخصائص ؟ هي : (الاتساع ، والتوليد ، والتشبيه) فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة ألبته ، المثال المثال يا أبا الفتح ؟ من هذا قول الرسول (ﷺ) في الفرس : (هو بحر) فالمعاني الثلاثة موجودة في هذا المثال ، كيف ؟.

أ- الاتساع : لأنه زاد في أسماء الفرس التي هي : (فرس - طرف - جواد ...) - ونحوها - اسما جديدا ، هو البحر ، وهل يمكن أن يحتاج إليه ؟ نعم ، يمكن أن يحتاج إليه في شعر أو سجع ، أو اتساع ، فيستعمل استعمال بقية تلك الأسماء.

ب- التشبيه : لأن جريه يجري في الكثرة و(السرعة) مجرى ماء البحر.

جـ - التوكيد : شبه العرض بالجوهر ، وهو أثبت في النفوس ، الشبه في العرض هنا منتفية ، فإن من الناس من يدفع الأعراض ، ليس من أحد يدفع الجوهر ، لا بأس ، يا ابن جني.

لكني مضطر أن أسألك: هل المسألة فوضى سبهللة بين الحقيقة وبين المجاز؟ أريد جوابك يا عبقري العربية ، حبا للقارئ وكرامة ، في الخصائص أقول :

لا يفضي إلى المجاز إلا بقرينة تسقط الشبهة ، كأن يقول الساجع : (فرسك هذا إذا سمي بغرته كان فجرا ، وإذا جرى إلى غايته كان بحرا) ونحو ذلك ، ولو عري الكلام من دليل يوضح الحال ، لم يقع عليه - أي على الفرس - اسم (البحر) لما فيه من التعجرف في المقال من غير إيضاح ، ولا بيان ، فلو قال : رأيت بحرا ، وهو يريد الفرس ، لم يعرف بذلك غرضه ، فلم يجز قوله ؛ لأنه إلباس وإلغاز على الناس.

إذن هي الحقيقة لاشية فيها ، ولا إلباس ، كأن تقول : (ملكت دارا ـ دخلت دارا ـ بنيت حماما) فحقيقي هو ونحوه ، لا استعارة فيه ، ولا مجاز في هذي المفعولات كلها : (دارا ـ حماما).

لكن ـ انظر وانتبه ـ لو قال واحد : (بنيت لك في قلبي دارا ـ ملكت من الجود [1] عبدا خالصا ـ أحللتك من رأيي وثقتي دار صدق) لكان هذا مجازا واستعارة لما فيه من الاتساع والتوكيد والتشبيه ، ثم الأهم من هذا كله هناك في الجمل ما يسقط أية شبهة تفضي إلى استعمال (دار) بمعنىً حقيقي ، أي الدار التي نسكنها ، وهكذا.

العربية إذن تطلق يد المتكلم ـ أو قل لسانه ـ أو الكاتب عندما يميل إلى الحقيقة فإن رام المجاز عليه أن يقدم في جملة من الأدلة ما يفهم ويفيد أنه ينحو إلى المجاز ليس الحقيقة.

وهكذا تفرق العربية بين استخدام الحقيقة بشكل حر ، لا قيود عليه ، وبين الاستخدام المجازي المشروط بما يفيد المجاز ، يدل عليه ويدلل عليه وهذا ما يشبه القول الجد والهزل ، عند الحقيقة والجد قل ما شئت ، دون قيد ، ولا شرط ، فإن أردت أن تمزح فلابد من دليل على المزاح وقرينة ، وإلا اختلط الأمر على السامع والقارئ.

وقد أباح ديننا أن نخرج عن جدية الحياة وصرامتها إلى الاسترواح ، ولو قليلا قليلا ، فهذا سيد الخلق محمد (ﷺ) يقول : (لا تدخل الجنة عجوز) ولما ارتاعت المرأة ، أوضح لها نبيها بأننا في الجنة ـ رجالا ونساء ، ذكرانا وإناثا ـ نعود إلى شبابنا ، فلا عجائز ، ولا مشيخة من الرجال في الجنة ، كلّ شباب في شباب.

(١) معنى هذا المثال : أسرتني بجودك وكرمك ، حتى أصبحت لك عبدا خالصا كاملا.

ومن ثم استثنى من حالات المزاح والهزل ثلاثا ، قال : (جدهن جد ، وهزلهن جد) وقد سمى هذي الثلاث : (الزواج [1] والطلاق والعتاق) لا هزل فيهن ألبته ، بل هزلهن جد حقيقة ، لا مجاز فيهن ألبته.

وهذا تصريح من سيد الخلق (ﷺ) بجواز الهزل إلا في هذي الثلاث ، التي لا يُقبل الهزل فيها ، بل هزلها هو جد ، كما أن جدها جد أيضا.

ألم أقل لك يا صاح : العربية دقيقة ، نظرها حاد حديد ، تفرق هنا بين استخدام المجاز المشروط ، وبين استخدام الحقيقة الحر ، البعيد عن أي قيد أو شرط ، وكذا الهزل والجد.

بقي عندي مثالان ، يتخذهما الجاهلون الغافلون هزوا ، إنهما يضحكون ، ومن متخصصي اللغة العربية يهمزون ويلمزون ، وكثيرا ما يتغامزون ، فما هما ؟ إنهما :

---

(١) الزواج والطلاق لا هزل فيهما ،إنما الهزل فيهما جد وجد ، فمن قال لزوجته ـ ولو مازحا ـ أنت طالق ، فقد طلقت فعلا ، ولا ينفعه إدعاء الهزل هنا ، ولذا خيرا صنع المذهب الإمامي الجعفري عندما اشترط في الطلاق ـ كالزواج تماما عندنا ـ أن يكون أمام القاضي أو المأذون أو المختص ، وبوجود شاهدي عدل ، إن هذا يقضي على فوضى الطلاق عندنا في مصر ، ماذا قال الرجل في الطلاق ، وهل هو يمين أم طلاق ، وكم مرة طلق زوجته ... ؟ الخ. كل هذا يجب أن يوثق أمام القاضي أو المأذون.

لكن إن اقترح أحد هذا قيل له : لا نريد أن نقلد هؤلاء الناس !! ولم لا ، إن الحكمة ضالة المؤمن اني وجدها فهو أحق بها ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

على أي حال قبل أن نخرج من الزواج والطلاق نشير إلى أن (العتاق) اي عتق العبيد قد انتهى ، فلم يعد في العالم عبيد يعتقون أو يقتنون.

ولكن موقفا آخر رفض فيه إدعاء الهزل واللعب ، قال تعالى : (...وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ : أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) ٦٥، ٦٦ التوبة.

من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ـ ارتدوا ـ كانوا بالله وآياته ورسوله يستهزئون ؟ من هؤلاء الناس ، وما جريمتهم ؟ أحد المنافقين قال في مجلس له ـ أثناء السير إلى تبوك : (ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا وأكذب ألسنة ، وأجبن عند اللقاء) ولكن الرجل يذهب إلى الرسول (ﷺ) معتذرا ، قائلا : (إنما كنا نخوض ونلعب) فكان رد الرسول والقرآن كما رأينا ، فهذا كلام لا خوض فيه ، ولا لعب ، لا هزل ألبته ، انظر تفسير ابن كثير ٣٦٧/٢.

٨- <u>أكلت السمكة حتى رأسها</u> : إذا عرف الناس أنني متخصص في اللغة العربية حتى يسألك على الفور : كيف تعرب أكلت السمكة ... ؟ ولعله يذكرك بمن أخذ الدكتوراه في حتى ، إنه يتذكر هذا الفيلم المصري القديم الذي يقدم أحد شخصياته على أنه أخذ الدكتوراه في (حتى) ولعله بحكي لك : (مات سيبويه وفي نفسه شيء من حتى).

على أي الأحوال فإن هذا المثال هو شاهد على يقظة العربية ودقتها الشديدة كيف ؟ إذا رجعنا إلى كتب النحو وجدنا الآتي :

أ- أكلت السمكة حتى رأسها : تعرب (رأسها) بالخفض أو الجر ، لأن (حتى) في هذه الحالة بمعنى (إلى) ولذا جرت ما بعدها مثل حرف الجر (إلى) ومعنى العبارة : (أكلت السمكة إلى رأسها) أي أكلت السمكة نفسها حتى انتهيت إلى رأسها ، أي أن الرأس هنا لم تؤكل ، وإنما الذي أكل هو جسم السمكة إلى أن وصل الآكل إلى الرأس.

ب- ويمكن أن تنصب كلمة (رأسَها) على اعتبار أن (حتى) بمعنى الواو ، أي (أكلت السمكة ورأسها) ، أي أيضا أكلت ، (حتى) إذن عاطفة كالواو.

جـ - وترفع (رأسُها) على الابتداء ، أي (حتى) هنا : حرف ابتداء ، المبتدئ بعده الجملة ، وتستأنف ، (أكلت السمكة حتى رأسُها) برفع (رأسها) على أنها مبتدأ ، خبره محذوف ، أي : (حتى رأسُها أكلت) فاللغة العربية فرقت في هذا المثال بين ثلاث حالات :

- <u>الأولى</u> : أكلت السمكة إلى أن انتهيت إلى الرأس ، تعرب (رأسِها) بالجر.
- <u>الثانية</u> : أكلت السمكة ورأسَها ، أكل السمكة وأكل رأسها أيضا.

- الثالثة : أكلت السمكة حتى رأسُها أيضا أكلتها [1].

٩- المثال الثاني : (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) يفرق هذا المثال بين ثلاث حالات أيضا ، رفع الفعل (تشرب) ونصبه وجزمه ، كيف ؟ أنا أقول لك :

أ- (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) تشرب مجزومة عطفا على (تأكل) النهي هنا منصب على الفعلين والمفعولين ، أي لا تقم بأكل السمك ، ولا تقم أيضا بشرب اللبن ، نهي عن الأمرين معا.

ومن نافل القول أن (تشرب) مجزومة بسكون الباء ، لكن بسبب التقاء ساكنين - الباء واللام في اللبن بعدها - كسرت الباء.

ب- رفع (وتشربُ) على إضمار مبتدأ ، أي : لا تأكل السمك وأنت تشربُ اللبن ، أي في ذات الوقت الذي تأكل فيه السمك لا تشرب - معه - اللبن.

جـ - نصب (تشربَ) على معنى النهي عن الجمع بين الفعلين ، أي : لا يكن منك أن تأكل السمك وأن تشرب اللبن ، لا تتبع أكل السمك بشرب اللبن بعده [2].

وهكذا نجد أن كل حالة لها إعرابها ، وإن قصد المتكلم وواقع الحال هو الذي يسير الإعراب ويوجهه ، وليس العكس ، فعند اللغة العربية لكل حادث حديث ولكل مقام مقال وإعراب وتوجيه.

والآن آن أن ننتقل إلى المادة التالية من دستور لغتنا العربية.

---

(١) راجع مغني اللبيب ١٤٩/١ ، وشرح قطر الندى ، والصرف العربي والنحو ، قراءة جديدة للمؤلف ، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص١٧٩.
(٢) راجع شرح ابن عقيل ٣٥٠/٢.

المادة التاسعة عشرة
{١٩}

تعلم العربية فرض كفاية ، إذا قام به فريق من الناس سقط عن الآخرين ، أما الطريق إلى تعلم العربية فهو النقل المحض أو العقل مع النقل ، ولا يصح العقل المحض فقط

ذكر السيوطي في الاقتراح [١] : (حكم تعلم العربية فرض كفاية) إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين ، وهو مصداق قول الله تعالى : (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ [٢]).

ومما قيل في هذه الآية من سورة التوبة : إذا بعث رسول الله (ﷺ) الجيوش أمرهم الله أن يغزوا بنبيه (ﷺ) وتقيم طائفة مع رسول الله (ﷺ) تتفقه في الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم [٣].

وهذا يعني أنه في حالة الذروة من الجهاد مع نبي الأمة (ﷺ) تبقى طائفة تتفقه في الدين ، وتخرج إلى قومها محذرة ومنذرة من مصير من كذب الرسل ،

---

(١) ص٧٥.
(٢) ١٢٢ التوبة.
(٣) تفسير ابن كثير ٤٠١/٢.

وعصى من أرسلهم ، حتى في هذه الظروف الجهادية الحرجة فإن فرقة من المسلمين يجب أن تتفرغ للتفقه في الدين.

وبما أن التفقه في الدين فرض كفاية ، فإن التفقه في العربية هو أيضا فرض كفاية ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب أيضا.

ويقر في ذهن المسلم أن العربية شعار الإسلام وأهله ، ولغة القرآن والسنة وأسفار هذا الدين ، والراسخين من علماء الإسلام [١].

ويقول ابن تيمية : إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي ، وجعل رسوله (ﷺ) مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي ، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين باللسان العربي ، لم يك سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان ، فصارت معرفته من الدين ، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله ، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين ، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار - ومن تبعهم - في جميع أمورهم.

فاللسان تقارنه أمور أخرى من العلم والأخلاق ، فإن العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله ، وفيما يكرهه ، فلهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم ، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير حاجة ... انتهى كلام ابن تيمية [٢].

ولما كانت اللغات من أبرز السمات التي تتميز بها الأمم والشعوب ، فإنه ينبغي لكل من يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها ، فهي اللغة التي يجب أن يرغب

---

(١) ابن رسلان : فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين ، ص٢٢.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص١٤٦ - ١٤٧.

فيها المسلمون ، مع الإشارة إلى أن النطق بغير العربية مما لا يحرمه الإسلام ، إلا أن المسلم إذا كان يحسن أن يتكلم بالعربية ، فلا يصح أن يميل إلى غيرها من اللغات مصداقا لقول الحبيب (ﷺ) : (من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية) أي باللغة الأجنبية ، غير العربية ، لماذا يا رسول الله ؟ لأنه يورث النفاق.

وقال عمر بن الخطاب : (تعلموا العربية) لماذا ؟ (فإنها من دينكم) فهذا الذي أمر به عمر (ﷺ) من فقه العربية ، وفقه الشريعة ، يجمع ما يحتاج إليه ؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال ، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقوال هذا الدين ، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله [1].

قد يقال إن القرآن والسنة وغيرهما من أسفار هذا الدين وأمهات الكتب فيه قد ترجمت إلى ما لا يحصى من اللغات ، نعم هذا صحيح صحيح ، لاشية فيه ولا جدال ، لكن الترجمة وحدها لا تكفي.

وقد عبر عن هذه الحقيقة نائب عميد كلية معارف الوحي في الجامعة الإسلامية بماليزيا عند اختتام مؤتمر اللغة العربية ـ ٢٠٠٧ ـ موجها كلامه إلى المؤتمرين : (إننا على يقين أن الإنسان لا يكون قويا إلا بالقرآن الكريم ، ولا يفهم القرآن إلا باللغة العربية) ؛ وقد جئنا بكم لكي تعلمونا اللغة العربية).

وعندما عرف المسلمون هذه الحقيقة هرولوا إلى تعلم العربية سواء في بلادهم ، أو في مضارب العرب ، خاصة الأزهر في المصر العزيز ، ثم شاركت أقطار عربية أخرى في قطار تعلم العربية ، السعودية ، سوريا ، المغرب.

وقد رأيت كل هذا بأم عينيّ في إفريقية (نيجيريا) وفي آسيا (ماليزيا ـ تايلاند ـ

(١) السابق ، ص ١٨٥ وما قبلها.

إندونيسيا) وغيرها ، فلغتنا العربية في الأرخبيل الإندونيسي هي أقدم لغة عرفها الناس بعد لغتهم الأم (الإندونيسية) بل إن الهولندية استعمرت ذياك البلد قرابة ٤٠٠ سنة ، أو أربعة قرون ، ولكن هذه اللغة المستعمرة لم تسطع أن تؤثر في الإندونيسية كما أثرت العربية التي لم تستعمر إندونيسيا ، ولو ليوم واحد ، أو نهار واحد ، بل ولا سويعة منه.

الإقبال في تايلاند على تعلم العربية - في الداخل - أو في مضارب بني يعرب ، ما يلفت نظر الباده من أول وهلة ، المدارس والمعاهد العربية ، في الجنوب والشمال وفي كل رجا من أرجاء المملكة مما لا تخطئه العين ولا النظر، وإني لا أبالغ إذا قلت : إن البيئة هنا من أشد البيئات خصوبة وثراء ورغبة في تعلم اللغة العربية.

ومن اللافت للنظر أيضا قدوم عدد كبير من الطلاب من الدول المجاورة أو القريبة ، رغبة في تعلم العربية وعلوم الدين ، خاصة من العملاق الكبير الصين ومن كمبوديا المجاورة ، وعدد المسلمين في كليهما ليس أغلبية ، ولكن يبدو أن مملكة تايلاند من الدول المرضي عنها من جيرانها ، سيما من الصين وكمبوديا ، ولذا نجد عدد هؤلاء الطلاب كبيرا في جامعة جالا.

طالب صيني سوف يقدم أطروحته للماجستير في التاريخ حول شخصية أحد علماء [1] الصين المسلمين في رحاب جامعة جالا الإسلامية ، بطبيعة الحال الرسالة مقدمة باللغة العربية الجيدة إلى حد كبير.

الدورية المحكّمة في جامعة جالا تأتيها بحوث محلية من أنحاء المملكة ، كما جاءني بحث لغوي ممتاز من نيجيريا لتحكيمه ، إضافة إلى بحث آخر من ماليزيا ،

(١) الطالب حسن محمد ، عنوان الرسالة (جهود تشن كي لي - ١٩٢٣ - ١٩٧٠ - الإصلاحية والتربية الإسلامية في الصين).

ما يشير إلى مستقبل مهم لهذه الجامعة الوليدة التي لما تضيء الشمعة الثانية من عمرها.

خلاصة ما سبق أن تعلم العربية والتفقه فيها فرض كفاية فقط ، لا فرض عين إذ لا يتصور أن على كل مسلم أن يكون خبيرا وعالما نحريرا في العربية ، بل كما قال القرآن : (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ...) لكن على الجميع ، من العرب ومن غير العرب توقير العربية واحترامها ، وكذا النظر بالتوقير والاحترام للمتخصصين فيها ، الحق يقال : إن هذا ما يحدث خارج الوطن العربي ، حيث تسير العربية بدفع ذاتي وجهد طوعي طيب ومبارك ، ما يجعلني أقول وبكل ثقة : إن العربية هي اللغة الأجنبية الأولى التي يتعلمها الناس ، خاصة من المسلمين ، الذين تهفو قولبهم إليها وإلى علمائها ورموزها ، هم أيضا حراص شديدو الحرص على السفر إلى الأقطار العربية لأخذ العربية في مضاربها ، ومن أفواه علمائها وفرسانها والمتخصصين [1] فيها ، وهم يقدمون أسمى آيات التوقير لكل من يأتي إليهم من العرب.

مشكلة العربية ـ بكل أسى ـ في معاقلها في العالم العربي ، حيث نتعرض من العامة والخاصة لمحاولات جادة ومستميتة لتنحيتها وتهميشها ، وزرع اللغات الأجنبية المستعمِرة ـ بكسر الميم ـ مكانها.

ناهيك عن محاولة كثير من السفهاء والبلهاء السخرية منها ومن المتخصصين فيها ، وأحيانا اتهامها بأنها سبب تخلف الأمة ، وأرى أن على علماء الأمة وفقهائها أن يصدروا فتوى شرعية تضع حدا لمن يسخر منها ، ويقول ـ مثلا مثلا ـ دكتوراه

(١) المسلمون في الصين ـ مثلا ـ وفي غيرها أيضا يفخرون بالدراسة في الأقطار العربية ، وينظر المجتمع الصيني لمن درس في البلدان العربية الإسلامية نظرة احترام وتوقير ، ويعتبرونه حاز علما كبيرا وفهما جيدا ، السابق ص٨٢.

في (حتى) ويتغامز على مثال : (أكلت السمكة ....).

وعندما حصلت على الماجستير ١٩٧٧ من القرن الماضي ، أردت أن أتقدم للعمل في إحدى الجامعات المصرية ، ولكن المختصين في مديرية التربية والتعليم أصروا واستكبروا استكبارا ، فطلبت مقابلة وكيل الوزارة ، كلمته وكأنه تائه كالذي يغشى عليه من التعب والإرهاق.

وعندما قلت لمدير مكتبه : (هل أبقى مدرسا في التعليم العام بعد حصولي على الماجستير ؟) رد باستخفاف (وإيه يعني - ماذا يعني - ماجستير في اللغة العربية ، ماجستير في كان وأخواتها) ويعلم الله كم بذلت من مجهود حتى حصلت على الماجستير في علم اللغة (الأصوات) من كلية دار العلوم ، هذا مثال من كلام بعض الناس وخريطتهم - تصورهم - عن اللغة العربية.

على أي الأحوال أنا أرى أن السخرية من اللغة العربية ربما تؤدي بالإنسان إلى الردة ، إن سبق له الإسلام الصحيح ، كيف ؟ أنا أقول لك : إن السخرية من أية شعيرة من شعائر الدين هو ردة عن هذا الدين ، وقد رأينا من عاب القراء من الصحابة ، لقد حكم عليه القرآن : كفرتم بعد إيمانكم ، وعندي قياس آخر.

إن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (١٦٠٣م) يفتي بأن من قال (قصعة من ثريد خير من العلم) فقد ارتد إن سبق له الإسلام الصحيح ، لماذا ؟ ازدرى (العلم) وسخر منه ، وفضّل شيئا تافها عليه ، والعلم قيمة كبرى في دين الإسلام ، فقد قال نبي الإسلام (ﷺ) : (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - اطلبوا العلم ، ولو في الصين - إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع - من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة - عالم واحد أضر على

الشيطان من ألف عابد) ويقول عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وقياسا على ما سبق فمن سخر من اللغة العربية أو ازدراها ، أو سخر من علمائها أو المتخصصين فيها ، أو ما يمسها من قريب أو بعيد ، فإنه يكون قد ارتد وكفر ، إن سبق له الإسلام الصحيح ، ومن ثم فإن على الدعاة والعلماء الراسخين في العلم والإعلاميين المخلصين أن يضعوا هذه الفتوى أمام عامة العابثين ، والذين ربما يقولون الكلمة سخرية بلغتنا يضحكون بها القوم أو جهلا وغفلة ، لا يلقون لما يقولون بالا أو اهتماما ، ربما يهوون في النار سبعين خريفا ، والعياذ بالله من نار جهنم ، وبئس بئس المصير.

بعد هذا كله نسّاءل أو ننتقل إلى الشق الآخر من المادة ١٩ من دستور لغتنا ، وهو : ما هو الطريق إلى معرفة العربية ؟ ما مصدر معلوماتنا عن لغتنا في الأصوات والصرف والنحو والمعجم والبلاغة والأدب ، شعره ومنثوره ؟ ما مصدر كل هذي القواعد والأحكام في لغتنا العربية ؟.

لكن - يا طويل العمر - ما صلة هذا بما نحن فيه وقلناه من أن تعليم العربية فرض كفاية واحترام العربية وتوقيرها فرض عين على كل مسلم ومسلم ، وعربي وعربية ؟ الصلة شديدة الوضوح ، إن بعض الناس من النوع التائه السفيه ، أو بادي الرأي ربما يتصور أن العربية بكل قواعدها وأسسها هي مبنية على أقوال متضاربة وترهات وأضغاث من الأقوال المتهافتة المتناقضة والتي لا تستحق غير الاستهزاء والخوض فيها واللعب وإطلاق النكات و (القفشات).

كلا أخي الكريم : الطريق إلى معرفة العربية وقواعدها وأسسها هو النقل

المحض كأكثر اللغة ، أو العقل مع النقل ، ولا تصح المعرفة [1] بالعقل المحض.

وقبل أن نشرح العبارة الأخيرة نسأل : (النقل) لأي شيء ، الطريق إلى معرفة العربية وقواعدها هو (النقل) أي نقل هنا ؟ وفي الجواب نقول : تمتاز العربية عن قواعد غيرها من اللغات بأن هذي القواعد تعتمد على ما نسميه (الشواهد) هذه الشواهد إنما هي من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، وما ثبت عن العرب الأقحاح قبل منتصف القرن الثاني الهجري.

كل هذي الشواهد إنما جاءنا عن طريق النقل الأكيد الموثق ، ولا نظن كتابا أشد وثاقة ويقينا مثل قرآننا ، لقد تلقته الأمة ، جيلا عن جيل ، من رب العزة إلى جبريل ، ومن جبرائيل إلى محمد (ﷺ) ومن سيد الخلق إلى أصحابه ، ومن الصحابة إلى التابعين إلى أن وصلنا سالما تماما من الزيادة أو النقصان أو شيئا من التحريف من أي نوع.

السنة النبوية كذلك جاءتنا هي الأخرى ، وإن كانت قد حظيت بمدرستين ، هما مدرسة السند أولا ، وأولا وأخيرا ، ثم مدرسة المتن والسند ، برغم أن الجانب اللغوي للأحاديث ، أو الشواهد اللغوية من الحديث النبوي لا خلاف عليها.

أما أشعار العرب ونثرها فقد خضعت هي الأخرى إلى محاولة ضبطها وتوكيدها وتمييز الزائف المنحول من الأصيل المقول ، بل إن بعض الدارسين يزعم أن النحاة وعلماء العربية القدماء مالوا في شواهدهم إلى شعر العرب أكثر من القرآن والسنة.

وتبرع قوم بشرح الأسباب فزعم أن الميل عن الاستشهاد بالقرآن الكريم

---

(١) الاقتراح للسيوطي ، ص٧٥.

بسبب تعدد قراءاته ، فكل قراءة يمكن أن تعطي وجها لغويا مخالفا للآخر ، وهذا صحيح مائة في المائة ، لكن هذا لم يمنع اللغويين بدءا من سيبويه أو حتى قبله من الاستشهاد بغزارة ووضوح شديد بكتاب الله ، وبكل قراءة من قراءات حتى بالقراءات الشاذة.

وفي الحديث قالوا : إن السبب أنه يمكن أن يروى بالمعنى من قبل العلماء والصحابة أيضا ، وليس من حق غيرهم رواية الحديث بالمعنى ، أما القرآن الكريم فلا يصح لأحد أن يرويه بالمعنى كائنا من كان ، حتى الرسول نفسه ، لا يصح له - أو لم يصح له - هذا.

نعم الحديث يروى بالمعنى ، ومع هذا وبرغم هذا فإن علماء العربية قد استشهدوا بالحديث أن علماء العربية - القدماء - قد استشهدوا بالكتاب والسنة ، وإن كانوا أكثروا من الاستشهاد بالأول أكثر من السنة.

على أي الأحوال هذي الشواهد العربية - قرآنية أو من السنة أو من أقوال العرب شعر أو نثرا - كل هذي الشواهد [1] اعتمدت على النقل المحض ، أو العقل مع النقل ، ولا تأت مطلقا قواعد العربية من أي نوع بالعقل المحض ، أي لم يخترعها أحد من علماء العربية ، ولا يصح ولا يستقيم لأحد أن يخترعها من عنده اختراعا ، مهما كان علمه وعقله.

فالإمام علي بن أبي طالب وأبو الأسود الدؤلي (ﷺ) لم يخترعوا شيئا من قواعد النحو أو الصرف ، إنما هما اكتشفا فقط هذه القواعد فصاغوها وأظهروها

(١) ليس فقط الشواهد التي اعتمدت على النقل المحض ، بل أيضا (القواعد) هي الأخرى اعتمدت على النقل المحض ، أو على النقل مع العقل ، وليس على العقل وحده حتى لا يدخل أحد على لغتنا ما ليس منها ، أو ما يتعارض مع منطقها وأسس قواعدها وخصائصها العامة ودستورها على ما سيأتي في باقي مواد دستور العربية وشروحها مما يفتح الله به على كاتب هذي السطور.

وبينوها للناس.

مثال آخر : علامة العربية الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) لم يخترع عروض الشعر أو القافية ، إنما هو اكتشف هذه الأشياء وقننها وضبطها ، وعلمها ونقلها للناس فنسبت إليه.

ولا يصح لهؤلاء الأئمة وغيرهم أن يخترعوا شيئا من عندياتهم ، هذا معنى كلام السيوطي : (ولا يصح المعرفة بالعقل المحض [1]) إن علماء العربية اكتشفوا وقننوا وقعدوا ما وجدوا لدى العرب ، ونقلوه عنهم نقلا ، ولم يخترعوه اختراعا ، هم فقط اكتشفوه وقدموه للناس.

ومع السيوطي مرة أخرى ليُقر [2] ما يلي :

١- <u>لا يجوز الاحتجاج بما لا يعرف قائله</u> : منطق تام ، لا يُماري ، ولا يجادل فإن ما لا يعرف قائله لا يجوز الاحتجاج به ، أو الاستشهاد به.

٢- <u>النقل المحض</u> : ما معناه ؟ وما مغزاه ؟ ما تواتر ، أو ما نقل تواترا ، أو آحادا - واحدا واحدا عن واحد عن واحد ... - فما التواتر ؟ وما شرطه وحدوده ؟ أن يبلغ عدد الناقلين عددا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب ، وهو ما نجده في القرآن [3] الكريم ومعظم أحاديثه (ﷺ) وبعض أقوال العرب ، من شعر أو نثر.

أما الآحاد وهو ما نجده في بعض الأحاديث وأقوال العرب - وربما بعض القراءات الشاذة - فيشترط فيه ، أي في الشاهد أن يكون الناقل عدلا ، رجلا أو امرأة

---

(١) السابق.
(٢) الاقتراح ، ص٧٥ ، ٨٢.
(٣) ولكن بعض القراءات أو (الحروف) قد ينفرد به بعض الآحاد ، وهذا يمكن أن يستشهد به على شرطه مثل قراءة أبي حنيفة : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ) برفع لفظ الجلالة (مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ) بنصب العلماء ، والخشية هي الاحترام والتوقير.

حرا أو عبدا.

وهذا يشير إلى أن الثقافة العربية لا تنحاز ضد المرأة ، فمن كان عدلا ـ رجلا أو امرأة ـ قبل نقله للشاهد [1] ، وكذا العبد يقبل نقله إن كان عدلا ، وهكذا لم تميز الحضارة الإسلامية ضد العبيد عندما كان في الناس سادة وعبيد.

على أي الأحوال فإن النقل في اللغة يشترط فيه عدالة الناقلين ، كما يشترط في نقل الحديث النبوي ، لماذا ؟ لأنه عن طريق اللغة تتم معرفة تفسير الحديث ـ وكذا القرآن ـ وتأويله ، فاشترط في نقل اللغة ما اشترط في نقل السنة ، فإن كان ناقل اللغة فاسقا لم يقبل نقله ، ويقبل نقل العدل ، ولو كان واحدا .

كما يقبل نقل العدل أيضا من أهل الأهواء ، ممن لا يدينون بديننا ، إلا أن يكون ممن يتدين بالكذب ، أي أن الكذب جزء من ملته ، أو جزء من دينه ، احترام للآخر واعتراف به ، ولو خالفنا في الدين والثقافة والملة.

٣ـ علل النحاة : وعلماء اللغة غاية في الوثاقة والإحكام ، على عكس ما يتصوره غفلة العوام وحمقاهم من أن ما يقول لغويو العربية هو هراء في هراء في هراء.

إن علل النحاة ومنطقتهم أقرب إلى علل المتكلمين ـ في علم التوحيد أو الكلام ـ منها إلى علل المتفقهين ، ولكن الفقيه قد يعجز عن تعليل الحكم فيقول : (هذا حكم تعبدي) وكذا النحوي واللغوي إذا عجز أحدهم عن تعليل القاعدة قال أيضا : (هذا مسموع) أي عن العرب [2].

---

(١) أو القاعدة.
(٢) السابق ، ص١٠٥.

يقول السيوطي ، وهو محق جدا جدا في قوله : ولو كانت هذه اللغة بشواهد وقواعدها حشوا كاملا ، وحشوا مهيلا ، لكثر خلافها وتعادت أوصافها ، فجاء عنهم جر الفاعل ، ورفع المضاف إليه ، والنصب بحروف الجزم ، وهذا لم يسمع عن العرب ، ولم تعرفه قواعد العربية ، بل في العربية نظام وقواعد ومنطق في كل شيء وهذا ما رأينا قبلا ، وما سوف نراه بَعْدا.

وهكذا ننتهي من المادة التاسعة عشرة لننتقل سراعا سراعا إلى المادة العشرين ، بحول الله وفضله.

الكتابـة والأصـوات

المادة العشرين
{٢٠}

قدم العرب إلى العالم نظام الكتابة والأرقام العربية التي لم تنج منها لغة من لغات العالم المعاصر

انتهينا قبلا إلى أن نظرية اللغات السامية قد أصبحت مهلهلة ، مشرّخة ومشروخة ، وفي النهاية أصبحت مرفوضة ، فقد رأينا [1] أن هذه المنطقة التي تسمى بمنطقة اللغات السامية ، أو مناطق هذي اللغات ، وهي (العراق والشام - بما فيها فلسطين - والجزيرة العربية واليمن وشرق الحبشة إضافة إلى مصر) ما هي إلا منطقة لغوية واحدة ، ذات لغة واحدة ، هي اللغة العربية ، ذات لهجات في كل هذي المناطق التي ادعى أنه سامية.

هذي اللهجات ربما تحولت في مرحلة لاحقة إلى لغات مستقلة ، أو أريد لها أن تكون لغات مستقلة ، كما يحاول بعض المضللين الآن من وسم اللهجات والعاميات العربية المعاصرة بأنها لغات مستقلات ، وهو قول مدحوض مرفوض.

وعليه فإن ما سمي باللغات السامية إن هو إلا لهجات ضمن اللغة العربية التي رأينا أنها أقدم لغة في التاريخ ، أو على الأقل من أقدم اللغات ، إن لم تك الأقدم على الإطلاق ، قد تكون هذه اللهجات تحولت في مراحل لاحقة إلى لغات.

وعليه فإن ما سمي بالشعوب السامية إن هو إلا شعب واحد ، في منطقة لغوية

(١) دستور اللغة العربية (الحلقة الثانية) ص١٢١.

متحدة ، هو الشعب العربي ، وما سمي باللغات السامية إن هي إلا لهجات ، على الأقل في البداية ، حتى لو تحولت إلى لغات مستقلة ، فإن بعض الباحثين اختار لها مصطلح (اللغات العروبية) بدل (اللغات السامية) ولم يشأ أن يسميها (اللغات العربية) حتى لا يستخدم المصطلح المضللين الذين يرون العاميات المعاصرة ، ليس لهجات ضمن اللغة العربية ، بل هي عندهم (لغات عربية) أو (اللغات العربية) وليس اللهجات العربية ، كما هي قناعة اللغويين المنصفين والمستشرقين.

وعليه فإنا نعتبر (اللغة الفينيقية) ليست لغة سامية ، بل هي لهجة عربية ، على الأقل في البداية ، حتى لو تحولت إلى لغة مستقلة ، فإنها تأتي تحت عنوان (اللغات العروبية) ليس (السامية).

فالشعب الفينيقي جزء من هذا الشعب العربي ، الذي امتد من العراق شرقا حتى مصر غربا ، ومن الشام شمالا حتى الجزيرة العربية واليمن جنوبا ، ثم شرق الحبشة ، هذا وطن العربية الأول ، أو نواة الوطن العربي ، هذه المساحة التي حظيت بحركة أنبياء الله منذ آدم (عليه السلام) إلى هارون وموسى ، مرورا بادريس وإبراهيم ويعقوب ويوسف عليهم السلام.

ثم حركة البشر الدائبة الدائمة ، في رحلتي الشتاء والصيف ، وفي رحلات من الجزيرة إلى مصر ، ولذا لم تك مصادفة أن يهاجر أصحاب محمد (ﷺ) إلى الحبشة ، ومرتين ، وقبلها احتلال الحبشة لليمن ... الخ.

على أي الأحوال فإن الموطن الأصلي والأول للفينيقيين كان في صور وصيدا وتقعان الآن جنوب لبنان ـ هذه المنطقة كانت ولا تزال جزءا من الوطن العربي الأم ، وفي نواته السابق وصفها والتعرف عليها ، صحيح كانت لهم مستعمرات في جزر

البحر الأبيض المتوسط أو على سواحله ، كما في (مالطة) وقرطاج [1] على الساحل التونسي ـ الآن ـ ومن ثم فإن هؤلاء الفينيقيين هم جزء من الشعب العربي.

يقول العلامة الدكتور علي عبد الواحد وافي : من الراجح أن الفينيقيين هم أول من اخترع الرسم (السامي) واستخدمه ، وبطبيعة الحال نحن نتحفظ على وسم الرسم بأنه (سامي) بسبب موقفنا السابق من اعتراضنا على مصطلح (اللغات السامية) ونظرية (الشعوب السامية) ومن ناحية أخرى فإن الفينيقيين هم أول من اخترع الرسم بشكل عام ، كما سيأتي.

لقد اضطرهم إلى اختراع الرسم والكتابة نشاطهم التجاري ، وكثرة تنقلهم وتعدد علاقاتهم بمختلف الشعوب.

ومن الوارد المقبول والمعقول أنهم أفادوا ممن سبقهم من الشعوب والحضارات ، فقد ذكر الدكتور وافي أن الفينيقيين اقتبسوا من الخط الهيروغليفي عند قدماء المصريين ١٣ حرفا من حروفهم البالغة ٢٢ حرفا.

وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية في معظم أنحاء العالم القديم ، واستخدمتها الشعوب ، ومنها تفرعت بشكل مباشرا وغير مباشر جميع حروف الهجاء التي استخدمت فيما بعد في مختلف لغات العالم.

فمن الحروف الفينيقية اشتقت الحروف العبرية القديمة ، ومن هذي الحروف اشتق الرسم العبري الحديث.

ومن الرسم الفينيقي اشتق الرسم الآرامي ، بل إن الكتابة الآرامية في أقدم صورها لا تكاد تختلف عن الكتابة الفينيقية ، ومن هذه الأخيرة كانت الكتابة

---

(١) وافي : فقه اللغة ، ص٣١ وبعدها.

التدمرية [1] والنبطية والسريانية ، ومن هذه الأخيرة جاءت الخطوط المغولية والمنشورية ، ومن الخطين النبطي والسرياني كانت الكتابة العربية.

ومن الكتابة الفينيقية كانت الكتابة الآرامية ، وعن العربية أخذت الحروف الهندية التي استخدمت أولا في شمال الهند ، ثم انتشرت إلى مختلف لغات الهند ، ومنها إلى اللغات السيامية (التايلاندية) والكمبودية ولغة الملايو قبل الحرف العربي.

وبطبيعة الحال اشتق من الكتابة الفينيقية الكتابة اليمنية ـ أو السبئية ، أو ما يسمى بخط المسند ، ومن هذا الخط اشتقت جميع الخطوط الحبشية ، القديمة والحديثة أيضا.

ومن الكتابة الفينيقية أيضا كان الرسم اليوناني القديم (الإغريقي) ومنه كانت الحروف اللاتينية ، ومن الرسمين الإغريقي واللاتيني تفرعت أنواع الكتابة المستخدمة في مختلف اللغات الأوربية ـ وغيرها ـ في العصر الحاضر.

وفي القرن العشرين ـ قبل الميلاد ـ عثر المنقبون في شبه جزيرة سيناء المصرية على آثار مدونة برسم هجائي بحت ، قريب من الرسم الفينيقي ، هذه المدونة يرجع تاريخها إلى ما بين القرن العشرين وأواخر القرن الخامس عشر ، قبل الميلاد [2].

وهكذا كانت الكتابة والرسم الهجائي اختراعا عربيا محضا ، أو قل فينيقيا خالصا ، من هذي المنطقة المباركة من جنوب لبنان الصامد الصابر ، الذي تعلم من طغيان جاره الجنب ـ في الجنوب ـ وغطرسته كيف يجاحش عن نفسه وينافح ويكافح

(١) نسبة إلى مملكة تدمر التي كانت تشمل جزءا من سورية الحالية.
(٢) المرجع السابق ، ص٣٣ وقبلها ، ومن رام تفصيلا أكثر فليرجع إلى كتاب : (علم اللغة) د. علي عبد الواحد وافي ، ص٢٤٤.

عن رغبته في الحياة.

ومن هذه المنطقة المباركة انتشرت الكتابة إلى جميع لغات العالم ، وقد أدخل كل قوم على الرسم العربي القديم ما رأوا أنفسهم بحاجة إليه ، كما أن الرسم العربي هو الآخر شهد إصلاحات مهمة ـ كما سبق ـ حتى أصبح على هذي الصورة من الكمال والجمال والتأنق والتذوق.

أبرز النظم الكتابية الآن ، والتي تفرعت أو اقتبست من الكتابة الفينيقية القديمة هي خمسة نظم : رئيسة ، تفرعت عنها نظم فرعية أخرى ، هذي النظم الرئيسة ، هي :

١ـ الكتابة الصينية.
٢ـ الكتابة الهندية.
٣ـ الكتابة اللاتينية : التي تكتب بها اللغات الأوربية ، وبعض اللغات في إفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، خاصة بعد حركة الاستعمار الأوربي في القرون المتأخرة.
٤ـ الكتابة العربية : التي استخدمت بشكل موسع منذ فجر الإسلام وحضارته ، منذ القرن السابع والثامن الميلاديين ، من وطن العربية الأول في الجزيرة والشام والعراق ، ومن هذه شرقا إلى آسيا ، ثم غربا إلى القارة الأفريقية ، ومن هنا إلى أوربة ، ليس في كتابة العربية فقط ، بل في كتابة ما لا يحصى من لغات العالم في آسيا وإفريقية وأوربة أيضا.

وبعد عصر الاستعمار الحديث تراجع الحرف العربي في كثير من اللغات الآسيوية والإفريقية والأوربية لصالح الحرف الاستعماري اللاتيني ، وإن كان كثير من الشعوب ـ خاصة في إفريقية ـ بدأت تدرك الثمار المرة لاصطناع الحرف الغربي

الأوربي ، والخسارة التي لحقت بها في التعليم والتنمية ومحو الأمية نتيجة التخلي عن الحرف العربي الذي ارتبط بتاريخ هذي الشعوب وثقافاتها ولغاتها ودينها ، ومن ثم رأت بعض الشعوب العودة إلى الخط العربي ، كما حدث في طاجكستان بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ١٩٩١ واستقلال جمهورياته الـ ١٤ عن روسيا الاتحادية ، لقد عاد الطاجيك إلى الكتابة العربية بعد ستين عاما من الكتابة بالحرف الروسي (السيريلي) الرجوع إلى الحق فضيلة ، بل الحق أحق أن يتبع ، هو أحمد المحامد في كل الأمور.

حدثت تحولات لغوية عميقة وجذرية بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتي السابق لكنا نرجئ الحديث في هذي النقيطة بعد الإشارة إلى الحرف الروسي.

ومن ناحية أخرى فإن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) تحاول تنميط الحرف العربي ومواءمته لكتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي مرة أخرى ، وقد انتهت من اللغات الإفريقية ، وانتقلت إلى اللغات الآسيوية ، وفي مرحلة لاحقة اللغات الأوربية التي كانت تكتب بالحروف العربية كاللغة الألبانية والبوسنية.

وفي هذا الإطار عقدت (الإيسيسكو) ورشة عمل بجامعة جالا الإسلامية ـ ٢١ ـ ٢٠٠٩/١٢/٢٣ ـ حول وضع المناهج والمقررات الدراسية للتعليم العام ومحو الأمية باللغات المحلية ـ كالملايو ـ المكتوبة بالحرف العربي القرآني ، وذلك بالتعاون مع لجنة مسلمي آسيا ، وجامعة جالا الإسلامية ، هنا في تايلاند.

وقد قدمت في الورشة ورقة عمل بعنوان : (عالمية الحرف القرآني ووسائل إصلاحه ومواءمته لكتابة لغات الشعوب الإسلامية) كما رأست ـ بالسين ـ بعض الجلسات.

٥- <u>الكتابة الروسية</u> : أو السيريلية ، نسبة إلى (سيريل) - أو (أكريل) في القرن التاسع الميلادي الذي نسبت إليه الكتابة الروسية ، كما تكتب بهذي الحروف السيريلية لغات أخرى سلافية ، مثل اللغة الصربية واللغة الأكرانية.

على أي الأحوال فإن الحرف الروسي فيه بعض الحروف العربية ، أو فيه تأثر واضح بالحرف العربي ، مثل تخصيص حرف ، أو رمز للسكون ، ومثل حرف الشين الروسي سد بدون النقط ، وبدون جسم الشين ، أو باقي جسم الشين.

وقد نقلنا هذه الملحوظة إلى المستشرق الأكراني الكسي [١] خمراي بقسم اللغة العربية ، جامعة كييف الحكومية للغات - ١٩٩٩ - فرأى أن إكريل نقل هذه الشين عن العبرية ؛ ربما لأنه كان يهوديا ، أو كما عبر خمراوي : (ربما كانت أمة يهودية) وهكذا وجدت وسمعت كل اليهود الذين رأيتهم لأول مرة في حياتي في أكرانيا ، هم دائما يقولون : (أمه ، أو أمها يهودية) ولا يقولون : هو يهودي ، أو هي يهودية.

ومن ناحية أخرى فإن انهيار الاتحاد السوفيتي السابق أدي إلى تراجع الحرف الروسي ، بل إلى تراجع عدد المتكلمين بالروسية ، سواء في الوطن أو خارج الوطن ، حتى وصل عدد المتكلمين بالروسية إلى ١٥٠ مليونا ، أو ربما اقل ، هم سكان روسيا الاتحادية ، وهم أقل من هذا الرقم المذكور.

على أي الأحوال لقد عادت اللغات القومية التي كانت منسية ومقموعة أيام ، الاتحاد السوفيتي ، الجورجية والأكرانية ... الخ أصبحت لغات رسمية في بلادها

---

(١) وهو أيضا يهودي ، إنه أول من ترجم بعض سور القرآن القصيرة إلى الأكرانية ، حيث لم يترجم القرآن إلى الأكرانية ، لأن معظم المسلمين في أكرانيا كانوا من التتار ، وقد كانوا يتكلمون التترية أو الروسية ولذا لم يهتموا بترجمة القرآن إلى الأكرانية ، راجع كتابنا : العربية في بلدان غير عربية ، ص٢١٠.

صحيح أن بعض هذي الشعوب بقي يكتب لغته بالحرف الروسي ، كما في الأكرانية ، ولكن شعوبا أخرى تحولت عن الحرف الروسي ، كما حدث في طاجكستان.

بعض الشعوب عادت عن الحرف الروسي إلى الحرف اللاتيني ، كما حدث في اللغات التركمانية والأزبكية والآذرية ، بل عادت أذربيجان لتغير اسم عاصمتها (باكو) إلى (باكي) لأن الأول هو تسمية روسية ، والثاني (باكي) هو تسمية آذرية.

صحيح أن الاتحاد السوفيتي ترك أجيالا من الكبار (عجائز وشيوخا) لا يعرفون غير الروسية ، وهذا عين ما رأيته في أكرانيا - ٩٨ - ١٩٩٩ - وفي (باكو) عام ٢٠٠٨ ، أجيال تعلمت وعاشت بالروسية فقط ، حتى إنني كنت أسمع من بعض الأكرانيين من يسمي العملة الأكرانية (الجرفنة) يسميها (الروبل) العملة السوفيتية السابقة ، كل هذا صحيح صحيح ، ولكن الصحيح أيضا أن هذي الأجيال إلى انقراض وانتهاء ، الأجيال الشابة تتعلم باللغة القومية الرسمية ، ولعلها تعرف أيضا الروسية من خلال التعامل مع الوالدين ، أو (الكبار) ولذا كنا في أكرانيا إذا أردنا أن نترجم شيئا إلى الأكرانية لجأنا إلى بعض طالباتنا النابهات فضلا عن أن هذي الأجيال الشابة تتكلم اللغات الأجنبية ، والأوربية خاصة ، في حين من النادر أن تجد من الأجيال الآفلة من يعرف غير الروسية.

ليس هذا فقط ، بل إن انهيار الاتحاد السوفيتي - ١٩٩١ - قد أدى إلى تطورات لغوية وثقافية أخرى ، منها أن الاقتباسات التركية والعربية والرواسب اللغوية التي خلفتها الإمبراطورية العثمانية على مدى ٤٥٠ سنة في البلقان قد عادت مرة أخرى إلى الرواج في البوسنة [1].

(١) راجع : صدام الحضارات / صمويل هاتنجتون ، ص١٠٦.

الدنيا تتغير وتتحول وتتطور ، فهذا كمال أتاتورك يتحول في بلده تركيا من صنم وبطل وشبه إله إلى شخصية عادية تختلف الآراء حولها ، كما تختلف حول غيرها من الأشياء ، لم يعد شيئا مقدسا ، محظورا لمسه ، أو الاقتراب منه ، خرج من قمقم (اللا مساس) أو (التابو) إلى مناقشة ما كان منه ، وما كان في عهده كأي عهد آخر ، وهو الذي أمر بكتابة التركية بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي الذي كتبت به اللغة التركية منذ قرون.

على أي الأحوال فإذا كانت الكتابة في العالم كله من أصل فينيقي (عربي) أو (عروبي) فإن الكتابة العربية المعاصرة قد شقت طريقها نحو التطور [1] والكمال والجمال ، حتى كان منها ومن الخط العربي بمختلف أنواعه لوحات فنية يشارك في نسجها العجم والعرب على السواء ، ليس العرب فقط ، حتى الأتراك الذين أجبروا على اصطناع الخط الأوربي ، برع كثير منهم وكانوا دوما مفتونين بالخط العربي ، الخطاطون الأتراك ما يزالون إلى الآن في مقدمة الخطاطين في العالم.

فضائية الجزيرة نقلت منذ عشرة أيام أن الخطاط الأفغاني (أحمد صبري) الذي كان يعيش في طهران عاد إلى مسقط رأسه (هيرات) لماذا ؟ ليكرس حياته في خدمة الخط العربي ، فقد أعاد كتابة بعض الكتب بخطه ، والشيء بنظيره يذكر ، فلا يعاب من أحد ، ولا حتى ينكر ، فقد كتب أستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ـ رحمه الله ـ بخط يده ـ فائق الجمال ـ بعض كتبه من الألف إلى الياء ، منها كتاب : (مشكلة الهمزة العربية ...) صدر بالقاهرة ١٩٩٢.

هيرات العاصمة الثقافية لأفغانستان ، والتي ينسب إليها كثير من العلماء

(١) راجع الإصلاحات التي أدخلت على الكتابة العربية في كتابنا : (... الأصوات في رواية حفص ..) القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص٨٥ وقبلها.

والأكابر ، منهم : (معاذ بن مسلم الهراء ت١٨٧هـ) الذي نسبت إليه بعض الأقوال وضع الصرف العربي ، سمي بالهراء لأنه كان يبيع الثياب الهروية ، نسبة إلى (هيرات) التي تقع الآن غرب أفغانستان ، بالقرب من الحدود الإيرانية.

على أي الأحوال فإن الخط العربي استطاع استرجاع بعض مواقعه التي فقدها يعاونه في هذا رغبة الشعوب الإسلامية في هذه العودة ، واكتشافها الثمر المرة المريرة للكتابة بالخط الاستعماري اللاتيني ، ولذا تجد هنا في تايلاند كثيرا من الملايو يحاولون الكتابة بالحرف العربي في لافتات المحلات ، وفي تهاني العيد وغيره من المناسبات.

ومما يساعد الخط العربي في منازلته للخط الغربي الاستعماري أن الغرب (أوربة وأمريكا) ومن لف لفهما قد انكشف أمرهم ، وافتضح أمام الشعوب تآمرهم ، وبغضهم للآخر ، خاصة المسلمين ، ظهر هذا في فلسطين ولبنان والعراق الجريح المهيض وأفغانستان وباكستان والصومال واليمن ... فقط ؟ كلا بل في عقر دارها في أوربة ، في ألمانيا تقتل المرأة المسلمة في قاعة المحكمة ، وفي سويسرا يفتي الشعب ـ ليس الحكومة ولا البرلمان ـ بحظر المآذن في بلد السلم والأمن والحياد ، لكن ما سبق في هذين البلدين الأوربيين هو تعبير عن الوجه الحقيقي الأصيل للقارة الاستعمارية.

وكما قدم العرب للعالم نظام الكتابة قدموا أيضا نظام الأرقام ، إذ لا تنجو لغة مكتوبة من لغات عالمنا المعاصر من الرقم العربي ، هذا الرقم العربي ربما يكون قد أفاد من محاولات وتجارب الأمم الأخرى ، هذا أمر وارد مقبول لكن الثابت القاطع من القول أن العرب هم من ضبطوه وحوروه ، ووضعوا عليه أهم اللمسات والبصمات ، وهي فكرة الصفر ، كما سيأتي.

هذه الأرقام العربية هي نوعان ، الرقم المشرقي الذي يستخدم في مشرق الوطن العربي ، وتستخدمه أيضا اللغات التي تكتب بالحرف العربي ، والرقم المغربي (الغباري) لأنه كان يكتب على الغبار ، هذا الرقم الغباري انتقل من مغرب الوطن العربي إلى الأندلس ومنه إلى اللغات الأوربية ، ومن اللغات الأوربية إلى اللغات التي اصطنعت الكتابة اللاتينية ، ومن ثم ارتبط الرقم الغباري باللغات الأوربية الاستعمارية والكتابة الاستعمارية.

وهناك جدل بين العرب وربما بين غيرهم ، هل الأرقام الغبارية هي العربية ، أو هي عربية والأخرى ليست عربية ، بل هي هندية ؟ يتبنى وجهة النظر الأولى ، أي أن الغبارية المستخدمة في اللغات الأوربية وفي الكتابة اللاتينية بشكل عام هي العربية ، يتبنى وجهة النظر هذه مغرب الوطن العربي في تونس والجزائر والمغرب وقد تسرب هذا الرأي إلى بعض دول الخليج ، وبعض العرب بشكل عام.

والرأي الآخر يتبناه مجمع اللغة العربية بالقاهرة والجمعية المصرية لتعريب العلوم والتي تنافح عن هذا الرأي بقوة ، فالرقم المشرقي : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠ هو الرقم الذي استخدم في الكتابة العربية والتراث العربي على مدى التاريخ ، كما أنه أنسب ـ علميا وعمليا ـ للحرف العربي والكتابة العربية.

ومن ناحية أخرى ترى الجمعية المصرية لتعريب العلوم بالقاهرة أن الرقم الغباري : 1 2 3 4 5 6 7 8 9 0 ارتبط باللغات الأوربية الاستعمارية والحرف اللاتيني ، وهو يناسب ذياك الحرف ويتسق معه ، ولم نر ذلك الرقم في التراث العربي والمخطوطات العربية القديمة ، وإن رآه أحد ، فهو في ركن ضيق صغير ، لا يقارن بالرقم المشرقي ، كما أنه ربما كان مناسبا للخط المغربي ، الذي يختلف في بعض جوانبه عن الخط المشرقي ، أو الخطوط في المشرق.

والرأي أن كلا الرقمين (المشرقي) والمغربي (الغباري) كلاهما عربي ، وإن كنت أميل وأستخدم الرقم المشرقي ، على اعتبار أنه الأنسب إلى الحرف العربي ، كما أن الرقم المغربي ارتبط باللغات الاستعمارية والكتابة اللاتينية.

إن الأرقام العربية ـ كما حللت في دراسات سابقة ـ تحتوي على ثلاثة عناصر ، هي :

١ـ الصفر : وهو قمة القمم في الأرقام العربية ، والفارق الواضح بينها وبين ما سبقها من نظم للأرقام ، اختراع الصفر اختراع عربي صريح صراح ، وهو الذي ميز نظام الأرقام العربية عما سبقها ، حتى قيل إن اختراع الصفر يشبه أو يفوق في أهميته اختراع العجلة ، واكتشاف النار.

إنه فتح الأرقام إلى ما لا نهاية ، بدل أن نقول ألف ألف ألف ... الخ ، نقول : (مليار) أو نحدد الرقم حسب الأصفار على اليمين ، فتح جديد أفسح الطريق لكل أنواع التقدم في شتى العلوم الإنسانية ، جاء اختراع هذا الصفر على يد العبقري العربي العلامة الخوارزمي (ت ٨٥٠ م).

٢ـ نظام الخانات : قد يكون هذا النظام عرف قبل الرقم العربي ، لكن العرب وضعوا عليه اللمسات الأخيرة ، وقدموه للشعوب الأخرى ، هذا النظام الذي يضع الآحاد على اليمين ، ثم العشرات ثم المئات ، ثم الألوف ... الخ.

والدليل على أن كلا النوعين المشرقي والمغربي عربي ، هو أن اللغات التي تكتب بالحرف اللاتيني أو غيرها من اللغات التي لها حروف خاصة بها ، مثل : (الصينية ـ الهندية ـ الروسية ـ السيامية (التايلاندية) ـ الكمبودية ـ اليابانية) برغم أن هذي اللغات لا تكتب من اليمين إلى اليسار ـ كما نفعل في العربية ـ إلا أنها تلتزم بأمرين :

أ- الصفر : لا يوضع إلا على اليمين ، ليس على اليسار مطلقا ، انظر مثلا العدد مائة ، في الرقم المشرقي (١٠٠) الأصفار على اليمين ، وفي الرقم المغربي (100) أيضا تجد الصفر على اليمين ، وفي كل اللغات التي اصطنعت هذا الرقم المغربي (العربي).

ب- نظام الخانات : هو هو ، يبدأ من اليمين أيضا ، وليس من اليسار - كما نجد في الكتابة الأوربية أو غيرها - نفس الترتيب ، من الآحاد إلى العشرات إلى المئات ... إلى ... إلى ، في الرقم المغربي - مثلا - 833 ، في الرقم المشرقي نفس الترتيب ٨٣٣.

٣- الرمز : هو الشيء الذي فرق بين الرقمين المشرقي والغبار (المغربي) لماذا ؟ لأن اللغات الأوربية طورت الرموز الغبارية القديمة إلى ما يناسبها ، ويناسب لغاتها ، وإن كنت أرى أن الفارق بين النوعين من الرموز ، ليس واسعا شاسعا قارن :

الرقم المشرقي : (١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠)

الرقم المغربي : (1 2 3 4 5 6 7 8 9 0)

ولكن الرمز أسهل العناصر في هذه القضية ، يمكن أن يطور ويغير بكل سهولة ويسر ، وهو أقل العناصر أهمية ، فالعنصران الأولان ، خاصة الصفر ، ثم نظام الخانات هما الأهم والأشد خطورة في تقدم البشرية.

الأرقام العربية كانت أساس كل هذا التقدم في الرياضيات وشتى العلوم حتى وصلنا إلى صناعة الحواسب ، ثم : (وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ).

كما أصبحت الأرقام العربية عنصرا مهما من عناصر اللغة العالمية ، يتعرف

عليها كل امرئ في هذا العالم مهما اختلفت لغته ونظام كتابتها ، ففي الفنادق والمباني - مثلا - إذا كتب الرقم 425 أو (٤٢٥) كان معناه الطابق الرابع ، الحجرة (٢٥) وهكذا.

خلاصة ما سبق أن العرب (الفينيقيين) قدموا للعالم كله نظم الكتابة الرئيسة في هذا العالم وما تفرع عنها ، كما أنهم طوروا كتابتهم العربية على مدار التاريخ حتى أضحت أكثر نظم الكتابة جمالا وكمالا وأناقة ، الخط العربي الذي يعشقه كثير من الناس عجما وعربا ، فيصنعون منه لوحات الفن والإبداع مما لا نجده في نظم كتابية أخرى.

صحيح أن الحرف العربي فقد بعض مواقعه ، إلا أنه يسعى جاهدا لاستعادتها كما تسعى الإيسيسكو لتنميط الحرف العربي وإعداده لكتابة لغات الشعوب المسلمة مرة أخرى ، وذلك بالتعاون والتنسيق مع هذي الشعوب سيما أنها اكتشفت الثمر المرة المريرة لكتابة لغاتها بالحرف الاستعماري ، إضافة إلى انكشاف حقيقة الغرب ومشاريعه التدميرية ، التي تطارد البشر والشجر والحجر والمدر ، في أي مكان من هذا العالم.

ليس حروف الهجاء ما قدمه العرب للعالم كله ، بل أيضا الأرقام العربية بنوعيها المشرقي والمغربي الأوربي ، حتى غدت هاتيك الأرقام بنوعيها لغة عالمية بين البشر عندما تختلف ألسنتهم ولغاتهم ، وبشكل أخص الأرقام الغبارية التي التزمت بأمرين بالغي الأهمية والخطورة ، هما :

- فكرة الصفر ، وأن يكون عن يمين الرقم ، كما في الأرقام المشرقية.
- نظام الخانات الذي يبدأ من اليمين ، وليس من اليسار ، كما تبدأ نظم الكتابة غير العربية التي تسير من اليسار إلى اليمين ، وليس من اليمين إلى اليسار ، كما نجد

في نظام الكتابة العربي.

إذن فالتزام النظم الكتابية غير العربية بأن يكون الصفر يمين الرقم ، وليس عن يساره ، وبدء نظام الخانات من اليمين إلى اليسار ، ليس من اليسار إلى اليمين كما تكتب هذي اللغات ، كل هذا ما يدل بيقين أكيد على أن هذا النظام من الأرقام هو عربي حتى النخاع.

إن هذي اللغات غير العربية قد أخذت هذا النظام (الغباري) من الأرقام عن اللغات الأوربية ، خاصة اللغات الاستعمارية (الفرنسية - الإنجليزية - الألمانية - الهولندية - الأسبانية ...) الخ.

الرموز (الغبارية) هي الأخرى أخذتها أوربة عن طريق الأندلس ، هذي الرموز حدث لها تطوير وتطويع أوربي ، وهي وإن اختلفت عن الرقم المشرقي هي قريبة الشبه مع الرموز المشرقية ، كما أن الترتيب من واحد إلى تسعة هو ترتيب واحد غير مختلف في أية لغة من اللغات ، وهي مسألة مهمة .

المادة الحادية والعشرون
{٢١}

الكتابة العربية كتابة مختصرة إذا قورنت بغيرها من اللغات ، وقد تم هذا في اللغة العربية ضمن آليات وإجراءات محددة

ذكرنا أن نظام الكتابة الهجائي ، أي أن نعطي لكل صوت في اللغة رمزا (حرفا) خاصا بها ، بدلا عن نظام الرسم للأشياء والمخلوقات الذي ساد قبل هذا النظام ، هذا النظام الكتابي الهجائي كان اختراعا عربيا ، أو (فينيقيا) خالصا ، انتقل من جنوب لبنان إلى سائر مناطق العالم ولغاته ، ومنه لغة هذا البلد (تايلاند) اللغة السيامية بل أبعد من هنا حتى اللغة الكمبودية ، الجار الشرقي لمملكة سيام ، وغيرهما من اللغات.

ولكن سؤالا لعله يطرح نفسه ، طرحه عليّ أحد الزملاء ، ألا هو : إن من يقارن بين الكتابة العربية الحديثة والكتابات الأخر للغات الأخر يلاحظ الفروق الشواسع بين كتابة لغتنا وبين غيرها ، فكيف يقال : إن الأصل واحد ، برغم هذا كله ؟.

كل هذا حق وحقيق وصح وصحيح ، إن بعض العرب عندما يقارن بين كتابة العرب وكتابات غيرهم ، يحس للوهلة الأولى أن هذي الأخيرات إن هي إلا شخبطات ولخبطات ونعكشات ، لا تقارن بسلاسل الذهب في الحرف العربي فائق الجمال والأناقة والتأنق والإبداع.

والسبب في هذا أيها الزميل الكريم ، ويا قارئيّ الأكارم أن الحرف العربي دخلت عليه تطويرات وتعديلات وتغييرات جعلته على هذه الدرجة من الكمال والاكتمال ، لقد هيأ الله للحرف العربي عباقرة مثل أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم والعلامة الخليل ، هؤلاء النفر ومن لف لفهم هم من جعل كتابة العرب على هذا المستوى.

انظر - عزيزي القارئ - إن النظام الأساس والرئيس للمباني والقصور والشقق واحد ، الأساس المحفور في الأرض ، الأعمدة ، السقوف ، الأبواب النوافذ والشرفات ، لكن قد يحول أحدهم شقته الصغيرة إلى جنة وارفة ، في حين قد يهمل القصر الكبير حتى يصير خرابا يبابا ، لا يطاق ، هكذا فعل العرب بلغتهم وكتابتهم ، في حين لم يتح للغات الأخر ما أتيح للغتنا.

وقد نبع هذا من نظرة علماء العربية وفرسانهم وخريطة تصورهم عن لغتهم تماما كما يعني الإنسان بنفسه طبقا لتصوره ونظرته لها ، فهو يهتم بها قدر تقديره لها ، إذ يقال : أنت حيث تجلس نفسك ، أي حيث تضع نفسك.

لكن هذي الكتابة العربية في بداياتها وإرهاصاتها كانت على تلكم الصورة التي نراها الآن في الكتابات غير العربية ، كانت على شكل بدائي بسيط وغير متناسق ، على ما تظهره لوحات الكتابة العربية القديمة ، يمكن مراجعتها في الكتب المختصة.

على أي الأحوال فإن اللغات الأخرى طورت النظام الفينيقي بطريقتها الخاصة ونضرب مثالا باللغة العبرية :

١- اشتق الرسم العبري من الفينيقي الذي كانت تتألف حروف هجائه من ٢٢ حرفا ، ترمز إلى الصوامت فقط ، ويكتب من اليمين إلى اليسار ، الحروف كلها متفرقة

منفصلة عن بعضها غير متصلة ، اللهم إلا الألف واللام فتتصلان [1].

معنى هذا أن أشكال الحروف العبرية كانت لا تختلف ـ في البداية ـ كثيرا عن الحروف الفينيقية القديمة ، عرف الرسم في هاتيك المرحلة بالرسم العبري القديم.

٢ـ وفي المرحلة الثانية تأثر الحرف العبري بالحرف الآرامي ، إذا تأثرت العبرية نفسها باللغة الآرامية.

٣ـ وفي القرن السادس ـ تقريبا ـ أدخل على الرسم إصلاح جديد ، حيث استخدمت الواو والياء والهاء للرمز أيضا إلى الحركات الطوال.

٤ـ وفي العبرية الحديثة أدخل إصلاح آخر ، إذ اخترعت رموز للحركات القصار ، توضع فوق الحرف والتي تستخدم في العصر الحاضر ، وكان هذا تقليدا للرسم العربي.

٥ـ يجب الإشارة إلى أن اليهود استخدموا الحرف العربي واللاتيني ـ أحيانا ـ في كتابة لغتهم [2] ، كما رأينا في وثائق الجنيزة التي عثر عليها في القاهرة ، وفي المخطوطات العبرية التي عثر عليها في أكرانيا ، فقد كتب بعضها بالحرف العربي ، وبعضها بالحرف العبري [3].

كان اليهود يكتبون لغتهم في بعض الأحيان بحروف اللغة التي يكتب بها الناس في البلاد التي عاشوا فيها ؛ ربما لكي لا تلفت النظر إليها ، ولذا فإن من الوارد مثلا أنهم كانوا يكتبون في أوربة بالرسم اللاتيني ، وفي بلاد العرب بالرسم العربي وهكذا.

---

(١) ربما تأثرا بالعربية في (لا) التي يضعها بعضهم في الحروف العربية ، قبل الواو والياء.
(٢) راجع : وافي ـ فقه اللغة ، ص٥١ وقبلها.
(٣) انظر كتابنا : (العربية في بلدان غير عربية) ، ص٢٠٥.

وأحيانا يكتبون اللغة المحلية بحروفهم العبرية حتى لا يعرفها أحد ، ولذا قال النبي الأكرم (ﷺ) لزيد بن ثابت : (تعلم لي كتاب يهود ، فإني أخشاهم على كتاب الله) فتعلمها - أي الكتابة - في شهر ، لعل اليهود في المدينة المنورة كانوا يكتبون العربية بالحرف العبري ، ولذا طلب من زيد (ﷺ) أن يتعلم هذا الحرف ، وليس اللغة العبرية لأن زيدا أو غيره لا يمكن أن يتعلم وحده لغة ما في شهر واحد ، ولأن النص : (تعلم لي كتاب - أي كتابة - يهود) ولم يقل لغة يهود ، أو لسان يهود.

هذا نموذج من تعامل بعض الناس مع لغاتهم وكتابتها ، وهناك نموذج آخر هو الكتابة الحبشية القديمة والحديثة :

١- ذكرنا قبل ذلك أن اللغة الحبشية هي لهجة عربية - في الأصل - وبالتحديد يمنية نتيجة هجرة مجموعات بشرية من اليمن إلى شرق الحبشة [1].

٢- الكتابة الحبشية هي الأخرى مقتبسة من الرسم السبئي القديم ، الكتابة القديمة خلت من رموز للحركات ، كانت ٢٦ حرفا ترمز فقط إلى الصوامت ، ثم ٧ أحرف للأصوات الحبشية التي لا نظير لها في العربية السبئية.

وسارت الحبشية في اتجاه غريب عجيب ، حاولت أن تجد طريقة للتعبير عن الحركات فظهرت علامات للأصوات الصائتة ، أخذت هذه العلامات تزيد شيئا فشيئا حتى بلغت ٦ علامات تشير إلى ٦ أصوات من هذا النوع ، إضافة إلى سابع يشير إلى الصامت الساكن.

وقد أخذت هذه العلامات الدالة على الصوائت تزداد أهميتها شيئا فشيئا حتى أصبحت عناصر أساسية في رسم الكلمات والحروف ، غير أن هذه العلامات ليست متمثلة في رموز مستقلة ، كما تجد في الكتابة اللاتينية الأوربية ، ولا في رموز

(١) دستور اللغة العربية ، ص٦٢.

توضع فوق الحروف وتحتها كما فعل الرسم العربي ، بل تتمثل في تغيير يلحق صورة الحرف نفسه ، فشكل الحرف يتغير تبعا للصائت الذي يأتي بعده ، وبذا أصبح لكل حرف سبعة أشكال متميزة ، يرمز كل شكل إلى نوع الحركة التي تلي الصامت.

وكان هذا بفعل الأفراد المصلحين أو المغيرين المطورين للكتابة الحبشية ، ثم اختاروا أن يكتبوا كل هذا من اليسار إلى اليمين ، بعد أن كان من اليمين إلى اليسار كما كان الرسم السبئي الذي اقتبس الرسم الحبشي منه ، وظل يكتب هكذا من اليسار وليس من اليمين ، وظل على هذا الحال إلى الوقت الحاضر.

هذا نموذج آخر لتصرف الناس في عملية الكتابة ومنطقهم وشاكلتهم (قل : كل يعمل على شاكلته [1]) ولذا اختلفت طرق الكتابة في العالم برغم أن الأصل واحد وهو الكتابة الفينيقية ، هذه الطرق المختلفة للكتابة التي سارت حسب هوى الناس ومنطقهم.

والآن نفصل القول حول الكتابة العربية والآليات التي جعلتها مختصرة مختزلة عن غيرها ، فقط نشير قبل ذلك إلى أن أهم ما تتميز به الكتابة العربية أنها تكتب من اليمين إلى اليسار ، على عكس الكتابة الحبشية القديمة والحديثة ، وعلى عكس كثير من نظم الكتابة في العالم ، مثل الكتابة اللاتينية وغيرها من الكتابات.

وبما أن الإنسان في الأغلب الأعم المعتاد يكتب بيده اليمنى فإن الأسهل عليه أن يسير من اليمين إلى اليسار ، ليس العكس ، وهو ما يؤدي إلى سرعة الكتابة والانتهاء منها في وقت وجيز مناسب.

فما هي هذي الآليات والإجراءات التي جعلت من العربية كتابة مختصرة عن

(١) وافي - فقه اللغة ، ص٨٥ وقبلها.

غيرها من أنواع الكتابة ، منها :

١ـ الكتابة العربية متصلة مشبكة : على عكس بعض الكتابات ، كما في الكتابة اللاتينية التي تجيز في خط اليد أن يشبك ويتصل ، في حين لا تسمح بهذا في الطباعة ، لابد أن تكتب الحروف منفصلة غير متصلة ، وغير مشبكة ، كما في الإنجليزية والفرنسية والأسبانية مثلا.

وفي كتابة الوثائق المهمة كوثائق السفر والجوازات تكتب الحروف اللاتينية بشكل ملزم في أحايين كثيرة ـ بحرف مفردة وكبيرة أيضا ـ على عكس النظام العربي الذي تكتب به مثل تيك الوثائق مشبكة متصلة ، وتكون شديدة الوضوح ، مفهومة مقروءة ، ظاهرة للعيان.

وفي الكتابة التايلاندية المقتبسة من الهند ـ وعمرها كما يقال ٧٠٠ سنة ، لا تشبك لا في خط اليد ، ولا طباعة على الحواسيب ، مع الاحتفاظ بمسافة أكبر بين الكلمات ، بحيث تتضح الكلمات مستقلة ، حيث المسافة بين حروف الكلمة أقل من المسافة بين الكلمات ، وبطبيعة الحال تستخدم الآن الرقم المغربي المستخدم في اللغات الأوربية.

ناقشنا بعض الزملاء في الأرقام المستخدمة في التايلاندية ، فذكر أنها الأرقام المستخدمة في الإنجليزية لكن التايلاندية لها أرقام خاصة بها ، أرقام قديمة كانت تستخدم قبل استخدام الرقم المغربي ، الذي انتقل من اللغات الأوربية ، هذا النوع من الأرقام ناقشنا فيها زميلنا ، الذي ذكر أن الرقم التايلاندي القديم ما يزال يستخدم في بعض الكتابات الرسمية ، ثم كتب لنا من ١ إلى ١٠، فرأينا أن علامة الصفر واحدة ، إنها الدائرة ـ كما في الرقم المغربي ، ليس النقطة ـ كما في الرقم المشرقي ـ كما طلبنا منه كتابة بعض الأرقام ، فاتضح أن الصفر على اليمين ، كما أن نظام الخانات

يبدأ من اليمين إلى اليسار ، مع أن الكتابة التايلاندية تسير من اليسار إلى اليمين ، ذكر لي أحد طلابي الكمبوديين أن كمبوديا كانت تستخدم نفس الأرقام التايلاندية ، وهو أمر وارد ، لأن كلتا الكتابتين التايلاندية والكمبودية جاءتا من الهند ، ولعل رموز الأرقام في كلتا اللغتين قد اقتبستا أيضا من الهند.

الحروف العربية التي تدخل في صلب الخط ٢٨ رمزا ، باقي الرموز ـ كما سنفصل ـ تلحق بالخط ، فوقه أو تحته ، هذي الرموز الثمانية والعشرون كلها بلا استثناء تشبك بما قبلها ، عدد قليل منها لا يشبك بما بعده ، وهي : (و ا د ذ ر ز) ولذا فالكتابة العربية جد متصلة متشابكة ، متقاربة ، غير متباعدة ، ما يجعلها دوما مختصرة مختزلة ، مقارنة بغيرها من أنواع الكتابة.

٢ـ <u>الرموز العربية الملحقة بالخط</u> : فوقه ، أو تحت ، هي كثيرة :

أ ـ <u>رموز الحركات القصار</u> : الفتحة والضمة والكسرة ، الأولى على الحرف ، عن يمينه ، والثانية عن يساره ، الأخيرة تحت ، كذا رمز السكون ، كان رأس خاء في الأصل ، لكن بدون نقطة ، وهو ما نجده في رسم المصحف ، تحولت هذي الخاء ـ اختصار خفيف ـ أي سكون خفيف ، في مقابل السكون الشديد ، رأس الشين ـ اختصار شديد ـ التي تسمى بالشدة للتضعيف أو التشديد ، تحولت إلى دائرة.

ب ـ التنوين : نون ساكنة تلحق آخر الأسماء المعربة ، لم تدرج في صلب الخط ، بل كررت الحركة القصيرة مرتين ، فتحتين ، ضمتين ، أو كسرتين.

جـ ـ وضعت رأس العين ـ اختصار قطع ـ على الألف حتى تدل على الوقفة الحنجرية ، خاصة أول الكلمة ، أو ما سمي بهمزة القطع ، كما (أخذ ـ أنهار ـ

أسبوع) رأس صاد ـ اختصار وصل ، أو كما سميت همزة الوصل ، أو (ألف الوصل) نجد هذا في المصحف وبعض الكتب التي طبعت في بداية القرن الماضي وبعده ، ثم استغني عنها بعد ذلك ، خاصة في الكتابات المعاصرة مطبوعة على الحاسب ، أو مخطوطة بكتابة اليد.

د ـ النقطة أو أكثر لتمييز الحروف عن بعضها ، كما في الباء والتاء والثاء ، الجيم والحاء والخاء ، ثم الدال والذال إلى الفاء والقاف.

كما توضع نقطتان تحت الياء نهاية الكلمة حين تنطق ياء أو كسرة طويلة ، في حين يهمل حرف الياء إذا نطق ألفا ، هذي أمثلة من مجلة : (الأصول والنوازل) الصادرة في هذا العام ٢٠٠٩ [١] :

- أبو يعلى ، موسى ، نهي ← الياء ترمز إلى ألف المد ، إذ النطق (يعلا ـ موسا ـ نها) بالألف ، وليس بالياء ، ولذا لا تكتب نقطتان تحت حرف الياء.
- القاضي : الياء ترمز هنا إلى ياء المد ، ولذا توضع نقطتان تحت الياء.
- توفي ، نهي : الياء لينة غير مدية ، وليست دالة على فتحة طويلة (ألف مد) لذا توضع النقطتان تحتها ، ومن ثم نجد فرقا بين (نَهى) المبنية للمعلوم ، حرف الياء بدون نقطتين ، وبين المبني للمجهول (نُهيَ) بضم النون ، وفتح الياء اللينة.
- الآمديّ ، السمعانيّ : الياء مشددة ، هي ياء النسب ، ولذا توضع النقطتان ، ولا تقتصران على ياء النسب ، بل كل ياء متحركة (مخففة) أو مشددة ، سواء أكانت للنسب أو غيره ، كان من حق الياء النقطتان ، كما في (عليّ ـ حي).

---

(١) تصدر في جدة بالسعودية ، راجع : ص٨٦ ، ٨٧.

المهم أن حرف الياء إن رمز إلى ألف المد (الفتحة الطويلة) لم تكتب النقطتان فإن كانت الياء مدية (كسرة طويلة أو ياء لينة مشددة أو مخففة) استحقت الياء النقطتين قولا واحدا ، لا ثاني له.

صحيح أن هذا النظام في التعامل مع حرف الياء في نهاية الكلمة لا يلتزم به بعض الكاتبين ، في مصرنا أو غيره ، ولكن صديقا من سورية الشقيقة ، الإقليم الشمالي في الوحدة العربية ، أو الخطوة الأولى نحو الوحدة العربية أعوام (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) أيام الراحل العظيم الزعيم جمال عبد الناصر (ت١٩٧٠م) هذا الصديق لا يمل يذكرني بتطبيق هذا النظام للياء ، ليس هو فقط ، بل طاقم مكتبه كذلك الذي يتفضل الآن بكتابة مؤلفاتي ، ومنذ أعوام.

ومن ناحية أخرى فإنه إذا كان الواجب الصح الصحيح القويم يرشح هاتين النقطتين للياء الأخيرة من الكلمة الأخيرة ، فإن أغلب الرموز الملحقة بالحروف لا توضع إلا عند الحاجة إلى منع اللبس ، يستعان بها خوف الخلط والاضطراب.

قليل منها لا يغيب عن الكتابة العربية مطلقا ـ بحال من الأحوال ـ وهي :

- نقط الإعجام : (ب ت ث ـ ج ح خ ـ د ذ ...) الخ.
- رأس العين (القطعة) أو الهمزة ، سواء في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها (أمل ـ سأل ـ قرأ).
- نقطتا الياء نهاية الكلمة ، كما فصلنا.

أما الرموز التي توضع خوف اللبس ، أو في بعض النصوص المهمة ، خاصة في الرسم المصحفي ، فهي :

- رموز الحركات القصار ، الفتحة والضمة والكسرة إضافة إلى السكون.

- الشدة على الحرف المدغم أو المشدد.
- التنوين : الضمتان ، الكسرتان ، الفتحتان.

٣- اشتراك الرمز (الحرف) في شيئين ، صحيح أن العربية فرقت بين ألف المد والوقفة الحنجرية برأس العين ، كما في (رأس / راس - فأس/ فاس) وكذا في التفريق بين ألفي القطع والوصل (أصل - آسم أو اسم) لكن بقيت الواو في نهاية الكلمة ووسطها تدل على صوتين ، الأول الواو اللينة ، كما في (موقف - عدو) والثاني واو المد (الضمة الطويلة) كما في : (قولوا - عودوا) وهنا - يا طويل العمر - تبرز عدة أسئلة ، مهمة ؟ بالغة الأهمية يا يرحمك الله ، هي :

أولا : أنت تقول : الواو في وسط الكلمة ترمز إلى صوتين مختلفين ، الضمة الطويلة ، والواو اللينة فأين الواو في بداية الكلمة ؟ تعرف - يا رحمك الإله - أن العربية لا لا تبدأ كلمة أو مقطعا ألبته بحركة ، لا قصيرة ولا طويلة ، بما فيها واو المد ، إذن الواو - يا عزيزاه ويا مبجلاه - بداية الكلمة تدل على شيء واحد وحيد ، لا غير ، هو الواو اللينة المتحركة (وسع - وفد - وقر) الرمز هنا مخصص لشيء واحد فقط ، هو الواو الصحيحة.

ثانيا : قلت يا كاتب السطور إن العربية جعلت الواو رمزا لصوتين مختلفين وسط الكلمة ، ثم أقنعت القارئ أن الواو في بداية الكلمة تدل على نوع واحد من الأصوات أو على الواو اللينة المتحركة فقط ، دون واو المد ، إذا لا تبدأ العربية الكلمة أو المقطع بمد ، أي بحركة طويلة ، ولا حتى قصيرة ، ولا بصامت ساكن ، لابد في بدء المقطع من صامت متحرك أو صوت لين متحرك أيضا (وقف - يقف) فهلا تدل الواو نهاية الكلمة على الصوتين المختلفين ، واو المد ، والواو اللينة ، وإذا دلت على النوعين معا ، فلم لم تستخدم إجراء

كالذي استخدمته العربية مع الياء نهاية الكلمة ؟؟.

أجب ـ يا كاتب السطور ـ قارئك بجواب مقنع مفيد، حبا وكرامة ، للقارئ المسّائل الحيران أقول :

إن العربية تمنع أن تنتهي الأسماء المعربة بواو مد ، تنتهي بواو لينة ؟ نعم (عدوْ ـ دلوْ) لكن لا ينتهي الاسم المعرب بضمة طويلة ، فما بالك بأسماء (محمدو ـ أحمدو) ؟ هذا نطق غير عربي تسمعه كثيرا من الإفريقيين ، وقد سمعت هذا النطق كثيرا في نيجيريا ، أما الضمير (هو) الذي ينطق عند الوقف بواو مد ، فنقول (هُو) ولا نقول (هُوَ) كما في : (هِي) عند الوقف أيضا ، ولا نقول : (هيَ) بفتح الياء عن الوقف ، كما يخطئ كثير من الناطقين ، ولهذا تفصيل يأتي في مكانه من دستور اللغة العربية.

هذي هي الأسماء والمعرب منها على وجه الخصوص ، فما بال الأفعال يا طويل العمر ؟ إذا رجعنا إلى كتب الصرف وجدنا الفعل الناقص ، أي المنتهي بواو أو ياء أو ألف المد ، وجدنا هذا النوع من الأفعال فيه أمثلة لا حصر لها ولا تنعد لما ينتهي بالياء أو ألف المد ، أما ما ينتهي بالواو ، فلنا معه وقفة ، كيف ولماذا؟.

المضارع ينتهي دائما ينتهي بالواو المدية (يسمو ـ يدعو) ومن غير شك هذا الواو المدية ـ كما في الياء المدية ـ هي في الأصل واو لينة :

يسمُو أصلها يسموُ : بدليل أننا عند الإسناد إلى ألف الاثنين نقول : (يسموَان) كما نقول (يسمحُ ← يسمحان).

ـ يرضي أصلها يرضيُ : ففي الإسناد إلى ألف الاثنين (يرضيُ ← يرضيان) كما في (يرضخُ ← يرضخان).

إذن فالواو اللينة والياء كذلك يتحولان في المضارع إلى واو مد وياء مد يدعوُ ← يدعُو - يجرىُ ← يجرى).

وفي الأجوف نفس الشيء ، الواو والياء يتحولان إلى حركة طويلة ، مثل :

- يقوْل ← يقُول.
- يبْيع ← يبيع.

لقد جاء المضارع كله ، أو جاءت أمثلته كلها بواو مد فقط ، في حين جاءت أمثلة الواو في الماضي بواو لينة مفتوحة ، مثل : (نهو - سرو - بهو - سخو - حلو - رخو [1] - ذكو) كلها كلها بواو لينة مفتوحة ، فلماذا لم تتحول الواو في كل ذلك إلى واو مد ، أو حتى ألف مد ، كما في :

- سموَ ← سما.
- يسموُ ← يسمُو.

لعل السبب أن هذا الماضي الذي جاء بواو لينة مفتوحة هو بقية مرحلة تاريخية قديمة سابقة ، تيك المرحلة التي تحولت فيها هذه الواو اللينة - فيما بعد - إلى واو مد أو حتى ألف مد.

فإذا كانت الواو نهاية الفعل المضارع تأتي مدية فقط ، وفي الماضي تأتي لينة فقط ، ثم لا ينتهي الاسم المعرب بواو مد مطلقا فإن استخدام النقطتين أو غيره من الرموز للتفريق بين واو المد والواو اللينة - كما في حالة الياء نهاية الكلمة - يصبح ولا محل له من الإعراب .

(١) راجع : الكامل في قواعد اللغة العربية ، أحمد صفوت ، ٢٦٢.

٤ـ إذا تلاقت الواوان في كتابة الهمزة ـ كما سيأتي تفصيله ـ وكذا الألفان ، حذفت العربية إحداهما :

- رؤوف ← رءوف.
- قراأة ← قراءة ، إذا كانت ألف المد أولا ، ثم الهمزة.
- قرأان ← قرآن ، إذا كانت الهمزة أولا ، تتلوها ألف المد.

فالعربية إذن اختصرت الرموز : (ؤو ـ اأ ـ أا) إلى (ءو ـ اء ـ آ) على التوالي.

٥ـ إذا انتهت الكلمة بهمزة على السطر وكان قبلها ألف مد ، حذفت الألف ـ بعد الهمزة ـ الدالة على النصب والتنوين ، قارن بين :

- ضوءا ـ سماء ← للمنون المنصوب.
- ردءا ـ مساء ← للمنون المنصوب.

٦ـ العلم الموصوف بابن تحذف ألفه ، تقول : (محمد بن عبد الله ـ علي بن أبي طالب) إلا إذا جاءت (ابن) أول السطر ، فإن الألف تكتب.

٧ـ حذف نون المثنى وجمع المذكر عند الإضافة.

- مدرسان ← مدرسا المدرسة.
- معلمون ← معلمو المدرسة.

هذا نوع من الاختصار في الكتابة ، أو آليات الاختصار في الكتابة العربية ، ثم إلى المادة التالية من دستور لغتنا العربية.

<u>เงื่อนไขการรับประกัน</u>

บริษัท ลัคกี้เวิลด์กรุ๊ป จำกัด ขอขอบพระคุณเป็นอย่างยิ่ง ที่ท่านได้เลือกสินค้าของบริษัทฯ และขอเรียนให้ทราบถึงหลักเกณฑ์การรับประกัน ดังนี้

1. บริษัทฯ ขอรับประกันคุณภาพผลิตภัณฑ์ โดยเริ่มนับจากวันที่สินค้าได้มีการซื้อขายและส่งมอบระหว่างผู้ซื้อกับบริษัทฯ ร้านค้าหรือตัวแทนจำหน่ายเป็นวันเริ่มต้น
2. ในกรณีการชำรุดอันเนื่องจากความบกพร่องของโรงงาน หรือจากความบกพร่องของชิ้นส่วน ซึ่งเกิดจากการใช้งานในสภาพปกติ บริษัทฯ ยินดีเปลี่ยนชิ้นส่วนให้โดยไม่คิดมูลค่าใดๆ
3. บริษัทฯ จะไม่รับประกันในกรณีที่มีการซ่อมแซมโดยบุคคลภายนอกหรือมีรอยขีดข่วน สนิมรอยบุบสลายที่เกิดจากถูกกระทบ ตกกระแทก ถูกสารเคมี ภัยธรรมชาติ หรือเก็บไว้ในอุณภูมิสูง·หรือต่ำกว่ากำหนด หรือเกิดจากสภาพตามอายุการใช้งาน หรือสิ่งแวดล้อมอันเป็นเรื่องปกติของเครื่องใช้ทั่วไป
4. การรับประกันไม่รวมถึงค่าเดินทาง หรือค่าพาหนะในการบริการนอกสถานที่
5. โปรดเก็บรักษาบัตรรับประกันนี้ไว้กับท่าน เมื่อต้องการรับบริการโปรดแสดงบัตรรับประกันนี้พร้อมทั้งใบเสร็จรับเงินแก่เจ้าหน้าที่ผู้ให้บริการ

บริษัท ลัคกี้เวิลด์กรุ๊ป จำกัด

ที่อยู่ : 99/9 หมู่ 3 ต.หนองหงษ์ อ.พานทอง จ.ชลบุรี 20160 Tel. : 038-157061-66 Fax : 038-157069-70

www.luckyworld.com E-mail : lucky@luckyworld.com

نموذج من الكتابة التايلاندية (ويلاحظ فيها استخدام الأرقام العربية المغربية)

Luckyworld | LUCKYWORLD GROUP CO.,LTD. | บริษัท ลัคกี้เวิลด์ กรุ๊ป จำกัด | Luckyworld

บัตรรับประกันสินค้า / WARRANTY CARD

ประเภทสินค้า .... รุ่น ....
PRODUCT MODEL

นามผู้ซื้อ ....
NAME

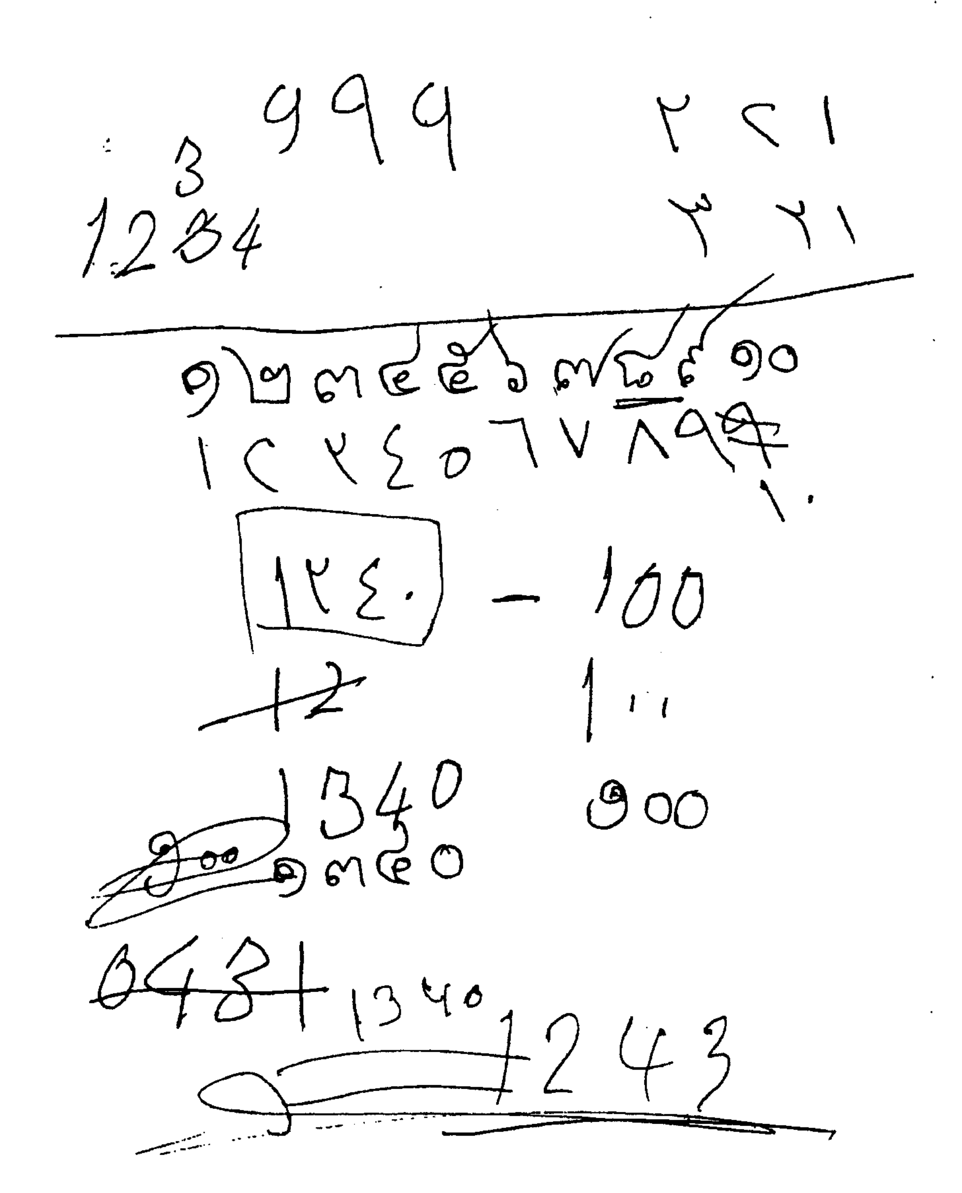
ที่อยู่ผู้ซื้อ ....
ADDRESS

ซื้อจากร้านค้า/ห้างสรรพสินค้า ....
DEALER / DEPARTMENT STORE

วันที่ซื้อ ....
DATE OF PURCHASE

สินค้าทุกประเภท รับประกัน เป็นระยะเวลา 5 ปี

نموذج من الكتابة التايلاندية



نموذج من الكتابة التايلاندية

المادة الثانية والعشرون
{٢٢}

تخضع كتابة الهمزة آخر الكلمة للحركة التي قبلها ، ولا دخل لها بالحركة التي بعدها

تقع همزة القطع في بدء الكلمة ، وفي آخرها ، وفي وسطها ، فإذا وقعت في بداية الكلمة كان أمرها سهلا مقارنة بكتابتها في الآخر والوسط.

ففي بداية الكلمة إذا كانت الهمزة مفتوحة أو مضمومة كتبت فوق الألف ، مثل : (أسبوع - أشكال) فإن كانت مكسورة كانت تحت الألف (إسلام - إيمان - إن) مع مراعاة ما يلي :

١- إذا جاءت همزتان في بدء الكلمة سقطت الثانية ، وطالت الحركة القصيرة ، الفتحة تصبح ألف مد ، والكسرة ياء مد ، والضمة واو مد ، مثل :
- أأمن ← آمن ، تحولت الفتحة بعد الهمزة الأولى إلى فتحة طويلة.
- أؤمن ← أومن ، تحولت الضمة على الهمزة الأولى إلى ضمة طويلة.
- إئمان ← إيمان ، تحولت الكسرة بعد الهمزة الأولى إلى كسرة طويلة ، كما حذفت الهمزة الثانية في المواضع الثلاثة.

٢- يلاحظ أن : (أأمن) تحولت في البداية إلى (أامن) ثم أخيرا (آمن) أي أن (أا ← آ) هذا يحدث في بدء الكلمة ووسطها وآخرها ، كما سيأتي.

٣- فرق علماء العربية بين همزتي الوصل والقطع بدء الكلمة ، لأن الوصل لا يقع إلا في بداية الكلمة فقط ، ليس في الوسط أو الآخر ، فكيف كان هذا التفريق ؟ اختاروا رأس العين - كما سبق - اختصار قطع ، ورأس صاد اختصار وصل لهمزة الوصل ، مثل : (أن - أرز) وكما سلف قبيلا ، إن كسرت كتبت تحت الرمز (إشراف - إرث).

لكن الكاتبين تساهلوا في رمز الوصل فأصبح لا يكتب الآن ، في حين لا يزال موجودا في رسم المصحف ، ووفي بعض الكتب التي طبعت في بداية نشأة المطبعة إلى أن اختفى هذا الرمز تماما من الكتابة ، وعلى رأسها كتابة الحواسيب.

٤- لا تقع همزة الوصل إلا بدء الكلمة ، أما همزة القطع فتقع أول الكلمة ووسطها وآخرها (أخذ - سأل - قرأ).

وقد وقعت همزة الوصل في أول الكلمة وجيء بها توصلا للبدء بالساكن ، حيث لا تجيز العربية بدء الكلمة - ولا المقطع - بصامت ساكن ، ولا بحركة طويلة كانت أو قصيرة ، ولكن لغتنا احتالت - من الحيلة وليس التحايل - على البدء بالساكن بهذه الهمزة المجتلبة ، والتي تظهر نطقا في بدء الكلام ، إلا أنها تسقط - أي نطقا - في درجه ، أي وسطه ، لكن الرمز يبقى على حاله حال البدء أو في الدرج ، النطق فقط هو الذي يتغير ، في حين يبقى الرسم - كما هو - في الحالين معا.

٥- همزة الوصل لها مواضع خاصة أو صيغ خاصة ، لا تتجاوزها ، مع التوكيد على أنها لا تقع ولا تأتي في غير بدء الكلمة ، هذي الصيغ الخاصة هي :

أ- الحروف : تجدها فقط في أداة التعريف الـ ، كما في (الكتاب - السماء - الضياء) سواء أكانت اللام شمسية ، كما في : (الدعاء - النماء) أي مدغمة فيما بعدها ،

كما حدث مع الدال والنون في المثالين ، أو قمرية ظاهرة ، لا تدغم فيما بعدها (البراءة - المشمس - الإناء).

السبب في الإظهار بُعد مخرج اللام عما بعدها ، كما في الباء والميم والهمزة وغيرها ، وعلى العكس فإن الإدغام يأتي بسبب تقارب مخرج ما بعد اللام مع مخرج اللام ، كما في الدال والنون والسين والشين ... الخ.

ب- الأسماء : في بعض الأسماء لا تتجاوزها ، هي :

- ابن ، ومثناها مرفوعا (ابنان) منصوبا أو مجرورا : (ابنين).
- ابنة ، ومثناها ، مرفوعا (ابنتان) أو بالياء (ابنتين).
- اسم : ومثناه أيضا بالألف حالة الرفع (اسمان) أو بالياء حالتي النصب واجر (اسمين).
- اثنتان واثنان : حالة الرفع كما سبق ، وفي حالتي النصب الجر ، أي : (اثنتين - اثنين).
- امرأة : وفي المثنى المرفوع (امرأتان) وكذا المنصوب والمجرور : (امرأتين) وتأتي بميم مفتوحة بدون ألف وصل (مرأة - مرة) بدون همزة.
- امرؤ : وتأتي بالألف واللام (المرء) وهنا تنطق بتثليث الميم ، أي بفتحها وضمها وكسرها أيضا ، والجمع : (رجال).

جاء في المعجم الوسيط [1] : (في : امرئ مع ألف الوصل ثلاث لغات ، هي : فتح الراء دائما) أي : (امرأ) بهمزة على الألف ، (وضمها دائما) أي : (امرؤ) بهمزة على واو ، وأخيرا : (إعرابها دائما) أي : (امرؤ) عند الرفع (امرأ) عند

(١) مادة (م ر أ).

النصب ، (امرئ) عند الجر ، وقد اختلفت كتابة الهمزة آخر الكلمة من (امرئ وامرأ وامرؤ) بسبب الحركة قبل الهمزة ، وليس بعدها ، إذ الهمزة كما سيأتي تخضع عند وقوعها آخر الكلمة للحركة قبلها ، وليس التي بعدها ، كما سنفصل.

- است : أي العَجُز ، وقد يراد به حلقة الدبر ، وكلمة (الاست) بالتعريف ، أو بدونه مؤنثة ، أصلها السَّته ، جمع (أستاه [1]).

هذي هي الأسماء التي تقع فيها ، أي في أولها همزة وصل ، بقى عندنا :

جـ - الأفعال والمصادر : وهي على وجه التحديد :

- الأمر من الثلاثي : (فتح ← افتح ، قرأ ← اقرأ).
- الماضي والأمر من الخماسي والسداسي : انتقم - اطمأن - استقبل في الماضي ، وفي الأمر : اطمئن - انتقم - استقبل.
- المصدر مما سبق ، أي من الخماسي والسداسي : اطمئنان - انتقام - استقبال.

إذن همزة الوصل لا تقع إلا بدء لكلمة ، بعدها ساكن ، وقد جيء بها توصلا أو توسلا للنطق بهذا الساكن.

وبسبب شيوع الخلط بين همزتي القطع والوصل فإننا ننصح متعلمي العربية بمعاملة كل ألف في بدء الكلمة على أنها للوصل إلا إذا ثبت العكس ، وبعبارة أخرى إنك حين تضع الهمزة بشكل خاطئ تحت الألف أو فوقه ، هكذا (إمتحان) هذا خطأ كبير ، عليك أن تكتبها بدون همزة (امتحان) هي ألف وصل.

لكن إذا لم تكتب الهمزة التي للقطع ، كما في (اشجار - اسبوع) هذا خطأ أيضا

(١) في المعجم الوسيط : (فيها لغات ، منها : السَّتُ والسَّهُ ، ويقال لأرازل الناس أستاه ، وكان هذا على است الدهر ، في أوله ، وما زال فلان على است الدهر مجنونا ، لم يزل يعرف بالجنون ، وابن استها ابن الأمة ، وولد الزنى.

إلا أنه أقل فداحة وخطورة من الأول ، فالصح هنا أن نكتب (أشجار - أسبوع).

ومن ناحية أخرى فإننا نرى الحاجة إلى عودة رأس الصاد الصغيرة على ألف الوصل ، كما كنا في السابق حتى ينبه الكاتب إلى الوصل وإلى القطع على السواء ، ولا يعامل الحالتين على أنهما للقطع ، هذا الخطأ الذي يقع فيه كثير من الكاتبين.

والآن انتهينا من كتابة الهمزة أول الكلمة وصلا وقطعا لندخل أو لنلج إلى كتابة الهمزة آخر الكلمة ، والتي تتكئ على قاعدة مهمة ، هي يا رحمك الباري رحمة واسعة :

إنها تكتب حسب الحركة التي قبلها ، ليس بعدها ، الحركة التي بعدها لا صلة لها بكتابة الهمزة قبلها ، كيف ؟ أنا أقول لك :

١- إذا سبقت همزة آخر الكلمة بسكون أو حركة طويلة (حرف مد) كانت على السطر قولا واحدا ، مثال السكون :

- الضوْء.
- شيْء.
- دفْء.

ومثال الحركة الطويلة :

- السماء.
- وضوء.
- مضيء.

٢- إذا سبقت بكسر كانت على طرف الياء :

- ناشئ.

- نبئ.
- نيئ.

٣- إذا سبقت بضمة كانت على الواو :

- تنبؤ.
- تهيؤ.

٤- إن سبقت بفتحة كانت على ألف :

- ابتدأ.
- مبتدأ.
- ملأ.

هكذا قطعا ، قولا واحدا ، لكن عندي بضعة أسئلة يا طويل العمر ، ويـا فصيح اللسان ، هي :

١- لماذا نكتب (ضوءا) بالألف ، في حين نجد (مساء) بدون ألف ، وذاك في المنون المنصوب ؟ السبب - يا عافاك الله - هو أن العربية تنحو إلى الاختصار والاختزال نظامها الكتابي يأمرك إذا وقعت الهمزة مفردة نهاية الكلمة ، وكان قبلها ألف مد أن لا يـأتي بعد الهمـزة المفـردة المتطرفـة ألـف أخـرى ، أو يقـول لـك معلمـك : (الهمزة المفردة نهاية الكلمة لا تقع بين حارسين) أي بين ألفين ، إنمـا هـي ألـف واحدة قبلها كافية شافية ، لا يأتي بعدها شيء.

هذا نوع من الاختصار خـاص بهذا الموضـع ، أي : (مـساءا ← مـساء) أي : (اءا ← اء) فكتابة الألف بعد الهمزة خطأ كبير نحذر منـه ، حـذفها مـن ناحيـة أخـرى نوع من الاختصار ، مما تتميز به العربية ، وما يميز نظامها الكتابي عن غيرهـا مـن الكتابات في اللغات الأخر.

٢- لكن - يا عافك الله - ما قولكم - دام فضلكم وخُلد قلمكم - في أن مثل : (ضوءا - ردءا - رزءا) الهمزة على السطر قولا واحدا ، في حين نجد كلمات على ذات الوزن تكتب همزتها على نبرة ؟ مثل ماذا ؟ مثل : (شيئا - فيئا).

السبب أن العربية ترى وصل الحروف - أو وصل حروفها - ما أمكن ، لدى العربية ٢٨ حرفا ، كلها كلها تشبك بما قبلها ، من الألف إلى الياء ، لكن عندما تشبك بما بعدها تتخلف حروف ، هن : (د ذ - ر ز - ا و) وعليه إن جاء بعد ما سبق ، أي بعد هذي الحروف الستة همزة بقيت على السطر ، إنها لا تشبك بما بعدها فتأتي الهمزة على السطر هكذا (وضوءا - سماء).

لكن لو جاء حرف آخر غير هذه الستة ، يقبل أن يشبك بما بعده فإن الهمزة تجد كرسيا تجلس عليه ، هو هذه النبرة ، كما في : (شيئا).

وهذا ما يوكد أن العربية ليست نمطية حتى في كتابتها ، ولو كانت نمطية هنا لجعلت الهمزة على نبرة في كل المواضع ، أو على السطر في جميع المواضع ، وهذا لم يحدث .

٣- لكن ما الرأي والحكم عندما يترتب على كتابة الهمزة تكرار الواو ، مرتين ؟ نعم مثال ؟ مثال : (تبوؤ) هل تبقى الواو الثانية أم تسقط ؟ فيها قولان ، أحدهما أن تكتب هكذا بواوين ، والثاني أن تحذف الثانية ، لتبقى الهمزة على السطر ، بلا كرسي تجلس عليه ، فلا حامل لها ، فتكتب هكذا بواو واحدة : (تبوء).

٤- بقي عندي سؤال ؟ هاته : هل تقبل العربية تكرار ألفين نهاية الكلمة ؟ لا تقل لي : فيها قولان ، كلا هذه فيها قول واحد جازم لاشك فيه ولا شية ، ما هو ؟ إذا جاءت الهمزة على الألف بعدها ألف مد ، تحولت الألفان (أ ا) إلى (آ) وهذا

نوع من الاختصار أيضا واضح باده شديد البداهة ، كما في (قرأا ـ لم يقرأا ـ املأا) التي تتحول إلى صورة أجمل وأشد بهاء واختصار ، هي : (قرآ ـ لم يقرآ ـ ملآ).

لكن لو حدث العكس ، أي جاءت ألف المد بعدها ألف عليها همزة ، كما في (سماأ ـ نساأ) تحولت الألفاء في الآخر إلى ألف مد بعدها همزة على السطر ، تأمل (سماأ ـ نساأ) تحولتا إلى (سماءٌ ـ نساءٌ) أي أن اأ ← اء.

وهكذا فرقت العربية بنظرها الحاد الحديد بين حالتين مختلفتين وإن تشابهتا ، وهما :

- وقفة حنجرية بعدها ألف مد ، أو (فتحة طويلة).
- ألف مد (فتحة طويلة) بعدها وقفة حنجرية (همزة).

هل لديك ـ يا طويل العمر ـ أسئلة أخرى ؟ كلا ، قد فرغت من كل أسئلتي ، ولم يعد لدي أسئلة أخرى أو شيء أضيفه ، إذن الآن أقول لك الخلاصة :

إن الهمزة المتطرفة ، أي الواقعة نهاية الكلمة تكتب حسب الحركة التي قبلها إن كنت فتحة انكتبت الهمزة على ألف (بدأ) وإن كانت كسرة جلست الهمزة على طرف الياء (ناشئ) وإن كانت ضمة تربعت الهمزة على واو (تنبؤ) وإن سبقت بساكن أو حركة طويلة ليس لها إلا أن تجلس على السطر : (رديء ـ دماء ـ سوء ـ شيء ـ طيْء).

كل الأسئلة التي يمكن أن يطرحها القارئ أو المتعلم أجبنا عليه بشكل شافٍ كافٍ ، ووافي / وافٍ أيضا ، إذن فلنسرع إلى المادة التالية من دستور لغتنا العربية ، لكن ليس قبل أن نراجع ما كتبنا هنا في هذه المادة وشرحها.

المادة الثالثة والعشرون
{٢٣}

تخضع كتابة الهمزة وسط الكلمة إلى قاعدة أقوى الحركتين ؛ الحركة التي قبل الهمزة والتي بعدها ، وذلك بنسبة ٨٠% من المواضع ، الباقي ٢٠% من المواضع تخضع لقواعد أخر ، على رأسها كراهة توالي الواوين والألفين ، ووصل الحروف ما أمكن ، ومعاملة الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما معاملة الحركة الطويلة.

تقدم المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة بمقترحات لتيسير كتابة الهمزة العربية ، لكن الأستاذ محمد شوقي أمين العالم ، أمين المجمع ، قال له : هناك بحث حول كتابة الهمزة نشر عام ١٩٥٣، كتبه الشيخ بشير محمد سلمو المدرس بمعهد دمياط الديني آنذاك.

وعندما زارني الدكتور رمضان ـ رحمه الله ـ في دمياط ١٩٩٦سألني عن الشيخ ليلقاه أو يلتقيه ، وبالفعل التقى الرجلان ـ رحمهما الله ـ في مؤتمر كلية التربية بدمياط ، عامئذ ـ ١٩٩٦ ـ وسعد الرجلان بهذا اللقاء.

وعرفت من الشيخ بشير أن لـه أفكارا كثيرة وتجارب علمية مفيدة ليس في قضية الهمزة فقط ، بل في الحركة والميكانيكا وتشغيل الآلات ، وكان جزاؤه لكل هذا التكريم أو حتى الإصغاء والالتفات ؟ كلا ، كان جزاؤه السخرية والازدراء به ، وتحويله للنيابة العامة التي أمرت أحيانا ـ أو هددت ـ بحبسه ، شيء طبيعي ، رد منطقي على الإبداع أو على الابتكار ، إنه لم يجد حتى من يسمعه.

لدينا مثال آخر شبيه بالراحل الشيخ بشير ، المهندس عبد المنعم الغروري الذي ينافح ويجاحش عن فكرة مهمة ، هي أن العربية أصل اللغات جميعا ، وأن كلمات الإنجليزية على وجه الخصوص ، لهي كلها قد جاءت من عباءة اللغة العربية.

كلامه أحيانا يكون غريبا بعيد العمق في الإغراب ، وأحيانا تجده منطقيا بدهيا شديد البداهة ، بل لفت نظري في كثير من الكلمات الإنجليزية أنها من أصل عربي ، أو بأن أصلها عربي ، مثال واحد فقط نذكره ، كلمة Maneuver معناه مناورة ، أو ناور ، تأمل أيها القارئ ، التشابه واضح بين الكلمة العربية وبين الكلمة الإنجليزية.

على أية حال فإن الشيخ بشير ـ رحمه الله ـ قدم هذه الفكرة غير المسبوقة في تراث العربية بتاريخه الطويل الممتد ، ولولا ما تفضل به الأستاذ شوقي أمين العالم وما صنعه الدكتور رمضان ما كان لأحد من الأجيال أن يعرف شيئا ، لا عن الفكرة ، ولا عن صاحبها ، هكذا الأمم الحية الناهضة تحيي الأموات من أبنائها ، أما الأمة النائمة الناعسة في سباتها ، والثابتة على سُباتها فإنها تميت وتميت أحياءها والناهضين فيها والراغبين في نهوضها.

وبعد لقاء الشيخ بشير مع الدكتور رمضان ـ ١٩٩٦ ـ فكرت في النظر بإمعان إلى فكرة أقوى الحركتين ، بعد أن أكبرت صاحبها ، وعرفت له قيمته وقدره ومظلوميته ، الفكرة صحيحة مائة في المائة ، ولكن الرجل ليس لغويا ، ومن ثم كان

عليّ أن أصوغها صياغة علمية مقبولة.

ثم لم نكتف بهذا ، بل طبقنا القاعدة على ألف كلمة عربية في سابقة - ربما - لم نرها في تاريخ الهمزة ، أو في تاريخ كتابة الهمزة ، اخترنا هذي الكلمات الألف من معجم الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ) ومن المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ثم من جريدة الأهرام الصباحية ، ومن إحدى الجرائد المحلية في دمياط.

وكانت نتائج الدراسة أن ٨٠% من عينة الكلمات خضعت لقانون أقوى الحركتين قولا واحدا ، أما العشرون في المائة الباقية فسوف نخوض في تفسيرها بعد شرح فكرة أقوى الحركتين ، فنقول :

الهمزة المتطرفة آخر الكلمة تكتب حسب الحركة قبلها ، ليس بعدها حيث اعتبرت نهاية الكلمة ساكنة ، أو كأنه موقوف عليها بالسكون ، لكن الهمزة وسط الكلمة قبلها حركة وبعدها حركة كذلك ، وربما تقع بين حركة قبلها وسكون بعدها ، أو العكس أي سكون قبلها ، ثم حركة بعدها ، كيف بالله عليك ؟ أنا أقول لك :

أول ما يجب أن ألفت نظر القارئ إليه أن وصف الحركة بالقوة ، أو الحركة الأقوى هو تعبير مجازي تقريبي ، ولذا تجدني أحيانا استخدم تعبير أولى الحركتين ، وهو أدق ، وإن كنت أكثر من تعبير الحركة الأقوى ، أو : أقوى الحركتين.

ثم نرتب الحركات من ناحية القوة والأولوية إلى ثلاث درجات ، الكسرة على القمة ، تليها الضمة ، ثم الفتحة ، فإن قابلت هذي الحركات بالسكون ، أي جاءت الهمزة بين حركة مما سبق وبين السكون حكمنا للحركة ، حتى لو كانت الأضعف ، وهي الفتحة هنا ، مع الإشارة إلى أن السكون ليس حركة من أي نوع ، لكنه عكس الحركة تماما بتمام.

كما ألفت انتباه القارئ إلى أن المقصود بالحركة هنا أيضا الحركة الطويلة والقصيرة كليهما ، فإذا قلنا الحركة الأقوى الكسرة فالمقصود الاثنتين معا ، القصيرة والطويلة ، وهكذا الشان والحال في الضمة والفتحة ، وقد نستخدم مصطلح (الكسر - الضم - الفتح) بدل : (الكسرة - الضمة - الفتحة) نقصد كلا النوعين ، الطويل والقصير من الحركات.

فإذا وقعت الهمزة بين كسر وضم كانت الحركة الأقوى الكسر ، وإذا وقعت بين ضم وفتح ، كانت الحركة الأقوى والأولى الضم ، وإذا وقعت بين فتح أو أية حركة وبين السكون حكمنا للحركة أيا كانت هذي الحركة ، مع التنويه إلى أن الفتحة أضعف الحركات وأبعدها عن الأولوية ، ولا يأتي بعدها غير السكون.

فإذا كانت الحركة الأقوى الكسر كتبت الهمزة على ياء ، أو على نبرة ، وإذا كانت الحركة الأقوى هي الضم كانت الهمزة على واو ، وإذا كانت الحركة الأقوى هي الفتح ، كتبنا الهمزة على الألف.

<u>وهذي أمثلة منوعة على ما ذكرنا :</u>

- <u>نُهنئكم ، تهنئون</u> : وقعت الهمزة بين كسر وضم ، الكسر هو الأقوى فجاءت الهمزة على ياء (نبرة).
- <u>قائد ، فئة</u> : وقعت الهمزة بين كسر وفتح ، الأقوى الكسرة ، لذا جاءت الهمزة على ياء.
- <u>بئس ، بئر</u> : وقعت بين كسر وسكون فكانت على ياء ، فالكسر هو الأولى والأقوى من كل الحركات فضلا عن السكون.
- <u>فؤاد ، تشاؤم</u> : وقعت بين ضم وفتح فالحركة الأقوى هي الضمة لذا كتبت على واو.

- بؤس ، رؤية : وقعت بين سكون وضم ، الأخير الأقوى والأولى فجاءت على واو.
- رأس ، فأس : وقعت الهمزة بين فتح وسكون ، كان الفتح هو الأقوى والأولى ، مع النص صراحة على أن السكون ، ليس حركة ألبته بل هو عكس الحركة ، ومن ثم كانت الهمزة على الألف.

هذه هي قاعدة أقوى الحركتين ، أو أولاهما مع التمثيل وإعطاء الأمثلة والتي جاءت في ٨٠% من العينة ، باقي النسبة وهي ٢٠% خضعت لقوانين أخرى ، هذي القوانين الأخر حجبت قانون أقوى الحركتين ، وهذا ما أشرحه لك - عزيزي القارئ - من خلال تساؤلات وإجابات عنها ، فأقول :

١- ما قولك يا صاحب أقوى الحركتين في هذه الأمثلة : (قراءة - إجراءات - قرآن - يملآن) الحركة الأقوى في كل هي الفتح ، ولذا فإن الباده يتوقع أن تكتب - حسب قاعدة أقوى الحركتين - على ألف هكذا : (قراأة - إجراأات - قرأان - يملأان) فما قولك ؟ القول ما تقول- عزيزي القارئ - كان من حق الهمزة في كل ما سبق وأضرابه أن تكتب على ألف ، لكن ؟ لكن العربية لا تميل إلى توالي ألفين في كتابة الهمزة ، كيف ؟

إذا جاءت ألف المد بعدها همزة (وقفة حنجرية) حذفت الألف الثانية ، فلم يعد أمام الهمزة إلا أن تجلس على الأرض ، أي تكتب على السطر ، حيث إن (اأ) تحولت أو أصبحت (اء) فتحولت : (قراأة) إلى (قراءة) كما حدث في (إجراأات) التي أصبحت (إجراءات).

وانظر- يا رعاك الله وعافاك- إذا حدث العكس ، أي جاءت الهمزة أولا ، يتبعها ألف المد ، فإن للعربية تصرفا آخر ، ووجهة أخرى ، حيث تتحول (أا) إلى (آ) (قرأان - يملأان) ← (قرآن - يملآن) وهكذا.

٢- فما تقول يا فصيح القلم واللسان في (رءوف - دءوب) وقعت الهمزة بين فتح وضم ، حقها أن تكتب على واو ، نعم قولك على جانب من الصح والحق ، فإذا أنت كتبتها على واو ، فلا لوم ولا تثريب ولا عتب ولا تخطيء ، لكن الأصح أن تكتب على السطر ، لماذا ؟ لأن العربية لا تميل إلى توالي واوين في كتابة الهمزة لذا استغنت عن إحداهما ، وتركت الهمزة ، ولا كرسي له إلا السطر ، وهكذا تحولت (ؤو) إلى (ءو) وتحولت (رؤوف ، دؤوب) إلى (رءوف - دءوب).

٣- لكن يا صاحب الرأي السديد والقول الحكيم ، لماذا في (دءوب) الهمزة السطر ، وفي (قئول - سئول) الهمزة على نبرة ، أو على ياء ، وماذا لو كتبها أحد طلابنا هكذا : (قؤول - سؤول) هل يخطأ ويلام أم يوافق ويعذر ؟ إن كتبها كما قلت فهو على وجه من الصح والحق.

لكن الأولى أن تكتب على نبرة كما رأيت ، ليس على السطر ، لماذا ؟ لأن ما قبل الهمزة في الحروف يشبك بما بعده ، وهو القاف والسين هنا ، في حين تجد الدال والراء لا تشبك بما بعدهما ، ولذا رأينا (دءوب - رءوف) الهمزة على السطر ، في حين (قئول - سئول) الهمزة على نبرة.

٤- فيا صاحب أقوى الحركتين لماذا كتبت الهمزة على نبرة في مثل (هيئة - حطيئة) مع أنها وقعت بين سكون وفتح ، وكذا في (توءم) وقعت الهمزة بين سكون وفتح فكان حقها أن تكتب أيضا على ألف ، فلمه ، ولماذا ؟ السبب أن العربية عاملت (و - ي) الساكنتين المفتوح ما قبلهما معاملة الحركة الصراح ، فعاملت w معاملة الضمة الطويلة : u كما عاملت y معاملة الكسرة الطويلة : i ، ومن ثم تجد :

الهمزة في (توءم) قد وقعت بين ضم وفتح فكانت حقها أن تكتب على واو ، هكذا (تووْم) وبسبب توالي الواوين حذفت الثانية لتكتب هكذا على السطر (توءم) وكذا في مثل (سَوْوَة ← سوءة) وكذا الشان في (هيئة - حطيئة) لقد وقعت بين سكون وبين كسر ، أو ما اعتبر كسرا ، فكانت على الياء ، أو على نبرة.

فهل عندك مثال لمعاملة الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما معاملة الحركات الصِّرف ؟ نعم ، الصوتان يمدان قبل الهمز والسكون ، أي يزاد في زمنهما كما تمد واو المد وياء المد ، وهذا ما نجده في بعض القراءات القرآنية جاء في الإتحاف [1] :

(وأما حرفا اللين ، الياء والواو الساكنان المفتوح ما قبلهما ، فاختلف في إلحاقهما بحروف المد ؛ لأن فيهما شيئا من الخفاء ، وشيئا من المد ، وإنما يسوغ الإلحاق بسببين ، الهمز مع الاتصال أو السكون ، فإذا وقع بعدهما همزة متصلة في كلمة واحدة ، مثل - شيء - كيف وقع ، ومثل - هيئة - وسوءة والسَوْء - ففيه وجهان عن ورش ، أولهما الإشباع ، والثاني التوسط).

٥- فما الرأي والحكمة في (مائة) تأتي ألف قبل الهمزة ، ولا تأتي في (فئة) مع أنها -يا يرحمك الله- على نفس الوزن ، المقاطع في كليهما واحدة ، ص ح ص ح ص عند الوقف ، وعند الوصل والتنوين والإعراب : ص ح ص ح ص ح ص ؟.

السبب - يا عافك الله - أن كلمة (مائة) عدد تتعلق به الحقوق في البيع والشراء ونحوهما ، فميز لأهميته ، وليفترق عن كلمة (فئة) التي تشبهها ، فلو أنا كتبنا في وثيقة ما (مئة ألف جنيه) بالميم ، ثم جاء من لا ضمير له ، فوضع نقطة على الميم لتحول العدد من (١٠٠,٠٠٠) إلى فئة ألف جنيه ، وشتان بين العددين.

(١) ص٤١ ، وانظر أيضا ص٤٢ ، ٤٣.

ولذا فإن علم التفاوض ينصح دوما بالانتباه عند التفاوض إلى الأعداد والأرقام ، فإن هذا مما تتعلق به الالتزامات والحقوق ، حتى في الصفقات العادية بين الناس ، على البائع والمشتري كليهما أن يتنبه إلى الأعداد التي تنطق أو تطرح وتقترح ، مهما كانت صغيرة أو كبيرة ، ولا يخجل المرء أن يطلب إعادة سماع الرقم أو العدد أكثر من مرة.

وهذا مثال للأخطاء المرعبة التي تحدث عند صفقات البيع والشراء ، مشتريان يعرضان على البائع (مليوني جنيه) الرجل لم يسمع أو لم ينتبه رد على الفور : (عليّ الطلاق ، لا أبيع أقل من مائة ألف) البائعان الناصحان قالا له : (تفضل مائتي ألف) ليس مائة ألف ، ثم اتضح أن الصفقة = خمسة ملايين جنيه ، وعندما أدرك البائع حقيقة خطئه ذهب عقله وتولث.

ولذا أنت تعجب في أحكام العدد في اللغة العربية ، كثيرة متنوعة دقيقة ، لماذا ؟ ترتبط بها الحقوق والواجبات والالتزامات ، بل تزيد العربية تعبيرات مثل : (فقط ، لا غير) كما أنها تسمى العملة دائما ، فتقول ـ مثلا ـ ألف جنيه مصري ، لا غير ، أي لا غيره ، وهكذا أدرك العرب من زمن طويل سحيق دقة الأعداد وخطورتها ، فاهتمت بها اهتماما لا نظير له في اللغات الأخر.

فالعرب هم أصحاب فكرة الأرقام والصفر ، برمزيها المختلفين ، الرمز المشرقي (١ ٢ ٣ ٤ ...) والمغربي (الغباري) 1 2 3 4 ... الخ ، والتي فرضت على العالم كله وارتضاها ، ونسخت ما عداها من الأرقام أو من نظام الأرقام قبلها.

على أي الأحوال ، من رام تفصيلا فليرجع إلى كتابنا : (القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل ، بحث في خصائص الكتابة العربية وأهم أسسها) وإلى كتابنا : (عبقرية اللغة العربية).

المادة الرابعة والعشرون
{٢٤}

ما ينطق يكتب ، وما لا ينطق لا يكتب ، فإن كان زيادة أو حذف كان لمبررات منطقية معقولة ، إذ الكتابة العربية كتابة صوتية ، ولعل هذا ما أوحى لعلماء اللغة بفكرة الكتابة الأبجدية الصوتية الدولية

في العربية - يا سادة يا كرام - ثلاثة أنواع من الكتابة !! ما هن ، يا يرحمك الله ؟ هن ما هو آت :

١- <u>الكتابة العروضية</u> : التي تستخدم في العروض ووزن الشعر وتقطيعه فتصبح كتابة صوتية شكلية بحتة ، تتخفف من بعض قيود الكتابة العربية المعتادة ، حيث إنها تعتمد على مبدأين مهمين ، هما ما يكتب فقط هو ما ينطق ، ليس إلا ، ثم إنها تستخدم لغرض خاص ، وفي مهمة خاصة ، هي عروض الشعر ووزنه وسوف يأتي تفصيل هذا في موضعه من دستور اللغة العربية ، عند الحديث عن الشعر وعروضه.

٢- <u>الكتابة المصحفية</u> : أو ما يسميه بالرسم المصحفي ، وهو الخاص بكتابة المصاحف.

٣- الكتابة الإملائية : التي نستخدمها الآن ، أو ما نسميه بالرسم الإملائي المعتاد والذي يكتب به الخاصة والعامة في غير المصاحف ، ويستخدم في الطباعة والحواسب وشتى شئون الحياة العربية.

ولكن ترى هل هناك فوارق واختلافات بين الرسم المصحفي والكتابة الإملائية العادية ؟ نعم نعم ، هناك فوارق ، ترى ما الأسباب ، أو ما السبب مع إعطاء أمثلة ؟ حبا للقارئ وكرامة.

ونبدأ الحكاية من البداية ، فنقول : أول نص مهم ومطول سجلته العربية هو القرآن الكريم ، تم هذا في عهد الخليفة الثالث عثمان بن [1] عفان (ﷺ) على يد لجنة رأسها الصحابي الجليل زيد بن ثابت (ﷺ).

هذه اللجنة قامت بكتابة خمس نسخ أو خمسة مصاحف ، واحد أرسل إلى مكة والثاني إلى دمشق (الشام) والثالث إلى البصرة ، والرابع إلى الكوفة ، وأبقى واحد من الخمسة في المدينة المنورة المطهرة.

المصاحف العثمانية ، أي التي كتبت في عهد عثمان (ﷺ) خمسة مصاحف إذن : (المصحف الملكي والشامي والدمشقي والبصري والكوفي والمدني).

هل كانت هناك اختلافات بين المصاحف الخمسة ؟ نعم ، لكنها اختلافات طفيفة يمكن التعرف عليها من خلال مصادر القراءات القرآنية المختلفة ، وهذا مثال من هذي الاختلافات.

اختلف القراء في (من يرتدَّ) في سورة المائدة [2] ، قرأ نافع وأبو جعفر ، وهما

---

(١) توفي ٣٥ هـ.
(٢) آية ٥٤.

مدنيان وعبد الله بن عامر (الدمشقي) الشامي بدالين ، الأولى مكسورة ، والثانية ساكنة ، أي قرأ الثلاثة الشامي والمدنيان (من يرتدِدْ) وهكذا كانت في المصحفين الشامي والمدني ، باقي القراء ـ من العشرة ـ قرأوا (من يرتدَّ) بدال واحدة مشددة مفتوحة ، وهكذا كانت في مصاحفهم ، أو في المصاحف الأخرى : (الكوفي ـ البصري ـ المكي).

لكن في موضع البقرة [1] اتفق القراء على الفك لا الإدغام ، أي بدالين [2] ، هكذا (ومن يرتدد) لماذا ؟ بسبب إجماع المصاحف الخمسة على كتابتها بذات الطريقة فلو قرأها أحد (ومن يرتدَّ) بدال واحدة مشددة مفتوحة لكان مخالفا لرسم المصحف ، وهو ما يدعو إلى رفض القراءة واعتبارها شاذة ، لأنها خالفت رسم المصاحف ، ولو أن أحد المصاحف كتبها (يرتدد) لأصبح من الممكن أن تُقرأ هكذا ، فالقارئ لا يخالف ما هو موجود في مصحف بلده ، وبخاصة إذا أجمعت المصاحف عليه.

والآن نأتي إلى سبب اختلاف الرسم المصحفي عن الرسم الإملائي العادي ؟ إن الصحابة الذين كتبوا في عهد عثمان (ﷺ) قد كتبوا المصاحف طبقا للكتابة السائدة الناشئة على أيامهم ، وكانت الكتابة العربية عامئذ بدائية غير متطورة ، لكن بمرور الأيام أدخلت تطويرات جوهرية على الكتابة العربية ، خاصة من جانب الرباعي العبقري (أبو الأسود الدؤلي ـ نصر بن عاصم ـ يحيي بن يعمر ـ الخليل بن أحمد).

لكن علماء الأمة وجمهورها كانوا يتحرجون من إدخال أي تعديل على الرسم العثماني ـ نسبة إلى عثمان بن عفان ـ تبركا بهذا الرسم ، ورغبة الاحتفاظ به وعدم

(١) آية ٢١٧.
(٢) راجع : الإتحاف للدمياطي ، ص٢٠١.

تغييره واستبداله ، إلا أنه بمرور الوقت يقتنع العلماء والمخلصون في الأمة بإدخال التطويرات على الرسم المصحفي.

ويجب أن يفهم أن المصاحف التي تكتب الآن بخط اليد أو مطبوعة ، هذه المصاحف أدخل على رسمها وكتابتها تعديلات وتطويرات عديدة على الرسم العثماني ، مثل الشكل الذي ابتكره الخليل للحركات القصار والسكون الخفيف والشديد ونقط الإعجام الذي ابتكره نصر بن عاصم ، الذي سمي نصر الحروف ، لأنه أعاد ترتيبها من : (أبجد - هوز - حطى - كلمن...) إلى آخره إلى الترتيب الأبتثي : (أ ب ت ث ج ح خ ...).

والآن حان الوقت لإعطاء القارئ أمثلة لتعديلات دخلت الكتابة الإملائية العادية ولما تدخل إلى الآن في رسم المصاحف ، فعندي لك - عزيزي القارئ - مثالان :

١- الخليل بن أحمد : اختار رأس الخاء بدون نقطة (حـ) اختصار خفيف ، بقى هذا الرمز في رسم المصحف ، في حين تطور في الكتابة الإملائية المعتادة إلى دائرة ، هكذا (ه (*)) بطبيعة الحال العلماء يتحرجون أو يترددون في استخدام هذه الدائرة علامة للسكون ، لعل بعض الناس يتصور أن هذا الرمز ، رأس الخاء (حـ) بدون نقط هو جزء من الرسم العثماني ، في حين هو من اختراع الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) أي أن هذا الرمز لم يظهر إلا في القرن الثاني الهجري ، وفي منتصفه على الأقل ، أي بعد وفاة عثمان (ﷺ) بقرن من الزمان على الأقل.

ومن ثم نجد الرسم المصحفي يستخدم الرمز القديم للخليل (حـ) في حين تستخدم الكتابة الإملائية رمزا مطورا ، هو الدائرة.

(*) هذه ليست العدد خمسة ، إنما هي علامة السكون.

٢- رأس الصاد : على ألف الوصل بقي في الرسم المصحفي ، وكذا في بعض الكتب التي طبعت في مرحلة مبكرة من بدء الطباعة العربية ، في حين إن هذا الرمز ، كما في (آقرأ) استغني عنه في الرسم الإملائي العادي ، مع بقاء رمز القطع (ء) رأس العين اختصار قطع - في ألف القطع ، كما في (أشجار - أسبوع).

وهكذا اختلف الرسم المصحفي عن الرسم الإملائي في إهمال الأخير لرمز ألف الوصل ، وبقاء الرمز في الرسم المصحفي ، هذا الرمز هو الآخر ليس من الرسم العثماني ، إنما هو من اختصاص واختراع الخليل وابتكاره.

سؤالان أخيران ، هل يصح أن نكتب خارج المصحف بالرسم الإملائي العادي هل يصح أن نكتب بعض الآيات ، أو جزء آية أو آية في غير المصحف بالرسم الإملائي العادي المعتاد ؟؟ نعم يصح ويصح ويصح.

والسؤال الثاني : هل يصح أن يكتب المصحف حسب الرسم الإملائي العادي ، مثل ماذا يا فصيح ؟ مثل أن نكتب السكون برمزه الإملائي ، أي دائرة ، ليس رأس خاء ، أو أن نستغني عن رأس الصاد على ألف الوصل ؟ نعم يصح ، ولكن بعد موافقة جمهور العلماء المختصين في علوم القرآن ، خاصة في تاريخ القرآن وقراءاته وتجويده.

إذن سوف نترك الحديث عن الرسم المصحفي والرسم العروضي إلى مكانهما نتحدث فقط عن الرسم الإملائي العادي ، فنقول : تتميز الكتابة العربية بأنها كتابة صوتية تماما بتمام ، فإن زيد حرف أو رمز ، أو نقص فإنما يكون هذا لحاجة ومبرر معقول مقبول ، وهذي أمثلة :

نبدأ بالزيادات ، ثم النقوص :

أولا : الزيادات :

تزاد في الكتابة بعض الأحرف ، دون أن تنطق ، ذلك أنها إذا نطقت فلا مشكلة لدينا ، وكذلكم في حال النقص ، إن لم ينطق الحرف الناقص ، فلا مشكلة ولا مسألة ولا تساؤل ، فما الحروف التي تزاد في الكتابة ، أو قل : تزاد على النطق :

١- الألف : ونراها تزاد في موضعين ، في كلمة (مائة) وأمام واو الجماعة على التفصيل الآتي :

أ- مائة : وكذا في مثناها (مائتان) عند الرفع (مائتين) عند النصب والجر ، وفي مركبات العدد أيضا (ثلاثمائة - أربعمائة - خمسمائة - ستمائة - سبعمائة - ثمانمائة - تسعمائة) لكن في الجمعين بالألف والتاء (مئات) أو بالياء والنون (مئين) أو بالواو والنون (مئون) تحذف الألف ، لا تكتب.

السبب أن (مائة) رقم وعدد تتعلق بهما الحقوق والالتزامات ، لذا اعتنى به وميز عن (فئة) فإذا كتبنا في أية وثيقة (مئة ألف جنيه) ثم جاء بعض المزورين ووضع نقطة على الفاء لغيرّ العدد من (١٠٠,٠٠٠ جنيه) إلى (فئة ألف جنيه) وشتان بين الرقمين - وهذا ما نجده في أحكام العدد في اللغة العربية ، بجميع أشكاله بل إن العدد في العربية يختم تقليديا ونمطيا بتمييز العدد ، ونوع العملة المستخدمة مثلا ، ثم العبارة التقليدية والتي تستخدم كثيرا في مصرنا ، أي (مائة ألف جنيه مصري ، فقط لا غير) أي لا شيء غيره ، كما أشرنا قبلا.

وهذا ما يوصي به علم التفاوض ، خاصة عند الترجمة الفورية الشفوية ، حيث تسبب الأخطاء في سماع الأرقام واستيعابها مشكلة مرعبة في هذا الشأن ، ولذا على المتفاوض أن يطلب إعادة نطق الرقم أو الأرقام المطلوبة ، لا عليه لوم ولا

تثريب ، إذا طلب أن يرى الرقم مكتوبا أمامه ، وبصورة شديدة الوضوح ، لاشية فيها ولا شبهة.

بل في عمليات البيع والشراء البسيطة والمتواضعة أن يتأكد الشاري والمشتري من الرقم المطلوب والثمن الذي سيدفع ويقبض ، وأيضا من نوع العملة التي ستدفع بها ـ أيها المشتري ـ هذا شيء بالغ الأهمية في الشرا ـ بدون همزة ـ والبيع.

كنت في أكرانيا ، دخلت إلى سوق (البادول [1]) من ضواحي الحاضرة الأكرانية (كييف) التي سماها أجدادي العرب (الكيابة) في هذا السوق الذي حذرني أصدقائي بعدم الدخول إليه ، ولكني بدافع حب الاستطلاع والممنوع مرغوب ، دخلت سألت المرأة عن أحد الجواكت : بكم ؟ قالت : (٢٢٠) ، جميل ، بدأت أرتديه وأقيسه ثم فوجئت أن المرأة العجوز تقول (٢٢٠ دولار) وكنت أحسب أنها تقصد بالعملة الأكرانية (الجرفنة) لكنها تقصد الدولار الأمريكي ، الفارق شاسع ، الدولار أيامها يساوي ٤ جرفنات.

ومن حسن حظي أنني لم أك أعرف اللغة الروسية التي تتكلم بها العجوز ، لكن من الواضح أن المرأة أوسعتني سخرية وهزوا وامتعاضا ، يا إلهي !! لقد عرفت سبب تشديد أصدقائي بعدم الدخول إلى ذياك السوق.

وفي ماليزيا أيضا (١٩٩٠ ـ ١٩٩٢) كنا نسمع كثيرا من البائعين ينطق العدد المركب بشكل يشبه ألفاظ العقود باللغة الإنجليزية ، ولذا كنا نستفرد دائما ، هل تقصد ـ مثلا ـ ١٤ أو ٤٠ ، نقول له بوضوح شديد :

---

(١) يقال إن هذا الحي ـ والسوق ـ هو حي اليهود ، ولذا كان التحذير من دخوله ، أو الولوج إليه والتجول فيه.

you mean one four or four zero

كلا النطقين كان لدى بعض البائعين كأنه هو ، أو كأنه هوه ، ولذا كان علينا دوما التأكد منه ، ونعود مرة أخرى إلى زيادة الألف ، فنذكر الموضع الثاني لها ، في :

ب- أمام واو الجماعة : توضع الألف زيادة على الرسم أمام واو الجماعة فقط ؟ فقط ، ولذا لا نجدها أمام :

- واو الفعل : التي هي جزء من بنية الكلمة ، مثل (يرجو - ترنو) لا تدخل الألف ، ولا تكتب.
- الأسماء الخمسة المرفوعة بالواو عند الإضافة : أبو حسن - أخو حسين - هو ذو مال ، وكذا جمعها (ذوو).
- أولو : كما في (أولو علم - أولو مال) أصحاب علم أو مال.
- واو الجمع : عند الإضافة ، مثل (مهندسو عمارتنا - معلمو مدرستنا).

وللتمييز بين هذي الواوات جميعا ، أو بالأحرى التمييز بين ضمير الرفع ، وواو الجماعة وبين غيرها ميزت بألف أمامها ؛ لأنها ركن من أركان الجملة ، يمكن أن تكون فاعلا ، مثل (جاءوا) أو نائبا للفاعل (كسروا وهربوا) أو اسم كان أو إحدى أخواتها (كانوا قياما - أصبحوا نائمين).

لأجل هذا كانت الألف أمام الواو كحارس يؤدي لها التحية دائما ، أي واو الجماعة ، أما غيرها من الواوات فلا ألف لها ، ولا حارس ، ليس هذا حقها ، أو ليس هذا من حقها.

هذه الألف تسمى (الألف الفارقة) لأنها تفرق بين واو الجماعة ، وهي ضمير مبني في محل رفع ، وبين غيرها من الواوات ، كما أسلفنا.

٢- الواو : تزاد الواو في مواضع ، هي :

أ- في كلمة (عَمْرو) تزاد الواو نهاية العلم للتفريق بينه وبين العلم (عُمَر) الممنوع من الصرف ، في حين يصرف العلم (عَمْرو) كما هو المعروف المشهور.

لكن هذه الواو يمكن أن تحذف إن أمن اللبس بين العلمين ، كما في :

- إذا أضيف لضمير ، كما في (عَمْرهم - عَمْرها - عَمْره) إذ لو زيدت الواو لزادت الأمر لبْسا على لبْس على لبْس.
- إذا كان معرفا بالألف واللام ، وهو ما يكون في حالات خاصة : ربما لأسباب بلاغية كالسخرية أو التعجب ، كأن نقول (العَمْر هذا فعل كذا).
- إذا صُغر ، فقيل : (عمير) بزنة (فعيل).
- إذا كان منصوبا (منونا) مثل : (رأيت عمرا أدهى الدهاة) فإن ألف المنون المنصوب تحل محل الواو ، هي إشارة إلى التنوين الذي يميّز (عَمْرا) حالتي الرفع والجر فقط ، ليس عند النصب والتنوين ، حيث تقوم الألف هنا مقام الواو ، نقول (هذا عمرو بطل التحكيم - تحدثوا عن عمرو مهندس التحكيم).

وهذا فقه كبير من العربية وتمييز بين الحالات ، وبعد نظر ، حاد وحديد ونأي عن النمطية ، إذ لو كانت العربية نمطية لأبقت الواو وفي جميع الحالات ، دون تمييز أو تفريق بينها.

- كذا إن دخلت ياء النسب على عمرو حجبتها وجبتها ، إذ لو بقيت الواو مع ياء النسب لاختلط الأمر ، واضطرب على القارئ ، لذا عند النسب : عَمْرو ← عمرى ليس (عمروي) هكذا.

ب- كما تزاد الواو في بعض الكلمات ، مثل :

- أولئك ، أولاء ، أولي : كلهن للإشارة ، أو أسماء إشارة.

- أولو ، أولى ، أولات : بمعنى أصحاب وصاحبات.

إذا نظرنا إلى هذي الأسماء الستة وجدنا جمع بينها جميعا جميعا البدء بالهمزة ، واللام بعدها ، كأن هذا بعد عن اختلاط هذي الكلمات بالمعرف بالألف واللام إذا فقدت هذه الواو وغابت.

ومن ناحية أخرى فإن وجود الهمزة بعدها واو ربما يشي بمرحلة تاريخية سابقة ، فمن خلال خبرتي بالقراءات القرآنية أجد أن الهمزة وحرف المد في كلمة واحدة ، كما في (السماء - السوء - نبيء) ليس المد قبل الهمزة فقط ، بل نجد المد بعدها ، في رواية ورش عثمان بن سعيد (ت١٩٧هـ) عن نافع بن أبي نعيم (ت١٦٩هـ) وذلك في مثل : (آتى - أوتوا - لئيلاف قريش) فقد روى ورش [(١)] مد الألف والواو والياء ، بعد الهمز ، كما رأينا فيما سبق من أمثلة.

فلعل تيك الكلمات الست وأضرابها كانت تنطق في فترة سابقة من تاريخ العربية بمد بعد الهمزة ، ومن ثم عبر مهندسو الرسم العربي عن هذا المد برسم هذه الواو التي عدت زائدة الآن ، لكنها كانت تنطق في تيك الفترة السالفة من تاريخ العربية ، وبمرور الزمن فقدت الهمزة المد بعدها ، تحول النطق من واو ممدودة إلى واو عادية ، ومن الواو غير الممدودة إلى نظيرتها الضمة القصيرة ، وذلك في النطق اللاحق ، الذي بقي على الآن.

هذا كلام مجمل في المسألة ، لكن لا بأس من إلقاء ضوء مفصل مقصص عن هذي الكليمات الست ، فنقول :

- أولى ← اسم إشارة للقريب.

---

(١) راجع : الإتحاف ، ص٣٨.

- أولاء ، أولئك ← إشارة للبعيد.

الاسم الأول (أولى) مقصورة إشارة للقريب ، بعد اللام ألف مد ، ليس ياء ، أي في النطق ، وقد فرق النظام الكتابي العربي بين الياء التي تنطق ياء أو كسرة طويلة وبين الياء التي تنطق فتحة طويلة ، أو (ألف مد) بوضع نقطتين تحت الياء التي تنطق ياء لينة أو مدية - كما سبق - في مثل (الداعي) أو (ظبي) في حين لا نجد النقطتين في مثل (إلى - انتهى).

لكن ترى لماذا كتبت (أولى) بياء ، ليس ألفا ؟ لأنها في هذه الحالة سوف تكتب (أولا) فتختلط وتلتبس وتشتبه بكلمة (أولا) بفتح الهمزة وتشديد الواو.

على أي الأحوال فإن اسم الإشارة (أولى) هو مقصور : (أولاء - أولئك) كلا الاسمين للإشارة إلى البعيد ، التي يناسبها المد بعد اللام في الكلمتين ، فإن هذا المد يؤدي إلى وضوح هذي الألف الممدودة في السمع ، هذا الوضوح ، أو مزيد منه ، هو ما نحتاجه عند نداء البعيد ، في حين نجد القصر بلا مد ، هو أقل - في السمع - وضوحا ، وهو ما يناسب المنادي القريب ، الذي يسمع بقليل من وضوح السمع ، وهكذا.

باقي الكلمات الست : (أولى - أولو - أولات) فالأخيرة بمعنى صاحبات ، كما في قول الله تعالى : (وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ [1]) أي صاحبات الحمل.

(أولى) بمعنى أصحاب ، في النصب والجر ، زيدت فيها الواو حتى لا تشتبه بحروف الجر (إلى) والذي يستخدم كثيرا في العربية ، ثم تبعتها (أولو) حالة الرفع ،

(١) ٤ الطلاق.

إضافة إلى (أولات) التي تلحق بجمع المؤنث ، أو تدل على جمع الإناث ، كل هذا توحيدا للنموذج ، إذ لو كانت (أولي) بواو زائدة ، ثم عطلت (أولو - أولات) من الواو لظن أن هاتين الكلمتين شيء آخر ، مختلف عن (أولي) في حين هم الثلاثة جاءوا من مشكاة واحدة ، (أولو) الملحقة بجمع المذكر ، أو الدالة على جمع الذكران ، هي فقط لحالة الرفع (أولات) نفس المعنى ، وإن دلت على جمع الإناث ، وهكذا.

٣- اللام : تزاد اللام في الموصول المثنى (اللذيْن) تميزا له عن الجمع (الذين) ثم حدث توحيد للنموذج ، في الرفع (اللذان) للمذكر ، إذ إن (اللذين) للمنصوب والمجرور، ثم (اللتان) للمثنى المؤنث عند الرفع ، و(اللتين) عند النصب والجر.

ومعنى توحيد النموذج هنا هو أن (اللذين) للمثنى يمكن أن تختلط بموصول الجمع (الذين) في حين (اللذان - اللتان - اللتين) لا تختلط بجمع المذكر ، ولا بغيره ، مع هذا بقيت اللام في الأربعة (اللذين [1] - اللذان - اللتين - اللتان) كي يتوحد نموذج الموصول للمثنى في جميع حالاته بلامين ، فلا يُظن أن الكلمة إذا عطلت عن إحدى اللامين أنها كلمة أخرى أو شيء آخر ، إذ هو توحيد للنموذج أو للنسق.

ثانيا : المحذوفات :

تحذف بعض الحروف عند الكتابة ، والمقصود هنا كما قيل في الزيادة ، أي التي لا تنطق ، يقال هنا في الحذف أو المحذوف عند نطقه ، أو عند بقاء نطقه ، كما سيأتي :

١- ألف الوصل : هذه الألف الذي جيء بها لبدء النطق بالساكن ، كما سبق

---

(١) يرى أحمد ذكي صفوت أن الكلمات الأربع مبنية على ما يشاكل إعرابها ، من ألف أو ياء ، فنقول مبنية على الألف ليس مرفوعة ، ومبنية على الياء ، ليس منصوبة أو مجرورة ، ولله في خلقه شئون !! انظر : الكامل ... ص٦٤.

الحديث عنها بشكل مفصل ، ومن ثم تنطق في بدء الكلام وتسقط في درجه ، لكن الرمز - أي الألف - يبقى في جميع الحالات ، برغم عدم نطقه ، نقول : (افتح يا سمسم) تنطق بالألف ، فإذا قلت : (يا ولد افتح) لم تنطق ، وإن بقي الرسم كما هو ، ولذا فإن حديثنا حول الألف التي تحذف ، أي في الرمز والرسم ، وهي بطبيعة الحال لا تنطق أيضا ، لأنها تأتي في درج الكلام ووسطه ، ليس أوله ، وهاك التفصيل :

أ- همزة الاستفهام : إذا سبقت ألف الوصل حذفنا الأخيرة ، مثل (أرتدي عزيز إزاره الجديد ؟) أصل الفعل (ارتدى) بألف وصل ، فلما دخلت عليها همزة الاستفهام حذفتها ، إذ لم يعد لها من الأعراب محل ، لقد جاءت للبدء بالساكن ، وهو الراء هنا ، ولكن همزة الاستفهام قامت بذياك العمل ، فلم يعد بنا حاجة إلى ألف للوصل ، وهكذا.

ب- بعد لام الجر : نفس الشيء يقال هنا ، حلت اللام الجارة مسألة أو معضلة البدء بالساكن ، فلم يعد لنا من حاجة إلى ألف للوصل ، حذف الرمز بعد لام الجر ، كما حذف بعد همزة الاستفهام (أنتهى العمل أم لم ينتهِ ؟ - للسيارة فوائد كبيرة) وهكذا نحن نتحدث عن رمز همزة الوصل ، أو غيره من الرموز التي تحذف ، في حين يبقى في غيره من المواضع.

جـ- ألف ابن : إذا وقعت بين علمين ، الثاني أب أو جد من ناحية الصلب ، مثل : (محمد بن عبد الله - علي بن أبي طالب) كما أن العلم الأول في كليهما ، والموصوف بابن ، أي (ابن) صفة له ، هذان العلمان (محمد - علي) وغيرهما لا ينونان بسبب شدة العلاقة بين الكلمتين (ابن) وما قبلها ، إنها تشبه علاقة

الإضافة ، فضلا عن كثرة استخدام هذا التعبير لدى العرب ، ومن ثم حجب التنوين.

فإذا كانت الأبوة والبنوة من المجاز كأن نقول : (السادات ابن مصر البار) كتبت الألف ، لأن مصر ليست أبا لأحد ، لا للسادات ولا لغيره.

كذا تكتب الألف في بدء السطر ، وهذا خطأ يقع فيه كثير من الكاتبين ، حين لا يكتبون الألف بدء السطر ، كما نجد في هذا المثال الذي نقدمه للقارئ : (محمد ابن عبد الله) حيث إن السطر وحدة مستقلة عن السطر السابق عليه ، ولذا كتبت الألف.

د- ألف اسم : إذا جاء اسما للجلالة ، كما في : (بسم الله ...) فإذا قلنا : (باسم الشعب - باسم الأمة - باسم الأسرة) كتبت الألف ، كما ترى.

٢- الألف وسط الكلمة : تحذف الألف وسط الكلمة ، أو قل لا تكتب أحيانا ، منها : كلمات لم تستفد من الرمز الجديد : في بداية الكتابة العربية لم يك ثم عناية كافية بالحركات قصيرها وطويلها ، إلا أن هذا لم يدم ، بل اختير رمز الهمزة (الوقفة الحنجرية) أو (الألف) رمزا للفتحة الطويلة ، والواو اللينة رمز الواو المد والواو اللينة على السواء أي : و = w ، u: ، وكذا الياء ، ي = y ، i: لكن بعض الكلمات بقيت على نظامها القديم ، مثل :

- طاوس ، داود : وبرغم صحة كتابتها بواوين ، أي (طاووس - داوود) فإن رأيا آخر يرى عدم تكرار الواوين ، فيجعلهما وأمثالهما بواو واحدة ، على ما كانت عليه في النظام القديم ، قبل تخصيص رمز للحركات الطوال ، أو حروف المد.

لكن أكثر ما حدث كان للألف وسط الكلمة ، لقد كانت تكتب شرطة مائلة ، كما نجدها في الرسم المصحفي الآن ، لكن الكتابة الإملائية رأت أن تستغني عن هذا الرمز القديم (ٰ) قارن :

الرسم المصحفي	الرسم الإملائي المعاصر
اللّٰه	اللـه
إلٰه	إلـه
الرحمٰن	الرحمن
طٰه	طه
يٰس	يس
لٰكن	لكن
أولٰئك	أولئك
هٰذا	هذا
هٰذه	هذه
هٰؤلاء	هؤلاء
ذٰلك	ذلك
ذٰلكم	ذلكم

وقد بقيت تيك الكليمات كما هن بسبب كثرة الاستخدام ، مثل (اللـه ـ إلـه) أو خشية توهمها كلمتين ، مثل (لكن) إذ لو كتبت الألف لأشبهت كلمتين : (لا ـ كُن) أو بغية الاختصار في الكتابة ، حتى لا تطول الكلمة بشكل فاحش (هاؤلاء) كما أن أوصال الكلمة أو الوحدة الكتابية تقطع وتشوه فتظهر كأنها كلمات متعددات أو وحدات كتابية منفصلة منقطة ، منقطة منقطعة عن بعضها.

لكن عندي مثال أخير على حذف الألف ، إلا أنه في هذه المرة يحذف نطقا ورسما (رمزا) إنه ألف (ما) الاستفهامية إن وقعت بعد حرف جر ، مثل (عمَّ يتساءلون) أو في مثل : (علامَ ـ فيمَ ـ حتامَ) وهنا نجد الرسم معبرا عن النطق ، فما ينطق يكتب ، وما لا ينطق لا يكتب ، وهو الأصل ، إن حدث العكس أي زيادة في الرسم عن النطق ، أو نقص عن النطق كان هذا في كليمات قليلة ، لها مبررات وتوجيهات ، ذكرناها في مكانها ، ولم يبق معنا إلا القليل القليل منها.

٣ـ النون : تحذف النون في حالات وأحوال ، هي جميعا تعبير عن النطق ، بسبب الإدغام ، أو المماثلة ، وحذف النون في تيكم الحالات هو تعبير عن النطق ، وليس عنه خروجا ، مثل :

أ- نون حرفي الجر (من ـ عن) : إذا دخلتا على (من ـ ما) الموصولتين ، (منْ + ما ← مما ـ مِنْ + مَنْ ← ممن).

ب- إن الشرطية : إذا دخلت على (ما) الزائدة (إن + ما ← إمّا).

جـ- أن الناصبة المصدرية : إذا دخلت على (لا) النافية (أن + لا ← ألاّ) أو (لا) الزائدة (لأن + لا ← لأ لاّ).

نخلص مما سبق إلى أن النقص عن النطق في الرسم لا يكون إلا في كليمات بعينها ، لكن بمبررات وأسباب ومنطق ، في حين نجد الأصل أن يعبر الرسم والرمز عن النطق تماما بتمام ، ووحذو القذة بالقذة ، دون زيادة أو نقصان ، وهذا ما لا نجده بسهولة في أي نظام كتابي آخر غير العربية.

ولعل نظام الكتابة العربي هو ما أوحى إلى الجمعية الصوتية الدولية في

باريس بفكرة الأبجدية الصوتية الدولية التي تتكئ على مبادئ أهمها ، كل صوت واحد له رمز كتابي أو رسم واحد ، ولا ننسى هنا الكتابة العروضية في العربية والتي تطبق بكل دقة وصرامة مبدأ :

ما ينطق فقط يكتب .... وما لا ينطق لا يكتب

كل ما زادته الأبجدية الدولية أنها أدخلت رموز الحركات القصار في صلب الخط ، أو كررت الصامت المشدد ، أو ذكرت نون التنوين ، وهو ما لم يغب عن الكتابة العربية العروضية ، وهكذا.

جدير ذكره أن الأبجدية الصوتية الدولية ليست بديلا عن نظم الكتابة في أية لغة ، إنما هي لغة بين العلماء واللغويين في العالم ، وهي وإن كانت تشمل عددا أكبر من الحروف اللاتينية ، إلا أنها كلها ليست كذلك ، بل لها حروف أو رموز روسية ، مثل رمز الخاء /x/ بل بعضها عربي ، مثل رمز العين.

كما أن العرب هم من أهدى وقدم للعالم نظام الأرقام والكتابة الهجائية - الفينيقية - فإنهم كذلك يمكن أن يكونوا أوحوا إلى العالم بفكرة الأبجدية الصوتية الدولية ، خاصة خاصة ما جاء في الكتابة العروضية التي تتكئ على رمز واحد لكل صوت واحد ، ما ينطق يكتب ، ما لا ينطق لا يكتب منه شيء.

وعليه فإنا نعود مرة أخرى نوكد ونوكد أن الكتابة العربية كتابة صوتية تماما تماما ، فإن زاد الرسم شيئا عن النطق أو نقص كان هذا في كليمات قليلات لأسباب ومبررات منطقية ، مقبولة ومعقولة ومشروعة.

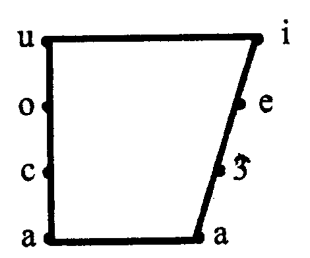
المادة الخامسة والعشرون

{٢٥}

نظام الحركات في العربية الفصحى هو أبسط نظام للحركات في لغات العالم أجمع.

نظام الحركات في فصحى العرب هو أبسط الأنظمة في لغات العالم ، وأقلها عددا ، هن الأقل في الحركات بين لغات الدنيا التي تقدر الآن بـ ٦٨٠٠ ، يتكلم بهن ستة مليارات ونصف المليار من الأنفس على كوكب الأرض.

فمن قال وزعم ونبأ أن الحركات العربية في الفصحى هن العدد الأقل في لغات العالم ، هل هو عربي ؟ كلا ، هل هو مسلم ؟ كلا ، إنه غربي أوربي ، من بلاد الضباب الذي تغيب وتحجب عنها الشمس ، هو مستشرق ؟ كلا ، إنه عالم الأصوات الإنجليزي ج.د. أكونر ، تلميذ دانيال جونز ؟ وما دانيال جونز - يرحمك الله - وما دخله واتصاله بالمسألة ؟ دانيال جونز هو صاحب نظرية الحركات المعيارية التي نقيس بها الحركات في أية لغة من لغات العالم ، وبها تقارن وتقابل [١].



(١) راجع مثلا : (علم اللغة العام ، الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر ، القاهرة ١٩٧٠.

(أكونر) عالم الأصوات الإنجليزي وتلميذ عالم الأصوات دانيال جونز ، ينص [1] على أن أقل عدد من الحركات في لغات العالم أجمع هو :

u i

a

هذا العدد ، ذياك النظام موجود في لغتين ثنتين فقط ، لا غير ، هما :

- لغة اسكيمو جرين لاند.
- الفصحى العربية.

لغة الإسكيمو في جزيرة جرين لاند التي تقع شمال شرق كندا [2] ، برغم أنها تابعة لأملاك الدانمرك [3] ، صاحبة الصيت المدوي في الرسوم المسيئة للنبي الأكرم (ﷺ) تحت شعار حرية الرأي والتعبير ، فلعنة الله على الظالمين ، كل الظالمين.

على أي الأحوال فإن لغة إسكيمو جرين لاند ، أو لغة الإسكيمو في الجزيرة الخضراء ، هي لغة حبيسة ، مجهولة غير معروفة إلا لدى أبنائها ، والمتحدثين بها شتان شتان بينها وبين العربية ، حتى هذه اللغة في الجزيرة المذكورة لا يعرف عدد المتحدثين بها ، بل لا معلومات عنها اللهم إلا ما ذكره - هنا - ج.د. أكونر ، من أنها والفصحى في بني يعرب بهما أقل عدد من الحركات ، وأبسط نظم الحركات بين لغيات - تصغير لغات - هذي المعمورة.

لكن ترى أهناك علاقة ما بين اللغتين، العربية ولغة الإسكيمو في تيكم الجزيرة

---

(١) راجع كتاب Phonetics ، ص ٢١٦.

(٢) مساحتها مليونان + ١٧٦ ألف ك.م ، إنها أكبر جزر العالم على الإطلاق ، الجزيرة التي تليها في ترتيب المساحة هي جزيرة (غينيا الجديدة) = ٧٩٠ ألف ك.م. التي تقع شمال أستراليا ، وشرق إندونيسيا.

(٣) مع أن مساحة هذه الدويلة لا تزيد عن ٤٣ ألف ك.م. فقط ، مساحة محافظة من محافظات مصرنا الحبيب.

الخضراء ؟ أثمَّ علاقة ما بين القومين ، العرب في مضاربهم والإسكيمو في جزيرتهم ؟ لا شيء يظهر الآن في أفق الإجابة عما سبق ، ولا يتبين فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر الحقيقة ، فما الذي ضم الشامي إلى المغربي ، ما الذي جمع الشرق العربي بالغرب الدانمركي ، ما الذي جمع الجنوب في ديار بني يعرب بالشمال الأمريكي والأوربي ؟ أثم هجرات عربية من ديار بني يعرب إلى الجزيرة الخضراء ، وما هي السبل أو السبيل الذي سلكه العرب إلى ذياك المكان ؟ الأمر بحاجة إلى دراسة في مكانها وأوانها.

على أي الأحوال نترك تيكم الجزيرة الكبرى بين جزر العالم قاطبة لنعطي الكلمة لعالم الأصوات الإنجليزي أكونر ليكمل حديثه عن الحركات في لغات العالم ، فمن رام تفصيلا رجع إلى كتابه المشار إليه في الهامش.

نظام الحركات هذا ، الثلاثي الأبسط الأقل في لغات يمكن أن يزيد عن هذه الثلاثة

u i

a

إلى خمسة ، وهو النظام الأكثر شيوعا في لغات العالم ، تجده في الأسبانية واليونانية الحديثة وفي اللاتينية ، تلك الرموز الخمسة :

u i

o e

a

هي رموز الحركات في الأبجدية الرومانية ، أما اللغة الفيتنامية ـ ففيها من الحركات عشر فقط ، في حين نجد في الإنجليزية ـ مثلا ـ ٢٠ حركة.

إذن ففي العربية الفصحى ٣ حركات فقط ، هن الأقل في لغات العالم ، ولكن العربية أضافت لمسة عبقرية بالغة الأهمية ، هي أنها اشتقت من هذي الحركات نظائرها الطوال ، فكان من الفتحة القصيرة نظيرتها الطويلة ، الفتحة الطويلة ، ومن الكسرة القصيرة ، الكسرة الطويلة ، وكذا من الضمة القصيرة نظيرتها الطويلة ، وهكذا أصبح في العربية من ناحية الوظيفة والعمل ٦ حركات ، ثلاث قصار :

u i

a

ثم النظائر الطوال :

u: i:

a:

ولكن النوعين من الناحية النطقية هما شيء واحد ، الفارق فقط في الزمن ، فإذا افترضنا - مثلا - أن الحركة القصيرة تستغرق في نطقها ٥% من الثانية الواحدة فإن النظير الطويل يستغرق ضعف زمن القصيرة أي ١٠% من الثانية ، وهكذا.

<u>وبالإضافة إلى ما سبق على أهميته تتميز الحركات العربية الست بما يلي :</u>

١- الحركات العربية كلها بسيطة ، ليس في الفصحى العربية حركات مزدوجة ، ولا ثلاثية ، كما نجد في اللغات الأخر ، ففي اللغة الماليزية ، أو (لغة الملايو) في ماليزيا ثلاث حركات من هذا النوع ، أي المزدوج : / ai - au - oi / وفي الإنجليزية تسع حركات مركبة ، منها :

- ei كما في hail.
- ai كما في file.

٢- الحركات العربية متباعدة فيما بينها ، في الجزء المرتفع من اللسان ، وفي المدى الذي يرتفع إليه اللسان ، ومن ثم فإن الخلط بينها صعب بعيد المنال ، فالكسرة أمامية ضيقة تنفرج معها الشفتان ، الضمة حركة خلفية ضيقة ، يرتفع معها الجزء الخلفي من اللسان ، مع ضم الشفتين ، الفتحة حركة وسطى متسعة الشفتان في وضع محايد بين الضم وبين الانفراج.

الحركة الضيقة التي يرتفع معها اللسان إلى أقصى ارتفاع ممكن فيكون أقرب إلى سقف الحنك ، أي تضيق المسافة ما بين سقف الحنك وما بين الجزء المرتفع من اللسان ، الحركة المتسعة تعني ارتفاع اللسان إلى أقل مدى ممكن ، ما ينتج عنه اتساع المسافة بين اللسان وبين سقف الحنك ، لاحظ :

سقف الحنك

u i

a

وضع الشفتين في كل حركة شديد التباعد ، في الضمة قمة ضم الشفتين ، ولذا سميت بالضمة ، وفي الكسرة قمة انفراج الشفتين ، على العكس منهما الفتحة حياد بين الضم والانفراج.

وكما رأينا في وضع اللسان ، الكسرة أمامية جدا ، الضمة خلفية جدا ، والفتحة متسعة جد ، لا أمامية ولا خلفية ، بل وسطى ، يرتفع الجزء الأوسط من اللسان ، وهكذا.

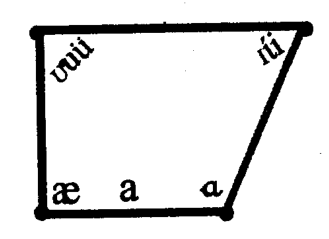
٣- الفتحة أكثر الحركات شيوعا ، تليها الكسرة ثم الضمة [1] أخيرا ، فما السبب - يا

(١) راجع كتابنا : (ما له وجهان ...) ص٤٦.

يرحمك الله ـ ؟ السبب ـ في رأيي ـ هو أن الفتحة [١] أكثر الحركات الثلاث مرونة كيف بالله عليك ؟ إن الفتحة تكون أمامية تماما إذا كانت بعد صامت مرقق ، مثل الفتحات في : (سَكَتَ) لكنها تكون خلفية تماما تماما إذا جاءت بعد صامت مطبق [٢] من هذي الصوامت الأربعة (ط ـ ظ ـ ص ـ ض) مثل الفتحات الأولى من الكلمات التالية (طبع ـ ظبي ـ صبر ـ ضبع).

لكنها تكون وسطى مع الصوامت المفخمة الثلاثة : (غ خ ق) مثل الفتحات الأولى من : (غبر ـ خبر ـ قبس).

الكسرة والضمة كلتاهما تتأثران بالترقيق والتفخيم ، ولكن بشكل أقل ، بمعنى أن الكسرة مهما فخمت تبقى أمامية ، والضمة كذلك مهما أطبقت أو فخمت فإنها تظل دائما دائما حركة خلفية تماما ، كلتا الكسرة والضمة لا يتغير شكل اللسان معهما ، كما يتغير مع الفتحة ، كما ترى في الشكل :



- الفتحة بعد صامت مرقق [ɑ].
- الفتحة بعد : (ق غ خ) [a].
- الفتحة بعد : (ص ض ط ظ) [æ].

(١) المقصود هنا الفتحة الطويلة والقصيرة على السواء ، وكذا الكسرة والضمة كلتاهما.
(٢) الأصوات المطبقة : أي في أعلى درجات التفخيم ، كما أنها مفخمة في جميع الأحوال ، على عكس (ق خ غ) هذا الثلاثي في درجة أقل من الأربعة الأخرى ، كما أنها مع الكسر أقرب إلى الترقيق ، وبعض العلماء يقول : هي مرققة تماما إذا أتى بعدها كسر.

- الكسرة بعد صامت مرقق [i].
- الكسرة بعد : (ق غ خ) [í].
- الكسرة بعد (ص ض ط ظ) [I].
- الضمة بعد صامت مرقق [u].
- الضمة بعد (ق غ خ) [ú].
- الضمة بعد (ص ض ط ظ) [U].

مع تذكير القارئ دوما أن المقصود بالفتحة والضمة والكسرة هنا هو الحركات القصار ونظائرهن الطوال على السواء ، والإشارة إلى أن الكتابة الصوتية تعبر عن طول الحركة بوضع نقطتين أمام الحركة القصيرة هكذا a: - í: - u: ، أو بتكرار الرمز نفسه aa - íí - uu.

وهكذا بسبب مرونة الفتحة تصبح المرققة بعد الصامت المرقق حركة أمامية وتصبح وسطى بعد الصوامت المفخمة الثلاثة ، وخلفية بعد الصوامت الأربعة المطبقة.

لكن بقى في النفس شيء من مرونة الفتحة ، فما السر والسبب ؟ السر والسبب - يا عافاك الله - هو أن الفتحة حركة متسعة ، بسبب اتساع المسافة بين اللسان وسقف الحنك ، وما في هذا يا طويل العمر ؟ في هذا أن الذي يرتفع هو جزء قليل من اللسان ، أو بمعنى آخر اللسان يرتفع عند الحد الأدنى من الارتفاع ، هذه الحركة أسهل من ارتفاع اللسان إلى أقصى حد من الارتفاع ، أو بالقرب من هذا الحد.

هذا الأمر يشبه الإنسان الذي يتحرك وهو جالس فيرفع قليلا من جسمه ، هذا

أسهل بكثير من أن يرتفع بجزء كبير من جسمه ، إلى ارتفاع أكبر ، هذا الأخير أصعب ، وعليه فإن ارتفاع جزء قليل جدا من اللسان مقارنة بما يحدث عند نطق الكسرة والضمة يجعل حركة اللسان في الفتحة أسهل ، ويجعل الحركة أكثر مرونة ، بحيث تدور الفتحة ما بين ارتفاع الجزء الأمامي من اللسان ، أو الجزء الأوسط ، أو الخلفي ، وهذا ما جعل نسبة ورود الفتحة أعلى بكثير وكثير من شقيقتيها الكسرة والضمة.

ففي تيكم الإحصائية (١) التي اعتمدنا عليها وجدنا :

- الفتحة : ٤٦٠ في الألف.
- الكسرة : ١٨٤ في الألف.
- الضمة : ١٤٦ في الألف.

إذن الكسرة والضمة متقاربتان في نسبتيهما ، لماذا ؟ كلتاهما حركة ضيقة جدا ، شدة ارتفاع اللسان إلى سقف الحنك في كلتيهما ، فرق بينهما الأمامية في الكسرة ، وارتفاع الجزء الخلفي من اللسان في الضمة.

لكن - يا فصيح اللسان - لماذا افترقت الكسرة ١٤,٦% عن الضمة ١٨,٤ ؟ السبب يا مبجل أن ارتفاع الجزء الأمامي من اللسان أسهل من ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان ، الجزء الخلفي يمثل قاعدة اللسان ، الجزء الأمامي يمثل الجزء المرن من اللسان التي تنطلق حركته بكل يسر وسهولة ، والدليل على هذا قلة الصوامت التي يشترك في نطقها الجزء الخلفي من اللسان مقارنة بصوامت الجزء الأمامي ، بما فيه طرف اللسان ، الأمر يحتاج مزيد إيضاح :

---

(١) راجع : د. أنيس (الأصوات اللغوية) ص٦٧ ، رسالتي للماجستير ، ص١٦٧.

الصوامت العربية التي يشترك في نطقها من الجزء الخلفي من اللسان ، هي : (القاف) اللهوية ، تيك القاف العربية هي أبعد الصوامت مخرجا التي يشترك في نطقها أقصى نقطة خلفية من اللسان مع اللهاة ، النقطة التي تجاور أقصى الحنك ، بالطبع هي تمتد بعدها.

يلي ذلك في العربية الصوامت التي يشترك في نطقها أقصى اللسان مع أقصى الحنك ، وهي : (الكاف) المهموسة ، ونظيرتها المجهورة الجيم القاهرية الانفجارية أو (الجاف) أي القاف في النطق العامي ، إضافة إلى الغين والخاء ، كم صوتا إذن من صوامت العربية يشترك في نطقها الجزء الخلفي من اللسان ن مع اللهاة أولا ، ثم مع أقصى الحنك (القاف - الكاف - الجيم القاهرية - الغين - الخاء = خمسة صوامت ليس إلا.

بل إن أكثر هذي الأصوات لا تجدها في كثير من لغات العالم - مثل الفرنسية والإنجليزية - وهي : (القاف - الغين - الخاء) أي لا يبقى غير الكاف ونظيرتها المجهورة (الجيم القاهرية) وهو عدد قليل ، كما ترى.

قارن هذا بالصوامت التي يشترك في نطقها الجزء الأوسط والأمامي من اللسان مع الجزء الأوسط والأمامي من سقف الحنك واللثة والأسنان والجزء الأمام يمن اللسان ، إنها العدد الأكبر من الصوامت العربية - وفي غيرها - وهي : (ذ - ظ - ث - ذ - ض - ت - ط - ن - ل - ر - ز - س - ص - ش - الجيم المركبة).

إنها في العربية ثلاثة أضعاف الصوامت التي يتحرك في نطقها الجزء الخلفي من اللسان ، أي ١٥ إلى ٥ ، حيث إن حركة الجزء الأمامي من اللسان أيسر وأسهل من الجزء الخلفي من اللسان.

وهذا ما جعل الحركة الأمامية الكسرة أكثر ورودا ودورانا من نظيرتها الضيقة التي يرتفع عند نطقها الجزء الخلفي من اللسان ، هذا الجزء الذي تأتي حركته أقل وأكثر صعوبة وأقل يسرا وسهولة من حركة الجزء الأمامي من اللسان.

صاحب الخصائص ، العبقري ابن جني يقول كلاما عجبا في قمته ودقته ووجاهته ماذا يقول - يا رعاك الله - ؟ إنه يقول عن سبب رفع الفاعل ونصب المفعول أو المفاعيل :

(إنما فعل ذلك للفرق بينهما) أي لتمييز الفاعل من المفعول ، لكن صاحب الخصائص يعود فيتساءل : (فلم اختير الرفع للفاعل والنصب للمفعول ، ولم يحدث العكس ؟؟ لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، في حين قد يكون للفاعل مفعولات كثيرة ، فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته ، ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون [1]).

كأن المسألة يا ابن جني تدور بين استثقال للضمة ليقل ورودها وشيوعها ، وترك لحركة الفتح العدد الأكبر من الأسماء المنصوبة ، ليس المفاعيل فقط ، بل الحال والتمييز والمستثنى في كثير من أحواله.

المثنى هو الآخر مرفوع بالألف - الفتحة الطويلة - بل ورد في بعض اللهجات بالألف في جميع أحواله رفعا ونصبا وجرا ، لكن جمع المذكر ميز عنه في الرفع بالواو - الضمة الطويلة - تلكم التي جيء بها اضطرارا حتى يتميز جمع الذكران السالم عن المثنى المرفوع بالألف.

وكان على العربية في إعراب الأسماء الخمسة أن تزاوج بين الإعرابين

---

(١) الخصائص ١ / ٤٩.

إعراب المثنى وجمع المذكر السالم ، أو بمعنى آخر أن تفرق بين إعراب الأسماء الخمسة وإعراب المثنى والجمع ، فأبقت على الواو - الضمة الطويلة - للرفع : (أبوها - أخوها - فوها ..) وأبقت الجر على الياء - الكسرة الطويلة - واختارت ألف المد - الفتحة الطويلة - للنصب - مثل : (رأيت أباها وأخاها ولم أر فاها) للتفريق بين الأسماء الخمسة وجمع المذكر السالم.

بل ورد عن العرب في بعض لهجاتهم : (الأب والأخ والحم) بالألف فقط في جميع الأحوال في مواقع الرفع والنصب والجر كلها. يقول النحاة هي معربة بحركات مقدرة ، ضمة مقدرة رفعا ، فتحة مقدرة نصبا ، كسرة مقدرة خفضا (جرا) تقول : (هذا أباه وأخاه وحماها) بدل : (هذا أبوه ....) ومثله (مكره أخاك لا بطل) بدل : (مكره أخوك ، لا بطل) أصلها : (أخوك مكره ...) مبتدأ وخبر.

قال الشاعر : إن أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها

ولعل هذه المرحلة سبقت مرحلة إعراب الأسماء الخمسة بواو المد رفعا وألف المد نصبا وياء المد جرا ، إذ أبقت العربية على حالة النصب فقط ، واختارت الضمة الطويلة للرفع ، والكسرة الطويلة للجر ، في مرحلة لاحقة بعد مرحلة استخدام الفتحة الطويلة في مجال الرفع والنصب والجر.

نعود إلى المثنى ، والعود في كل الأحوال أحمد ، فنقول : ومن العرب من يلزمه - أي المثنى - وما يلحق به - ألف المد ، الفتحة الطويلة ، وهنا يتجه الإعراب وجهتين :

الأولى : الإعراب بحركات مقدرة على الفتحة الطويلة ، كما في قوله تعالى :

(إنْ هَذَانِ لسَاحِرَانِ [1]) وهكذا جاءت في رسم المصحف، قال في الإتحاف : (هذان اسم إن على لغة من أجرى المثنى بالألف دائما ، واختاره أبو حيان - الأندلسي - وهو مذهب سيبويه).

أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وحده الذي [2] قرأ (هذين) بالياء ، وهي مخالفة لرسم المصحف ، أحد الشروط الثلاثة - مع صحة السند وموافقة قواعد العربية - لصحة القراءة وعدم وصفها بالشذوذ.

على أي الأحوال ورد المثنى بالألف في شاهد آخر ، هو : (لا وتران في ليلة) بدل : (لا وترين في ليلة).

ومن الشواهد أيضا قول الشاعر :

فأطرق إطراق الشجاع [3] ولو رأى   مساغا لناباه الشجاع لصمما [4]

بدل : لنابيه ، بالياء.

وإذا كان المثنى بالألف بجميع الأحوال بالفتحة الطويلة فإنه يعرب بضمة مقدرة رفعا ، وفتحة مقدرة نصبا ، وبكسرة مقدرة جرا ، وهذا ما أميل إليه.

أما إعرابه في هذه الحالة بضمة ظاهرة على نون المثنى رفعا ، وفتحة ظاهرة على النون نصبا ، وكسرة ظاهرة جرا ، تقول : (مات الرجلانُ - رأيت الرجلانَ - مررت بالرجلانِ) وهكذا ، فلا نميل إليه ، إنها : (لغة قليلة جدا [5]) أي لهجة عربية قديمة ، غير منتشرة ولا فاشية ، هي قليلة الانتشار والفشو.

---

(١) ٦٣ طه.
(٢) الإتحاف ، ص٣٠٤.
(٣) الثعبان.
(٤) عض ولدغ.
(٥) الكامل ... لأحمد صفوت ، ١ / ٢٤.

لكن بعد هذا كله ألا من عودة إلى ابن جني فإنه لا يزال عنده أقوال أخر في القضية لما يفصح عنها ، فما هي يا رحمك الله ؟ جاء في الخصائص : (جميع ما جاء من الكلم على حرف واحد عامته على الفتح إلا الأقل) كل هذا معناه شيوع الفتحة على نظيرتيها الكسرة والضمة ، ولكن الأمثلة يا أبا الفتح : (نحو : واو العطف - فاء العطف - لام الابتداء - كاف التشبيه - وغير ذلك وقليل منه مكسور ، مثل : باء الجر - لام الجر - لام الأمر ... ولا نجد في الحروف المنفردة ذوات المعنى ما جاء مضموما ، ولا يعتد بهمزة الوصل المضمومة ، نحو : اقتل - استقصى لأنها تسقط في الدرج).

لاحظ تعبير ابن جني : (جميع ما جاء على حرف واحد عامته على الفتح إلا الأقل) معظمه معظمه مبني على الفتح ، إلا الأقل ، هذا الأقل هو المكسور فقط فقط ، وقدم لنا ما عنده من الأمثلة ، ثم ختم مردفا : (ولا نجد ... ما جاء مضموما) أما همزة الوصل المضمومة فلا يعتد بها ، لأنها تسقط في الدرج.

المهم أنه من خلال هذا كله يستشهد على شيوع الفتحة ، وقلة الكسرة ، ويرى انعدام الضمة في بناء (ما جاء على حرف واحد) وهو يؤيد تيك الإحصائية التي سقناها قبلا عن شيوع الفتحة ، وقلة الكسرة ، تليها في القلة وعدم الشيوع الضمة في النهاية ، أو في ذيل قائمة الشيوع ، وقد حاولنا تفسير كل ما سبق ، غير زاعمين إن ما نقول هو الصح والحقيق الحقيق الفصل ، الذي لا كلام بعده ، بل كي نُعلي من مبدأ السببية في لغتنا التي تنأى عن العشوائية ، بل هي ترقى أحيانا إلى دقة الرياضيات ، كما سلف.

ولا ننسى أن ابن جني يقصد من كل ما سبق الحركات القصار فقط ، ليس الطوال ، ولكن القصار جزء مهم وقسيم للحركات الطوال ، وما قيل في الخصائص

عن شيوع الفتحة ـ أي القصيرة ـ عن نظيرتيها الكسرة والضمة ، يمكن أن يقال بسهولة عن الحركات الطوال ، وقد سلف ومر أن الإحصائية التي اعتمدنا عليها في شيوع الحركات كانت تشمل الطوال والقصار.

لكن هناك تساؤل هل الأصل في الحركات العربية القصر ، ثم طالت ، أم الطوال ثم قصرت ؟ موضوع محير يحتاج إلى بحث خاص في مكانه وبشرائطه.

ولكن ، مرة أخرى تقول : ولكن ، ولكن ماذا ؟ ولكن لماذا نحبس أنفسنا في احتمالين ، لا ثالث لهما ، أي : الأصل إما القصر وحده أو الطول ؟ لماذا لا نقول كلاهما كان أصلا ؟ بمعنى استخدمت القصار في سياق ومقام ، واستخدمت الطوال في سياقات ومقامات أخر ، لكن المثال ، المثال يا فيلسوف ؟؟.

مثل أن نستخدم الحركات القصار للكلام والحديث إلى القريب ، في حين نستخدم الطوال للكلام مع البعيد ، حيث إنها أوضح في السمع ، وأسهل في الفهم والالتقاط من جانب الأذن.

كلام معقول ، لكن مثل ماذا ؟ مثل ما نجد من النداء أو في النداء ، إذ يحكى أن أحرف النداء في العربية ـ أو أدواته ـ فقط ثمانية من حروف النداء ، هي : (الهمزة المفتوحة فتحا قصيرا ، أي (أ) ـ الهمزة وبعدها فتحة طويلة أو ألف مد (آ) ثم : أيْ ـ آي ـ يا ـ أيا ـ هيا ـ وا) الهمزة المفتوحة فتحا قصيرا للمنادي القريب المسافة ، وبقيتها للبعيد ، أو القريب المنزل منزلة البعيد بسبب نوم أو سهو أو سرحان ، أو عدم التفات ، أو ارتفاع مكان المنادي ـ بكسر الدال أو فتحها ـ وذهب بعض النحاة إلى أن : أيا وهيا للبعيد ، وأي والهمزة للقريب ، وذهب بعضهم ـ أي النحاة ـ إلى أن : أيا وهيا للبعيد ، والهمزة بعدها فتحة قصيرة للقريب ، وأي للمتوسط ، ويا للجميع [1].

---

(١) السابق ، ٢ / ١٧٩.

وعند التوكيد والرغبة فيه يجوز أن ينادى القريب كأنه بعيد ، ويجوز العكس ، أي أن ننادي البعيد كأنه القريب ، إذا أنزلناه منزلة القريب ، وإلا فلا يجوز [1].

فإن محمدا (ﷺ) مات منذ ١٤ قرنا من الزمان ، قبره بيننا وبينه مسافات طوال طوال ، لكن المسلم يحس كأن نبيه لم يمت ، هو منه قريب قريب ، هو يناديه يناجيه كأنما يقف على أعتاب بابه ، أو كأنما يقف بالقرب من شخصه الكريم (ﷺ).

على أي الأحوال فقد رأينا في حروف النداء - بدون همزة - الحركة الطويلة في تيك الحروف مرتبطة بنداء البعيد أو النائم أو الساهي غير المنتبه ، مثل : (آي - آ - أيا - هيا ...) ونداء القريب المنتبه بفتحة قصيرة (أ) وهذا ما نستأنس به من أن الحركة القصيرة في البداية كانت عند الحديث إلى القريب المنتبه ، على عكس الحركة الطويلة التي كانت تستخدم للحديث إلى البعيد ، أو غير المنتبه ، وهكذا.

وإذا أراد الناس نداء البعيد جدا ، أو غير الملتفت إليهم نراهم يطولون ويمدون بعض الحركات - وإن كانت قصيرة - بشكل مبالغ فيه حتى يسمع الطرف الآخر ويلتفت إليهم ، وهذا ما يمكن أن نجده بين الفلاحين في الحقول إذا تناءت المسافات وبعدت ، مثل :

- محماااد. - أحماااد.

كما نجد في الجملة السينمائية الشهيرة في السينما المصرية عندما يترك البطل ويغادر غير ملتفت إلى شيء يلي عليه ، وهنا تناديه البطلة : أحماااد ، أحماااد أحماااد. لكن المخرج شرط عليه أن لا يرد ، وهو يأتمر بأمر مخرجه بطبيعة الحال ، هكذا أوامر المخرج.

---

(١) السابق.

لقد أفضنا كثيرا في هذه النقيطة ، نعود الآن أدراجنا إلى النقيطة التي تليها ، وهي :

٤- وفي كتابة الحركات العربية نهجت العربية نهجا وسطا ، إذ أدرجت الحركات الطوال في صلب الخط ، عبرت عنها بـ (واي) في حين تركت الحركات القصار تكتبها برموز ملحقة على الخط ، تحته أو فوقه عند الحاجة ، أو عندما نروم أمن اللبس ، أو نصف الراء - مثلا بالمفتوحة أو المضمومة أو المكسورة ، أو يقول : (فهم) بفتح الفاء ، وكسر الهاء ... الخ.

الكتابة في اللغة السيامية (التايلاندية) تستخدم شيئا شبيها بهذا ، بهذي اللغة ٢٢ حركة ، تكتب رموزها فوق الخط ، أو تحته ، أو تلحق به ، أو تكتب في صلب الخط ، ولعل لهذا تفصيلا في مكانه ، إن شاء الله.

على أي الأحوال فإن سلوك العربية تجاه الحركات القصار يختلف عنه مع الحركات الطوال ، كيف بالله عليك ؟ أنا أقول لك : الحركات القصار تتعاقب على الصوامت ، ويحل بعضها مكان بعض ، وهناك أمثلة من هذا النوع كثيرة ، لا حصر لها ، مثل :

- إبل : الهمزة مثلثة ، يمكن أن تكسر أو تفتح ، أو تضم.
- دئل [1] : مثلثة الدال ، بالفتح والكسر والضم.
- نمر : مثلثة النون.
- مأدبة : مثلثة الدال ، كلها مصدر ميمي.
- بيوت : بضم الباء وكسرها.
- المحشر : بفتح الشين وكسرها ، كلاهما اسم مكان.

(١) في الوسيط : (الدئل) الذئب.

- الزلزال : بكسر الزاي وفتحها.
- زكن يزكن من (الزّكن) أي العلم ، الماضي (زكن) بفتح الكاف وكسرها.

يتضح مما سبق أن العربية تسمح أن تحل حركة قصيرة مكان أخرى ، ربما لأسباب لهجية أو غيرها ، أكثر مما تسمح في الحركات الطوال ، التي وجدت فيها أمثلة أقل ، ربما لأن الحركة الأطول أكثر وضوحا في السمع من الحركات القصار ، ولذا وجدت أمثلة أقل - على الأقل إلى الآن - في تبادل الحركات الطوال ، مثل :

- صحارى / صحاري ، بياء مد في الآخر ، أو ألف مد.
- عذارى / عذاري ، ألف مد بعد الراء ، أو ياء مد.
- جبوت الخراج أجبي بالكسرة الطويلة ، أو : أجبو بالضمة الطويلة.
- يا غلامي / يا غلاما.
- يا أسفا / يا أسفي.

لنا عود إلى هذي النقيطة عند الحديث عن تبادل الحركات الطوال في القافية والفواصل القرآنية ، سيما تبادل الكسرة الطويلة مع الضمة الطويلة.

والآن ننتقل إلى المادة ٢٦ من دستور العربية ، بعد أن فرغنا من تفصيل شرحنا للمادة ٢٥ ، والآن حان الانتقال.

المادة السادسة والعشرون
{٢٦}

صوامت العربية ٢٦ صامتا ، تمتاز بخصائص تختلف على اللغات الأخر ، ليس فيها صوامت مزدوجة ولا شفطية ، عناقيدها وتتابعاتها مرنة ، تسعف المتكلم والكاتب ، كما تحدث المماثلة والتأثير المتبادل بين صوامت لغتنا ، ولكن كثيرا من صوامت لغتنا لا نجده في غيرها.

بعد أن انتهينا وفرغنا من الحديث عن الحركات ، جاء دور الصوامت العربية مع ضرورة الإشارة إلى أننا نتحدث عن أصوات العربية كما نجدها في قراءة المصريين المجودين برواية حفص عن عاصم ، أي العربية الفصحى كما وجدنا في رواية حفص حسب نطق القراء المصريين.

وعليه فلا دخل لنا باللهجات قديمة وحديثة ، ولا بالقراءات القرآنية الأخرى ، ولا بقراءة غير المصريين ، كما شرحنا وأفضنا في هذه النقطة ، فنذكر أن صوامت العربية في حدود هذا التوصيف ، هي :

٢٦ صامتا ، هي : (الهمزة ـ الباء ـ التاء ـ الثاء ـ الجيم ـ الحاء ـ الخاء ـ الدال ـ

الذال ـ الراء ـ الزاي ـ السين ـ الشين ـ الصاد ـ الضاد ـ الطاء ـ الظاء ـ العين ـ الغين ـ الفاء ـ القاف ـ الكاف ـ اللام ـ الميم ـ النون ـ الهاء) = ستة وعشرين صامتا بالتمام والكمال.

لم يبق من أصوات العربية غير صوتين اثنين ، هما الواو w والياء y ، وقد اخترنا تعبير سيبويه الذي وسمهما باللين ، فهما صوتان لينان ، وكلاهما صوت لين ، فما معنى ما سبق ؟ علماء الأصوات المحدثون يسمون ويصفون الصوتين بأنهما من (أنصاف الحركات) وأحيانا (أنصاف الصوامت) والاصطلاح الأول أشهر ، وإن كان كلا الوصفين صحيحين ، فنقول الواو w في مثل : (ولد ـ مولد ـ عَدْو) نصف حركة أو نصف صامت.

كذا الياء y في مثل : (يُسو ـ ضيْف ـ حيْ) هي نصف حركة ، أو نصف صامت ، حيث إن الصوتين (الواو ـ الياء) لهما جانبان ، جانب وظيفي ، وجانب صوتي نطقي ، فهما من الجانب الأول الوظيفي يقومان بوظيفة الصوامت ، كيف وكيف ؟ عندنا قاعدة تقول الكلمة العربية والمقطع العربي لا يبدأ أحدهما بحركة ، لا طويلة ، ولا قصيرة ، البداية في الكلمة والمقطع بالصامت ، وكذا بالصوت اللين ، واوا كان أو ياء ، كما وجدنا في : (ولد ـ يسر) أو : (تولد ـ تيسر).

هذا من ناحية الوظيفة والعمل ، أما من ناحية النطق ، فهما يشبهان الحركات كيف؟ الواو اللينة تشبه في نطقها الضمة الطويلة ، أو : (واو المد) ففي هذا الصوت الأخير يرتفع الجزء الخلفي من اللسان مع ضم الشفتين ، وهو ما يحدث مع الواو اللينة (نصف الحركة) وإن كان اللسان يرتفع أكثر مع الصوت اللين الواو ، فتضيق المسافة ما بين سقف الحنك وما بين الجزء الخلفي من اللسان ، في حين تبقى العناصر الأخرى في نطق الضمة ، وهي :

- اهتزاز الأوتار.
- ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان.
- ضم الشفتين.

وفي نطق الياء اللينة يحدث ويقع مثل ما يحدث في نطق الكسرة ، التي يرتفع الجزء الأمامي من اللسان ، مع انفراج شديد للشفتين ، واهتزاز الأوتار ، لكن الجزء المرتفع من اللسان يزيد في نطق الياء y عن الكسرة ، ومن ثم تزداد المسافة ضيقا بين اللسان في جزئه الأمامي وبين سقف الحنك ، وهنا تقل حرية مرور الهواء أو كميته عن الوضع في نطق الكسرة نفسها ، ولكن مع بقاء العناصر الأخرى :

- اهتزاز الأوتار.
- ارتفاع الجزء الأمامي من اللسان.
- انفراج الشفتين.

على أي الأحوال فإنه في نطق الصوتين الواو والياء حرية لمرور الهواء عند نطقهما ، هذا القدر من الحرية هو ما دعا سيبويه إلى وسمهما باللين ، أي هما صوتان لينان ، بسبب مرور كمية من الهواء لا بأس بها ، وإن كانت أقل منه في الضمة والكسرة ، ولذا افترقت الواو والياء في مثل : (وفد - موقد - عدْو) عن الضمة الطويلة في مثل : (قولوا - لم يكونوا - يسمو).

وكذا الشان في الفرق بين الياء في مثل : (يمن - هيئة - مَيْ) وبين الكسرة الطويلة في مثل : (بيعي - قيلي - يُرضي).

مع الأخذ في الاعتبار أن هذين الصوتين w - y يأتيان في جميع مواقع الكلمة في الأول في الأول والوسط الآخر ، في حين لا تأتي واو المد :u في نهاية الأسماء المعربة ، كما سيأتي.

كما لا ينسى القارئ أن الحركات كلها ، الحركات الست - لا توصف بترقيق ولا تفخيم ، وإنما هن تابعات للصامت قبلهن ، من ناحية الترقيق والتفخيم والإطباق - كما سبق - هي بعد (ص ض ط ظ) مطبقات بعد (ق غ ح) مفخمات ، بعد الصوامت الأخرى المرققة مرققات ، مثل : (ثائر - جوبه - سيرى - سَبَكَ - كُتُب - بئر).

أما الواو والياء اللينتان فهما مرققتان في جميع الأحوال ، لا يفخمان على الإطلاق في أي موقع من المواقع ألبته ألبته.

كما لا ننسى أن الحركات جميعا وأنصافها اللينين هي كلها أصوات مجهورة ، لا مهموس فيها ألبته ، في حين تجد الصوامت منقسمة بين مجهور ومهموس ، فالمهموس منها : (الهمزة - التاء - الثاء - الحاء - الخاء - السين - الشين - الصاد - الطاء - الفاء - القاف - الكاف - الهاء) = ١٣ صامتا ، نصفها تماما بتمام.

الباقيات مجهورات تماما بتمام : (الباء - الجيم - الدال - الذال - الراء - الزاي - الضاد - الظاء - العين - الغين - اللام - الميم - النون) = ١٣ صامتا مجهورا.

وفضلا عما سبق على أهميته فإن الصوامت العربية تتميز بما يلي :

١- لا توجد صوامت مركبة في الفصحى غير الجيم المركبة القرآنية المعطشة [d_3] باقي الصوامت ، هي :

- انفجارية : الهمزة - الباء - التاء - الدال - الضاد - الطاء - القاف - الكاف = ٨ صوامت.
- احتكاكية : الثاء - الحاء - الخاء - الذال - الزاي - السين - الشين - الصاد - الظاء - العين - الغين - الفاء - الهاء = ١٣ صامتا.
- متوسطة : لا انفجار فيها ولا احتكاك ، وهي : اللام - الميم - النون - الراء = ٤ صوامت.

صوت الجيم هذا بحاجة إلى بعض تفصيل ، إذ هو في قراءة القرآن الكريم هكذا مركب من انفجار واحتكاك ، وهكذا نجده أيضا في بعض اللهجات العربية المعاصرة ، في الريف المصري وبعض المحافظات مثل الشرقية وسيناء والصعيد ، وفي بعض الأقطار العربية.

ولا يصح أن ينطق إلا مركبا في قراءة القرآن ، لكن في غير القرآن يمكن أن يكون انفجاريا كالجيم القاهرية ، وكما تنطق في اليمن ، كما يمكن أن تنطق احتكاكية تماما ، كما تنطق في لبنان ، هكذا [ʒ].

وهكذا نجد في العربية الفصحى ثلاثة أنماط لنطق الجيم ، أو ثلاثة جيمات ، هي :

- الجيم المركبة [dʒ].
- الجيم القاهرية [g] الانفجارية.
- الجيم اللبنانية أ الشامية [ʒ] الاحتكاكية.

وكل يصح النطق به في الفصحى ، لكن في القرآن الكريم ينطق فقط بالأولى المركبة ، لكن في غير قراءة القرآن يمكن أن ننطق بها انفجارية قاهرية ، أو احتكاكية لبنانية.

وهناك نطقان آخران ، لكنهما لهجيان صرفان ، هما نطقها دالا ، كما في بعض مناطق جرجا في الصعيد المصري ، حيث تنطق (جرجا) دردا بدالين ، بدل الجيمين ، وقد سمعتها من بعض أبناء منطقة جرجا عندما خدمت في القوات المسلحة ١٩٧٧ - ١٩٧٩.

وهناك نطق آخر سمعت به للجيم ، لكن لم أسمعه من أحد ، وهو نطق لهجي محدود - على أي حال - وهو نطق الجيم زايا.

لكن ترى هل الجيم القاهرية الانفجارية هي الأصل أم المركبة القرآنية ؟ يقول علماء الأصوات إن الصوت الانفجاري يمكن أن يتحول إلى مركب ، وليس العكس ، يستبعدون أن يتحول المركب إلى انفجاري ، ولذا يفترض أن الجيم العربية في الأصل كانت انفجارية ، ثم تحولت إلى صوت مركب ، أي من انفجار إلى انفجار واحتكاك ، ثم إلى صوت احتكاكي صرف ، صريح صراح.

ولذا نفترض أن التطور سار بالشكل الآتي :

[g] ← [dʒ] ← [ʒ] وليس العكس.

والسؤال متى تحولت الجيم الانفجارية الأصل إلى الانفجارية - الاحتكاكية (القرآنية) ؟ ليس لدينا معلومات محددة قاطعة ، لكنني أتصور أن هذا حدث قبيل نزول القرآن الكريم ، وفي منطقة الحجاز ، أي في نهاية القرن السادس الميلادي ، أو بداية السابع على أكثر تقدير.

لقد ولد النور الهادي (ﷺ) في العشرين من أبريل عام ٥٧٠م ، في عام الفيل ، بعث بعد أربعين سنة بالتمام والكمال ، أي عام ٦١٠ م ، بعده ، أي بعد هذا التاريخ نزل - أو بدأ نزول - القرآن الكريم ، أي نهاية العقد الأول وبداية العقد الثاني من القرن السابع الميلادي.

خلاصة ما سبق أن العربية الفصحى ليس فيها غير صوت مركب واحد ، هو الجيم القرآنية (المعطشة) في حين نجد في غير العربية أكثر من صامت مركب ، ففي لغة الملايو صوتان مركبان ، هما المجهور / dʒ / ومهموسه [1] / ts / في حين نجد في اللغة الإيطالية ٤ صوامت مركبة ، هي :

---

(١) راجع كتابنا : (العربية في بلدان غير عربية) ص ٣٧٢ ، ٣٧٣.

[d_3] ومهموسها [ts] + [ts] [dz] ومهموسها [ts] أربعة صوامت مركبة بالتمام والكمال [1].

٢ـ لا توجد في العربية صوامت مزدوجة ، ولا شفطية ، كيف يا رعاك الله ؟ في غير العربية صوامت ، أو وحدات صوتية مزدوجة ، مكونة من أكثر من عنصر من الصوامت ، أو مكونة من أكثر من صوت واحد ، أو من صامت واحدة.

وبالمثال يتضح ويفهم المقال ، ففي لغة الهوسا في غرب القارة الإفريقية نجد صوامت مزدوجة ، كما في : [gw] + [kw] + [gy] + [gw] مثل : gwagwa بمعنى (بط) ولعل هذا مستوحى من صوت البط نفسه ، ففي لهجة المنيا جنوب القاهرة يطلقون عليه لفظة (بح) بكسر الباء ، ولعل هذا أيضا من الصوت الذي يصدره هذا الداجن.

هذا وقد فرقنا بين الصوامت المركبة والصوامت المزدوجة ، فقصرنا المصطلح الأول على الصوامت المركبة من انفجار واحتكاك ، في حين قصدنا بالمصطلح (الصوامت المزدوجة) الصامت المكون من عنصرين مختلفين ، كما في [gw] أو [gy].

أما الأصوات الشفطية ، فليس في صوامت العربية شيء منها ، لكن في غير العربية صوامت شفطية ؟ بالطبع نعم ، لكن اشرح للقارئ ـ لو سمحت ـ ما معنى الأصوات الشفطية ؟ أنا أقول لك : كل الأصوات الصامتة في العربية وفي معظم لغات العالم يخرج الهواء من الرئتين إلى القصبة الهوائية إلى الحنجرة ، ثم إلى خارج جهاز النطق من طريق الفم غالبا ـ ومن الأنف أحيانا ، أي أن معظم صوامت اللغات

(١) انظر كتابنا : (علم اللغة التطبيقي) ص١١٠.

هي نتيجة زفر - زفير - الهواء من داخل الجسم إلى خارجه ، من داخل الرئتين إلى خارجها.

قليل جدا من هذه الأصوات ، وأقل من الصوامت يأتي نطقها عن طريق شفط الهواء إلى داخل الجسم ، أو بالتحديد إلى داخل الرئتين ، من طريق جهاز النطق ، أو بواسطة جهاز النطق.

المثال المثال يرحمك الله ؟ عندنا في العربية بعض هذه الأصوات الشفطية هي ليست وحدات صوتية ، ليست من الصوامت بكل توكيد ، لكنها موجودة في العربية بكل توكيد ، منها :

- عندنا صوت شفطي شفوي مهموس ، يشفط عن طريق الشفتين ، يعبر به عن شدة الإعجاب ، يشبه شفط نفس الدخان عند شرب السجاير ، أو غيره من أنواع الدخان.
- هناك صوت شفطي من منطقة الطاء العربية نعبر به في مصر عن النفي وعدم الرضا ، أو عن التحذير.
- صوت شفطي قريب من منطقة الجيم القاهرية يحث به الحيوان على النشاط والسرعة ، خاصة الحمار والحصان.
- عندنا هاء شفطية نعبر بها عن شدة الاندهاش والمفاجأة ، خاصة لدى النساء.

عندما كنت في نيجيريا - ١٩٨٢ - ١٩٨٤ كنت أسمع من زميلي النيجيري - وهو من قبائل الهوسا - هذه الهاء الشفطية - كثيرا ، لقد تصورت في البداية أنها حركة لا إرادية لديه ، لا يستطيع التحكم بها ، لكن اتضح أن هذا الصوت يعبر به الزميل عن الموافقة.

على أي الأحوال فإننا إذا قلنا هذه هاء شفطية ، هذا معناه أنها النظير الشفطي للهاء ، أي تتفق مع الهاء في كل شيء ، في المخرج وكل الصفات لكنهما تختلفان في أن الهاء يخرج الهواء عند نطقها ، في حين تجد الهاء الشفطية يشفط الهواء ، يشهق ، ولا يزفر ، يأتي عن طريق الشهيق وليس من طريق الزفير ، كما نجد في الصوامت الزفيرية المعتادة ، هذا تقريب وتوضيح للصوت الشفطي المشهوق ونظيره غير الشفطي ، أو المزفور.

فهل نجد صوامت شفطية في بعض اللغات ، أي وحدات صوتية في نظام الصوامت لديها ؟ نعم ، فما هن تلك اللغات ؟ إنها لغات الخوسا والبانتو في إفريقية والحق إن موطن هذه الأصوات الشفطية هو إفريقية الجنوبية ، وإن كان هذا التأثير قد انتقل إلى بعض اللغات في وسط أمريكا وجنوبها عند الهنود الحمر.

ذكر لي أحد طلابي في نيجيريا أنه سمع بعض هذه الأصوات الشفطية في بعض الأغنيات ، ولكننا لم نتمكن من سماعها.

فهل يمكن القول أيضا بأن تأثير العربية في نظام الحركات الثلاثي :

u i

a

انتقل إلى لغة الإسكيمو في جزيرة الأرض الخضراء شمال شرق كندا ، هل يمكن أن نفترض هذا ؟ مسألة تحتاج إلى بحث في مكانه ، وفي وقته وأوانه.

٣- على أي الأحوال فإن العربية تخلو من بعض الصوامت التي نجدها في اللغات الأخرى ، مثل الباء المهموسة [p] والسبب في هذا - في رأينا - هو القلقلة التي حافظت على جهر الباء العربية [b] فلم تتحول إلى نظيرها المهموس.

كما تخلو العربية من الفاء المجهورة [v] الفاء العربية مهموسة ، ولا نظير مجهور لها.

٤- الوقفة الحنجرية (الهمزة) في العربية إحدى صوامت العربية المهموسة ، يأتي في بداية الأبجدية العربية (أبجد - هوز - حطي - كلمن ...) وفي ترتيب نصر بن عاصم الأبتثي جاءت أيضا بدء الحروف العربية في ترتيبها الأبتثي ، أي : (ا ب ت ث ج ح خ د ذ ...) الخ.

وعندما اختيرت الألف تعبيرا عن الفتحة الطويلة :a أصبحت رمزا لشيئين مختلفين ، الوقفة الحنجرية ، أو ما سُمي بعد ذلك بالهمزة ، هذا بالأصالة وفي الأصل ، والثاني الفتحة الطويلة (ألف المد) وهنا نشأت إشكالية حقيقية ، رمز واحد أو حرف واحد لصوتين مختلفين ، هما الوقفة الحنجرية ، إضافة إلى الحركة الطويلة :a ، وهنا حل الخليل الإشكالية باختراع رأس العين اختصار قطع ليميز ألف المد عن الوقفة الحنجرية ، كانت (فاس) تعني (فأس) وتعني أيضا (فاس).

بعد تعديل الخليل أصبح هناك (فاس) و (فأس) على ما هو مفصل في رسم الهمزة في العربية [1].

على أي الأحوال فإن الهمزة العربية وحدة صوتية ضمن صوامت العربية المهموسة ، هذه الهمزة أو الوقفة الحنجرية هي موجودة أيضا في اللغات الأخرى ، لكنها ربما لا تكون وحدة صوتية ، بل هي صوت موقعي ، كما في لغة الملايو مثلا.

٥- استخدمت العربية أوسع مساحة على جهاز النطق ، وبشكل يختلف عن كثير من اللغات ، يقول العلامة العقاد : (العرب تباينوا أول ما تباينوا في نطق بعض

---

(١) راجع دراستنا : (القول الفصل في رسم همزتي القطع والوصل ...) القاهرة ، ٢٠٠٨.

الأصوات ـ كما سلف عنهم ـ لكنهم اتفقوا جميعا في شيء مهم ، هو استخدام أصوات الحلق ع ح) وفي استخدام الأصوات المفخمة على الجزء الخلفي جدا من اللسان ، والخلفي جدا في سقف الحنك ، بل أعمق من الحنك حيث اللهاة ، فكانت مفخمات العربية الثلاثة : (ق خ غ) من الصوامت المتفردة في لغات العالم قلما نجد بعضها في هذه اللغة أو تلك ، ناهيك عن اجتماعها كلها في لغة واحدة ، خاصة في اللغات الحديثة ، مثل الأوربية ، فهذا الثلاثي (ق خ غ) لا نجدها في الإنجليزية أو الفرنسية ، وفي بعض اللغات التي نعرفها.

الأصوات المطبقة الأربعة (ص ض ط ظ) هي الأخرى لا نجدها بسهولة في اللغات الأخر ، تلك الأصوات : (ع ح ق غ ح ص ض ط ظ) التي : (أهملت في كثير من لغات العالم ، ويعلل هذا بأن الجو والمناخ ييسر للعربي أن يفتح صدره للهواء ، ولا يتيسر هذا لأبناء المناطق الباردة ، كما أن العربي كان يحتاج إلى النداء في الصحراء المتسعة ، مما لا يحتاج إليه سكان المدن والأودية المتجاورة) [١].

ويضيف العقاد : (إن بعض مخارج الأصوات التي تشبه القاف والخاء والغين ربما كانت مألوفة في مسامع رعاء الإبل والشاء الذين استمعوا إلى أصوات تيك المخلوقات ، فضلا عن أصوات السباع والوحوش في الفلوات والبرية [٢]).

٦ـ ومع هذا هناك صوامت يكثر جريانها واستعمالها في العربية عن غيرها كيف ؟ تماما كما قلنا عن الحركات ، بعضها أشد شيوعا من غير ، ذكرنا الفتحة ـ ثم الكسرة ثم الضمة ، ثم فسرنا السبب في شيوع كل وعدم شيوع الأخر ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الحركات القصار أكثر انتشارا وشيوعا من نظائرهن الطوال.

---

(١) انظر كتابنا : (علم اللغة التطبيقي ...) ص٩٨ ، القاهرة ٢٠٠٦.
(٢) راجع كتاب اللغة الشاعرة ، بتصرف ، ص٤١ ، ٤٢.

لكن نترك مسألة شيوع بعض الصوامت عن بعضها ـ مؤقتا ـ إلى مكان آخر في دستور العربية.

٧ـ التتابعات الصوتية وعناقيد الصوامت في العربية مرنة جدا ، تستجيب لتتابعات المتكلم وحاجاته ، كيف وأين ؟ إن هذا ما نجده فيما يسمى (القلب المكاني) أو ما سماه الدكتور إبراهيم أنيس ـ رحمه الله ـ مسطرة اللغوي ، إذ يرى أن القلب المكاني يحدث بسبب ركون المتكلم إلى التتابعات الصوتية الشائعة لديه بدل التتابعات الموجودة في الكلمة ، هذه الظاهرة التي نجدها لدى العامة من غير المثقفين ثقافة عربية ولدى الأطفال أيضا.

ويمكن الرجوع إلى تفصيل هذه المسألة في رسالتي الماجستير والدكتوراه (قراءة المدينة ...) كلية دار العلوم ١٩٧٧م ، (قراءة الأربعة الشواذ ...) دار العلوم ١٩٨٣م.

٨ـ كما تمتاز صوامت العربية بأعلى درجة من درجات الصهر sandhi من الصعب والنادر أن نجدها في أية لغة من اللغات ، حيث التفاعل بين الصوامت يبلغ قمته عندنا في العربية.

ومعنى (الصهر) تغيير صوتي يصيب الكلمة في موقع نحوي معين ، مثل : don't ← do not ، أو بمعنى آخر تغيير يصيب أصوات الكلمة ، سيما الصوامت وهو نوعان ، داخلي أي داخل الكلمة ، وخارجي أي خارج الكلمة ، أو على حدودها وتخومها [1] ، مثال الصهر الخارجي الإعراب والتنوين فإنهما نهاية الكلمة ، وهما من خصائص الوصل ، لا الوقف ، ففي الوقف لا إعراب ولا تنوين ألبته.

---

(١) راجع : اللهجة المغربية في هولندة ، الاكتساب والفقدان ، ترجمة د. أحمد أبو الخير ـ د. أحمد فريد ، مقدمة المترجمين ، ص٢٨ ، القاهرة ٢٠٠٧.

ومثال الصهر الداخلي الإخفاء الشفوي في القرآن الكريم ، كما في مثل : (الأنباء - أنبئهم) تتحول النون في كلا المثالين إلى ميم بسبب تأثرها بالباء بعدها ، ثم تتحول هذه الميم الصريحة إلى ميم مخفاة ، أي مع فتح قليل جدا للشفتين ، إذن فالفرق بين الميم الصريحة والمخفاة إخفاء شفويا هو أن الشفتين حال نطق الميم مغلقتان تماما تماما ، أما في حالة الإخفاء الشفوي فإن الشفتين تفتحان فتحا خفيفا ، كما أوضحنا.

ويشتمل الصهر على المماثلة والمخالفة ، فمن المماثلة ما نجده في العربية من ظاهرة الإدغام التي تحتل مساحة كبيرة جدا جدا في لغتنا العربية ، ومن أشهر أمثلته :

- إدغام لام التعريف فيما يأتي بعدها من صوامت ، فيما يسمى باللام الشمسية ، أي اللام التي تدغم فيما بعدها ، كما تدغم اللام في الشين في كلمة (الشمس) فمثال الشمسية :
- السراط.
- الشباك.
- النافذة.

أما اللام إذا لم تدغم فإنها تسمى اللام القمرية ، أي اللام التي تظهر ولا تدغم فيما بعدها ، مثل اللام في كلمة (القمر) ونجدها أيضا في مثل : (الباب - الميثاق - الفؤاد - الخراج - الأنهار) ... الخ.

ب- أحكام النون الساكنة والتنوين ، وهما يظهران قبل الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، كما في (ينأون - ينهون - أنعام - أنحاء - من غير - من خير) ... الخ.

وتدغم إدغاما كاملا في اللام والميم والراء والنون (ألاّ - مما + من ربهم) في حين تدغم إدغاما ناقصا في الواو والياء اللينين (من يوم - من وال) وتخفى قبل باقي الصوامت ، مثل (أنقض - أنكر - ينسى - ينجى ...).

أحكام الإدغام تأخذ مساحة كبيرة جدا في مصادر التجويد والقراءات القرآنية ، حيث تفصل تيك المصادر تفصيلا أحكام الإدغام والإظهار في كل قراءة ورواية ، ونعطي القارئ بعض أمثلة :

- إدغام المثلين ، كما في (لذهب بسمعهم - الرحيم ملك - فيه هدى) حيث أدغمت الباء في الباء ، والميم في الميم ، وأخيرا الهاء في الهاء ، برغم أن الصامت الأول متحرك ، وليس ساكنا.
- وفي غير المتماثلين ، أي في المتجانسين (اتفقا مخرجا واختلفا صفة ، أو المتقاربين (تقاربا مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة) مثال المتجانسين كالدال والتاء أو كالتاء والطاء ، ومثال المتقاربين مثل اللام والراء ، فقد أدغمت الفاء في عشرة صوامت (ث ج ذ ز س ش ص ض ط ظ) والثاء أدغمت في (ت ذ س ش ض) [1] على ما هو مفصل في كتب القراءات القرآنية والتجويد.

نعود إلى مصطلح (الصهر) لنشير إلى أنه يتوزع على المماثلة ، كما رأينا في ظاهرتي الإدغام والإظهار ، وعلى المخالفة أيضا ، مثال الأخيرة - أي المخالفة - ألف المقصور الثلاثي في مثل (ربا - شطا) تتحول عند النسب إلى واو ، حتى تتناسب مع ياء النسب المشددة بعد ، فتقول (ربوي - شطوي).

ومثل نصب ما جمع الألف والتاء بالكسرة بدل الفتحة (أنصفت المخلصات الممتازات المتفوقات) فالمفرد وجمع التكسير ينصبان بالفتحة ، كما هو المعروف

---

(١) راجع : الإتحاف للبنا الدمياطي ، ص٢٣ وقبلها.

المشهور ، ولكن المؤنث السالم ينصب بالكسرة حتى تخالف الفتحة الطويلة قبلها ، أو حتى تنسجم معها بالمخالفة ، وليس بالمماثلة ، فتأمل !!.

تأمّل : الانسجام أو الصهر يكون أحيانا بالمماثلة ، كما في الإدغام ، وأحيانا يكون هذا الانسجام بالمخالفة ، كما في الأمثلة السابقة ، تماما كما يميل الإنسان إلى المخالفة بين الألوان والملابس ، ويعتبر هذا نوعا من الانسجام ، وفي كثير من الأحيان يميل إلى المماثلة أو المشابهة بين الألوان المتقاربة ، ويعتبر هذا نوعا من الانسجام والاتفاق.

والآن انتهى حديثنا عن الصوامت ، أو بمعنى آخر عن الوحدات الرئيسة في العربية ، وهي :

- ٦ حركات : الفتحة والكسرة والضمة + الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة والضمة الطويلة.
- أصوات اللين : أو (أنصاف الحركات) الواو w والياء y.
- الصوامت : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ.

٣٤ صوتا بالتمام والكمال ، أي ٣٤ وحدة صوتية رئيسة ، والآن ننتقل إلى المقاطع في المادة التالية.

المادة السابعة والعشرون
{٢٧}

مقاطع العربية ستة مقاطع ، هي : ص ح ، ص ح ح ، ص ح ص ، ص ح ص ص ، ص ح ح ص ، ص ح ح ص ص ، مقاطع العربية لها خصائص مميزة ، تختلف عن غيرها من اللغات ، كما لا يوجد وحدات هامشية في لغتنا العربية.

في أحد المؤتمرات بجامعة عين شمس القاهرية قال أحد شباب الباحثين في علم اللغة إن مقاطع العربية خمسة ، فقلت هي ستة ، ليست خمسة ، وكان هذا بحضور اثنين من مشيخة علم اللغة في مصر ، أو كما يقول اللبنانيون من القبضايات وفتوات التخصص ، لا أحد منهما رد ولا صد ، رحمة الله على أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ، في مناقشتي للدكتوراه قال أحد المناقشين : إن الفرق بين الحركة الطويلة وبين الحركة القصيرة يتعدى الزمن إلى أبعد من ذلك ، وكرر هذي العبارة مرات ، فسأله د. رمضان : ما الفرق بين الحركات الطوال والقصار غير الزمن ؟ ولكن المناقش ما أجاب ، وكان كلام د. رمضان : نحن نريد أن نستفيد وأن نفهم.

ثم اتضح أن ذياك المناقش قرأ في كتاب (دراسة الصوت اللغوي[1]) للمرحوم الدكتور أحمد مختار ذكر أن الحركات القصار يمكن أن تختلف في موقع اللسان عن الموقع في الحركات الطوال ، وهذا أمر وارد ممكن ، ولكن المناقش كبرّ المواضيع وشقشق الكلام وكأني وقعت في إحدى المنكرات ، نسأل الله السلامة.

هذا الشاب المتحدث عن المقاطع كان يحسب خطأ أن المقاطع خمسة وليست ستة ، فإن كثيرا من مشيخته يرون ذات الرأي ، ولكني أضفت في رسالتي للدكتوراه أن المقاطع ستة ، وليست خمسة ، بعض مشيخة علم اللغة نقل ما قلت وما أضفت ، لكنه بطبيعة الحال لم يشر إلى ما قلت.

المقطع الذي أضفته هو ص ح ح ص ص ، ولكن مقاطع العربية الستة بالتأكيد لها خصائص متفردة عن غيرها من مقاطع اللغات في العالم ، كما يلي :

١- لا يتكون المقطع العربي من عنصر واحد ، صامتا أو حركة ألبته ، إنما يتكون المقطع في لغتنا - على الأقل - من عنصرين ، ولا يزيد عن ٤ عناصر مهما كان الأمر.

٢- لا يبدأ المقطع العربي - ولا الكلمة في العربية - بحركة طويلة أو قصيرة كما لا يبدأ بصامتين متجاورين ، في نهاية المقطع يأتي الصامتان المتجاوران مثل (بَدْرْ) عند الوقف فقط ، أي : badr.

كذا ينتهي المقطع بحركة طويلة أو قصيرة ، وعليه فالمقاطع نوعان ، مقاطع مفتوحة ، تنتهي بحركة قصيرة أو طويلة ، مثال المقطع القصير ، المقاطع الثلاثة في الماضي (كَتَبَ) ومثال المقطع المفتوح بحركة طويلة (ما - لا).

---

(1) راجع : ص ٢٨٢ ، ٢٨٣.

المقاطع المغلقة ٤ مقاطع :

- ص ح ص : مثل (قمْ - فلْ).
- ص ح ص ص : كما في (بدرْ - شمعْ) عند الوقف.
- ص ح ح ص : مثل (كافْ - لامْ) بسكون الفاء واللام.
- ص ح ح ص ص : وهو المقطع الذي أضفته ، الذي نجده في مضعف الآخر عند الوقف عليه ، إذ الصامت المشدد من الناحية الوظيفية صامتان ؛ الأول ساكن ، والثاني متحرك ، هذا الثاني عند الوقف يسكن أيضا ، فإذا كان قبل الصامتين حركة طويلة تكون المقطع المذكور ص ح ح ص ص ، كما في (ضارّ) ḍa:rrun عند الوصل ، تتحول عند الوقف إلى ḍa:rr .

٣- في الصرف العربي يتحول المقطع الطويل المغلق إلى قصير الحركة مغلق ، ولهذا أمثلة لا تحصى ولا تعد في العربية مثل :

- الأمر والمضارع المجزوم من الأجوف ، لاحظ (كُون) بحركة طويلة تنكمش الحركة لتصبح قصيرة هكذا (كُنْ) وكذا مضارعة (يكون) يصبح (لم يكُنْ) وهكذا.
- المعتل الآخر ، المنتهي بالحركة الطويلة إذا أسند إلى واو الجماعة - مثلا - انكمشت الحركة الطويلة إلى النظير القصير لها ، مثل : (دعا) عند الإسناد إلى واو الجماعة تصبح (دعاوْ) تصبح عند الإسناد (دعَوْا) ومثل (سما ← سماوْ ← سمَوْا) لاحظ وتأمل : samaa → samaaw → samaw

ولكن ذياك المقطع لو بقى على حاله - كما نجد في القرآن الكريم - فإن الحركة الطويلة تزيد إلى ٣ أضعافها ، وهو ما نجده في :

- المد الحرفي المخفف ، نحو : (صادْ - قافْ) وإن كانت تكتب في المصحف : (ص - يس).

- المد الحرفي المثقل : بعد حرف المد أو الحركة الطويلة سكون شديد أو إدغام (شدة) نحو : (الـمّ) وتنطق : (ألف لام ميم) بعد ألف المد الميم المشددة.
- المد الكلمي المخفف : بعد حرف المد سكون خفيف ، أو مخفف ، في كلمة ، ليس في حرف كما سبق ، مثال الكلمي المخفف (محيايْ) في قراءة من أسكن الياء الأخيرة.
- المد الكلمي المثقل : مثل (ولا الضالين) اللام المشددة أو (المثقلة) قبلها ألف مد ، تزاد إلى ٣ أضعافها.

والمد أو زيادته في كل ما سبق واجب لدى القراء جميعا ، أما المد العارض للسكون أو للإدغام الكبير ، فقد اختلف القراء بين المد والتوسط والقصر ، مثال المد العارض للسكون (الرحيم - يؤمنون) عند الوقف تسكن الميم والنون وغيرهما إذ الوقف في النثر العربي وفي القرآن الكريم بالسكون ، دون تنوين ولا إعراب ، هذان يحجبان ويغيبان عند الوقف.

وهناك حالة ثانية للمد العارض للإدغام الكبير ، مثال (الرحيم ملك - الصافات صفا) حيث أدغمت الميم الأولى في كلمة (الرحيم) بعد تسكينها في الميم الثانية في بداية كلمة (ملك) فأصبحتا تنطقان هكذا : (الرحيمْ مَلك) أي [(1)] : (الرحيمَّلك).

إذن فزيادة الحركة الطويلة في زمنها ، أو المد في كل ما سبق سببه السكون أحد سببي المد - إذ الآخر الهمز - لقد حافظت العربية على الحركة الطويلة وحصنتها من الانكماش إلى حركة قصيرة بهذا الإجراء ، وهو المد ، أو زيادة زمن الحركة الطويلة ربما إلى ٣ أضعافها ، وإلا حدث لهذه الحركة الانكماش أو تحولت الحركة الطويلة والمقطع الطويل المغلق إلى حركة قصيرة ، والمقطع الطويل إلى قصير

(١) راجع : الإتحاف للبنا الدمياطي ، ص٤٠ وقبلها.

الحركة ، كما سبق.

٤ـ في المقطع العربي لا تتجاور حركتان مطلقا ، إلا في حالة استثنائية واحدة ، هي سقوط الصامت المسكين من بين الحركتين ، وهنا تلتقي الحركتان وتتواجهان ، وهذا ما يحدث في حالتين ثنتين :

أ- سقوط الصامت المهموس (الهمزة) أو (الوقفة الحنجرية) من بين الحركتين ، فتتجاورا وتتواجها ، كما في مثل : (أئنك) الهمزة الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ، فإذا سقطت الهمزة الثانية ، التقت الحركة الأولى (الفتحة) على الهمزة الأولى ، و(الكسرة) التي كانت على الهمزة الثانية التي سقطت ، فأصبحت الفتحة والكسرة وجهاً لوجه ، تأمل هذه الكتابة الصوتية :

ʔaʔinnaka → ʔainnaka بسبب سقوط الهمزة

ب- الحالة الثانية حين يسقط الصامت الذي لا يستطيع غير العربي نطقه ، فالخاء والعين من الصوامت الصعبة على غير العرب ، فإن سقطت إحداهما ، تواجهت الحركتان والتقتا ، وقد سمعت مثل هذا النطق في نيجيريا ، في مثل (معلم - شيخ) في النطق العربي ، لكني سمعت بعض النيجيريين نطقها أمامي : (ملّم - شيو).

بما أن الكلمة الأولى بها عين ، لم يستطع الناطق أن يأتي بها ، وكانت اللام بعدها ساكنة ، فقد نطقها (ملّم) ميم مفتوحة بعدها لام مشددة مكسورة ثم ميم ساكنة في نهاية الكلمة ، بالكتابة الصوتية هكذا mallim بدون عين.

في الكلمة التالية التي نطقت في نيجيريا وسمعتها ʃiiuu، أي شين بعدها ياء مد أو كسرة طويلة ، وبجوارها الضمة الطويلة ، وهنا التقت الحركتان وتواجهتا هكذا ii + uu وهلم جرا.

هاتان حالتان ثنتان استثنائيتان ، تلتقي الحركة وتتواجه مع حركة أخرى في النظام المقطعي العربي ، في غيرهما لا تلتقي الحركتان مطلقا.

لكن تجب الإشارة إلى أن همزة بين بين موجودة في عديد من القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة ، لكنها ليست موجودة في الفصحى المعاصرة ، في غير قراءة القرآن الكريم ، مع الإقرار بأن وجودها في هذي القراءات يعني أنها كانت موجودة بشكل موكد في اللهجات العربية القديمة ، إلا أنها وبكل يقين ليست موجودة في رواية حفص عن عاصم ، وبما أننا نعتمد على هذي الرواية ، كما نجدها على ألسنة القراء المصريين المجودين ، فإننا نخرج هذه الحالة المستثناة من النظام المقطعي العربي ، وكذا النطق الآخر غير العربي ، لا يعتد به في النظام المقطعي في لغتنا.

لكن هذه الحالة أيضا من النادر جدا أن نجد أمثلة لها ، عدا مثال واحد أسمعه من بعض الممثلين المصريين ، عندما ينطقون كلمة (الحقيقة) الذائعة الشائعة في كثير من الأعمال الدرامية المصرية ، ويبدو أنه لكثرة الاستخدام فإن بعض الممثلين يمكن أن يسقط الهمزتين معا لتنطق الكلمة **ilhaiiah** وبطبيعة الحال هذا رأيي وتصوري ، فما رأي علماء العربية ؟؟.

وفي كل الأحوال هي حالة نادرة في العامية ، أو أكثر من نادرة ، لا وجود لها في الفصحى المعاصرة ، ولا في رواية حفص ، ولذا لا يعتد بها ، ولا يلتفت إليها.

٥- لا تزيد مقاطع الكلمة العربية بحال من الأحوال عن سبعة مقاطع ، مهما اتصل بها من سوابق ولواحق ، مثل (فسيكفيكهم - أنلزمكموها) نعم مقاطع سبعة في هذين المثالين ، إلا أن هذا النوع من الكلمات نادر في لغتنا ، إذ الكثرة الغالبة من الكلمات العربية لا تزيد مقاطعها عن أربعة.

٦- تميل العربية إلى المقاطع المغلقة ، التي تنتهي بصامت ساكن ، ويقل فيها توالي المقاطع المفتوحة ، وبخاصة القصيرة منها ، ولذا يبني الفعل المسند إلى تاء الفاعل ونا الدالة على الفاعلين ونون النسوة على السكون ، كيف ؟ أنا أقول لك :

- الماضي يسند إلى هذه الضمائر الثلاثة فيبنى على السكون بدل الفتح ، أو ينتهي بالسكون ، ليس الفتح ، قارن بين : (كَتبَ) مثلا ، هو مبني على الفتح فإذا أسند هذا الماضي إلى الضمائر المذكورة ، تحول من (كتبَت - كتبَنا كتَبَنَ) بفتح الباء في كل ، إلى إسكانها لتصبح (كتبْت - كتبْنا - كتبْن) كلها بسكون النون.

وهذا يعني أن مقاطع الفعل تحولت من ٤ مقاطع مفتوحة ، إلى ٣ فقط ، بإغلاق المقطع الثاني ، لاحظ أيها القارئ : katabtu ← katabatu

- هذا في الماضي ، أما المضارع والأمر فلا يسندان لا إلى تاء الفاعل ، ولا إلى نا الدالة على الفاعلين ، إنما يسندان فقط إلى نون النسوة ، دون الضميرين الآخرين ومن ثم يبنيان على السكون مع نون النسوة ، تقول (يكتب ← يكتبْن) بسكون الباء ، وفي الأمر (اكتبْن) بسكون الباء.

٧- المقاطع العربية الأكثر شيوعا في لغتنا ، هي الثلاثة (ص ح - ص ح ح - ص ح ص) أما الثلاثة الأخر (ص ح ح ص - ص ح ص ص - ص ح ح ص ص) فلا تكثر إلا في أواخر الكلمات ، أو حين الوقف ، أو الإدغام الكبير ، كما في (الرحيمْ مَلك) بإدغام الميم في الميم.

٨- مقاطع العربية واضحة شديدة الوضوح ، سهل التقاطها حتى لمن لا يعرف العربية ، ولذا انتشرت بسرعة بين غير متكلميها ، هي لغة القرآن أعدت على عين العناية الإلهية لهذه المهمة الجليلة.

لغة كالفرنسية أو الإنجليزية أو السيامية (التايلاندية) لا يسطيع المرء التقاط مقاطعها أو أصواتها إلا إذا تعلمها المرء ، لكن في العربية الأمر مختلف ، إذ يتفاعل السامع للقرآن وللفصحى - أو يمكن أن يتفاعل - حتى لو لم يك يعرف هذه اللغة ، أو تعلم منها شيئا.

مثال واحد نذكره هنا ، ونذكر به القارئ الكريم ، إذ يحكى أن : السفير هارت الذي خلفه المستشرق هيوم هوراني سفيرا للولايات المتحدة في الرياض حيث عُين هارت مساعدا لوزير الخارجية الأمريكية ، يقول عن خلفه ، هيوم هوران يتكلم العربية بطلاقة ، بعد أن أقسم اليمين كسفير بدأ ينشد أبياتا من الشعر العربي ، يحفظها عن ظهر قلب ، لست أعرف ما هي ؟ لكنها كانت عذبة في الأسماع.

بطبيعة الحال هارت لم يك يعرف العربية ، لكنه تذوق ما سمع من الشعر الذي أنشده هوران ، الذي صدق في قولته المهمة : (إن العربية من أجمل ما تسمعه الأذن في إيقاع).

وقائل هذه الكلمة كان يعرف إلى جانب العربية - ولغته الإنجليزية - لغات أخر مثل : (العبرية والألمانية والفرنسية والأسبانية) ومن ثم تأتي قيمة كلامه ووصفه للعربية ، لقد قدم لها أعظم إطراء حظيت به العربية [1].

٩- كما أنه لا تبدأ الكلمة العربية - ولا المقطع - بحركة طويلة ولا قصيرة ، ولا بصامتين متجاورين ، دون فاصل من حركة بينهما ، فإن الوقف لا يكون في الكلمة العربية أو الجملة العربية إلا بالصامت الساكن ، أو الحركة العربية الطويلة فقط ، إذ لا يوقف على حركة قصيرة ألبته.

---

(١) راجع : (دستور اللغة العربية) الحلقة الثانية ، ص١٤٤ وقبلها.

هذا في النثر العربي ، أما الشعر فإنه يجوز الوقف فيه بالحركة طويلة أو قصيرة فيما يسمى بالقوافي المطلقة ، كما يوقف على الصامت الساكن فيما يسمى بالقوافي المقيدة ، ولهذا تفصيل يأتي في مكانه عند الحديث عن القافية والعروض.

فإذا بدأت الكلمة بصامت ساكن جيء بما يسمى بهمزة الوصل عند بدء الكلام إلا أن هذه الهمزة تسقط في درج الكلام ، كما فصلنا قبلا.

معنى هذا أنه إذا تجاوز الصامتان ، دون فاصل بينهما من حركة ، كما في (قتْل) جيء بهمزة الوصل في بدء الكلام ، لكنها في وسط الكلام ودرجة تسقط إذ تصبح ولا ضرورة لها ولا حاجة ، في بدء الكلام ʔuqtul في وسطه : قلت له اقتل ، بدون هذه الهمزة المجتلبة في بدء الكلام فقط ، كما هو المألوف المعروف بين مثقفي العربية.

١٠- ليس في العربية وحدات صوتية هامشية كالنبر والتنغيم ، كيف بالله عليك ؟

أنا أقول لك :

١- النبر : هو الضغط على بعض مقاطع الكلمة ، واللغات في هذا على ضربين اثنين ، الأول : النبر فيه له قانون محدد ، لكنه - أي النبر - ليس وحدة صوتية - أي هامشية - مثل اللغة الفرنسية التي تنبر المقطع الأخير من الكلمة ، كما نجد في اسم الرئيس الفرنسي الحالي (ساركوزي) بالنبر على المقطع الأخير (زي) لكن في نطق بعض العامة المصريين ينبر المقطع الذي قبله ، أي (كو) تأثرا بالنظام العربي في النبر.

اللغة الماليزية [1] تنبر المقطع الثاني من الكلمة ، وكذا لغة الهوسا في غرب القارة الإفريقية ، ففي لغة الملايو (الماليزية) النبر على المقطع الثاني ، هم يقولون bagus بمعنى (جيد) النبر على المقطع الثاني gus في حين نجد بعض المصريين ينطقها بنبر المقطع الأول ba تأثرا بنظام النبر العربي.

وكذا في لغة الهوسا النبر على المقطع الثاني مثل مدينة (كنو) في شمال نيجيريا ، كان المصريون ينطقونها كما ينطقون الفعل الماضي (كانوا) في العربية ، وكان معنا عامل في قسم اللغة العربية (١٩٨٣ - ١٩٨٤) اسمه (جنبو) ينطقه النيجيريون بالضغط على المقطع الثاني (بو) في حين كان المصريون ينطقون كما في العامية (جنبو) بنبر المقطع الأول وليس الثاني ، أي (جن).

النبر إذن في لغات لا يغير من معنى الكلمة ، أي ليس وحدة صوتية هامشية ، كما في العربية والفرنسية والملايو والهوسا ، في حين تجده وحدة صوتية أي يغير من معنى الكلمة ، كما في الإنجليزية مثلا ، في نحو increase - export إن كان النبر على المقطع الأول فالكلمة اسم ، فإن جاء على المقطع الثاني كانت فعلا ، وليس اسما ، ومن هنا يمكن اعتبار النبر في الإنجليزية وحدة صوتية ، وإن تك ثانوية ، أو بتعبير آخر (غير تركيبية) وكذا في اللغة الصينية.

التنغيم هو الآخر ليس وحدة صوتية لا في العربية ، ولا في الملايو ، إنه يغير من معاني الكلمة في لغات آخر ، مثل : (الصينية - السيامية - الكمبودية - اللاوسية) إلا أنه في الملايو والعربية من عناصر الجملة فقط ، أي يظهر في الجملة ، وإن كان ليس وحدة صوتية ثانوية في كلتا اللغتين.

---

(١) الماليزية أي لغة الملايو في ماليزيا والتي تأثرت بلغة المحتل الإنجليزية ، أما لغة الملايو في إندونيسيا فتسمى : بهاسا إندونيسيا ، اللغة الإندونيسية التي تأثرت بلغة المحتل الهولندي ، كما نجد لغة الملايو في جنوب تايلاند ، وفي سلطنة بروناي وجنوب تايلاند والفلبين ، وفي سنغافورة أيضا.

وقد نصحت طلابي هنا في جامعة جالا ، وفيهم صينيون وسياميون وكمبوديون ، ومن لاوس وفيتنام بتقديم دراسات عن لغاتهم - على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والأسلوبي ... الخ - باللغة العربية لمقارنة تلكم اللغات بالعربية لخدمة متعلمي العربية من هؤلاء الأقوام ، حيث لا توجد دراسات وكتابات عن هذي اللغات بالعربية أو بغيرها ، على الأقل بالشكل الكافي المناسب ، أما في لغة الملايو فعندنا - وبالعربية - دراسات كافية ومناسبة ، بل ووافية.

فنحن هنا في هذه المنطقة وفي هذه الجامعة أقدر من يكتب ويبحث في لغات تيك المنطقة من جنوب شرق آسيا ، حيث إن طلابنا من أبناء هذي اللغات ، وهم يجيدون العربية أيضا.

الفصل الثالث

الصرف العربي

نظام الكلمة

المادة الثامنة والعشرون
{٢٨}

الصرف العربي نظام الكلمة ، ولذا يجب أن تخرج موضوعات أقحمت إقحاما في الصرف مثل الإمالة والإعلال والإبدال والوقف ، هي قضايا صوتية أو لهجية لا يفيد وضعها في الصرف العربي.

الصرف العربي ، وما أدراك ما الصرف ؟! وجع في ذهن متعلم العربية وأشياء لا تفهم ، بل تحفظ كما هي ، إلى حين الامتحان ، ثم تنسى للأبد فإن تذكرها أحد فللتندر والتفكه والطرافة.

كل هذا مخالف لحقيقة الأمر وجوهر الصرف ، كيف ؟ نبدأ الحكاية من البدء والبداية ، فنقول :

جاء في المعجم الوسيط [1] : (صرف) الأمر - بتضعيف الراء - دبره ووجهه ، ويقال : صرف الله الرياح ، وصرفه بمعنى بينه ، قال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ [2]) صرّف الألفاظ : اشتق بعضها من بعض ، والصرف : علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه ، ونأخذ الكلام هنا من نهاية الاقتباس ، فإذا كان

---

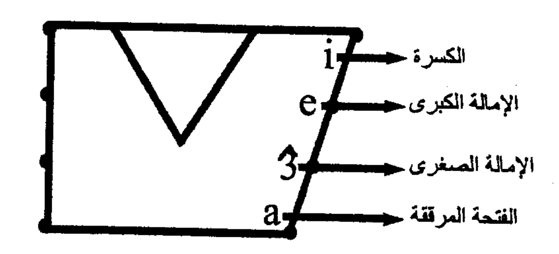
(١) ١ / ٥٢٣.
(٢) ٨٩ الإسراء.

الصرف علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه ، فإن الحروف تخرج على الفور ، لا اشتقاق لها ، ولا أبنية متعددة ، وإنما هي ثابتة على بناء واحد ، على شكل واحد ، لا يتغير من ماض إلى مضارع أو أمر - مثلا - لا يشتق منها مشتق ، كاسم الفاعل أو المفعول ... الخ ، على عكس الأفعال والأسماء ، ومن ثم فإن الصرف بما أنه العلم المختص - أو الذي به تعرف - أبنية الكلمات واشتقاقاتها فإنه يختص بالأفعال وبالأسماء ، أو بنظام الكلمة ، إن كانت اسما أو فعلا ، فإن كانت حرفا ثابتا ثبات البناء القوي المتين على الأرض ، فإن الصرف يتجاوزه إلى نظام الكلمة ، إن كانت اسما أو كانت فعلا ، ليس إلا.

وبما أننا نقول : (الصرف : نظام الكلمة) فعلا كانت أو اسما ، فإن بعض الموضوعات المقحمة في الصرف العربي ، والتي تشوش على هذا العلم ، وتجعل منها شيئا غير قابل للفهم والاستيعاب ، والإنسان عدو ما لا يفهم ، كما أن هذي المقحمات لا تفيد دارس العربية شيئا ، سواء أكان من العرب أو من غيرهم.

<u>وهذا تفصيل ما أجملنا ، وما أشرنا :</u>

<u>أولا - الإمالة</u> : ما هي الإمالة ؟ إنها إمالة ألف المد نحو ياء المد ، والفتحة نحو الكسرة ، ما فهمت من هذا شيئا يا طويل العمر ، أقول لك بأسلوب آخر ، هناك مقياس للحركة ، أية حركة ، في أية لغة من اللغات ، هذا المقياس هو نظرية عالم الأصوات الإنجليزي دانيال جونز في هذا الشكل المألوف :



عند نطق الكسرة العربية يرتفع الأمامي من اللسان ، مع انفراج الشفتين ، الفتحة طويلة ـ أو قصيرة ـ إذا كانت مرققة ينخفض اللسان في الجزء الأمامي منه ، فالفرق إذن بين الفتح وبين الكسر ، أن الأول حركة متسعة أمامية ، الشفتان في أدنى درجات الانفراج ، كما أن الجزء الأمامي من اللسان في أدنى درجات الانخفاض ، الكسر على العكس : حركة ضيقة أمامية ، الشفتان في قمة الانفراج ، أو في أعلى درجات الانفراج.

إذن الفتحة : أمامية كالكسرة تماما ، نقصد الفتحة المرققة ، لأن الفتحة إذا جاءت بعد (ق غ خ) كانت وسطى ، وإذا جاءت بعد (ص ض ط ظ) كانت خلفية ، مع تناقص درجة انفراج الشفتين ، إلى الاقتراب من وضع الضم في الحركات الخلفية.

الفتحة المرققة متسعة جدا ، الانفراج أقل ، الكسرة : ضيقة ، درجة الانفراج في الشفتين هي الأعلى ، الإمالة إذن : اقتراب الفتحة من الكسرة ، أو أن يكون شكل اللسان ، أو وضع اللسان على الخط ما بين الكسرة والفتحة ، الإمالة الكبرى تقترب من الكسرة ، الإمالة الصغرى قريبة من الفتحة ـ كما ترى في الشكل ـ مع ما يتبعه من درجة انفراج الشفتين ، وبما أن الإمالة الكبرى أقرب إلى الكسرة ، فإن انفراج الشفتين في درجة عالية قريبة من درجة الانفراج في الكسرة الخالصة ، لكن درجة الانفراج أقل من درجتها في الإمالة الكبرى فضلا عن الكسرة ، هي أقل ، لكنها لا تصل إلى درجتها في الفتحة الخالصة ، وهكذا.

لكن ترى يا فصيح اللسان هل نجد الإمالة الآن ، أهي في الفصحى أم اللهجات وفي اللهجات أهي في قديمها أم جديدها ؟ نعم هي موجودة في اللهجات العربية

الحديث منها والقديم ، ففي اللهجة المصرية الإمالة الشديدة نجدها في مثل : (فين[1] - ليه) هذه هي الإمالة الكبرى ، أما الصغرى فنجدها في لهجة المنيا - جنوب القاهرة - عندما ينطقون المثالين السابقين (فيـ - ليـ).

كما نجد الإمالة في اللهجة المصرية ، خاصة في الريف ، في إمالة ما قبل تاء التأنيث ، كما في (دقهلة - الشرقية - المدرسة) والإمالة هنا أوضح في اللهجة اللبنانية التي تتضح فيها قبل تاء التأنيث ، وتتضح اتضاحا ، مثل (بيروتية - لبنانية - طائفية) وفي اللهجة اللبنانية أيضا إمالة ألف المد في مثل : (لبنان - وائل) وغيرهما.

فهل كانت الإمالة - يا يرحمك الباري - في اللهجات القديمة ؟ هي كانت وكانت بكل توكيد وتوثيق ، كيف ؟ إن وجودها المكثف جدا في القراءات القرآنية ، صحيحها وشاذها ليشير إلى وجودها الموثق الموكد في لهجات العرب ، وقبل نزول القرآن الكريم.

فإن أحكام الإمالة تستغرق صفحات طويلات في مصادر القراءات القرآنية ومراجعها ، ففي الإتحاف للبنا الدمياطي - مثلا - ويقع في مجلد واحد ، خصص حوالي ٢٥ صفحة للإمالة.

لكن قلت : إن مرجعنا في الفصحى هو رواية حفص عن عاصم ، فما فيها من الإمالة يا فصيح القلم واللسان ؟ الحقيقة أن رواية حفص تكاد تتفرد بخلوها من شتى صفوف وأنواع الإمالات ، هي تخلو تماما ، تماما ؟ كلا : منها إمالة واحدة يتيمة جاءت في قول الله تعالى : (وَقَالَ : ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا [2]) الإمالة أتت بعد الراء في كلمة (مجريها) فقط ؟ فقط.

---

(١) فين = في أين ، أو أين - ليه = لماذا.
(٢) ٤١ هود.

ولذا فأنا نخرج الإمالة من الفصحى المعاصرة بما أننا نعتمد مرجعية رواية حفص عن عاصم ، لكن يبقى سؤال ، هو هل تدرس ظاهرة الإمالة ؟ نعم تدرس وتدرس ، لكن في إطار لهج ، ففي اللهجات الحديثة يمكن مثلا دراسة الإمالة في اللهجة ـ المصرية ، أو بشكل أكثر تحديدا في لهجة (محافظة المنيا) مثلا ، أو في لهجة محافظة دمياط ، أو محافظة الشرقية.

ويمكن أن تدرس في اللهجة اللبنانية ، أو في سورية المجاورة ، أو في إحدى محافظاتها ، وهلم هلم جرا.

كما يمكن أن تدرس في اللهجات العربية القديمة ، لهجة تميم مثلا ، أو إحدى القبائل في شرق الجزيرة أو شمالها ، أو تدرس تحت عَلَم إحدى القراءات القرآنية ، صحيحة أو شاذة ، كما ندرس الإمالة في رواية ورش عن نافع ، أو في قراءة أبي عمرو بن العلاء ، أو في غيرها من الروايات والقراءات.

هنا يكون الاتجاه صحيحا ، والخريطة دقيقة ، أما أن تدرس في موضوع الصرف فإن الطلاب ـ من العرب أو من غيرهم ـ لن يفيدوا شيئا ، بل على العكس سيزدادون نفورا وابتعادا عن العربية ودراستها.

سؤال آخر : هل يمكن أن تخضع الإمالة في اللهجات العربية وسائر القراءات إلى نظام واحد ، وقوانين عامة تجمعها كلها على صعيد واحد ؟ إن الممكن القول بسهولة إن الإمالة في كل لهجة يمكن أن تخضع لنظام واحد على صعيد هذه اللهجة وكذا في الرواية والقراءة ، شاذة أو صحيحة ، لكن إذا درسنا الإمالة في اللهجات العربية جميعها ـ قديمها وحديثها ـ والقراءات جميعا ـ صحيحها وشاذها ـ في هذه الحالة يمكن أن ننظر : هل هذي الأمشاج المشتتات غير المجتمعات يمكن أن نجد فيها قوانين جامعة أو قواعد راسخة ؟.

وإلى أن يتحقق هذا علينا بالتواضع وأن نقف عند حدود علمنا ، ندرس كل لهجة وقراءة ، فإذا فرغنا منها جميعا فإنه سيظهر لنا هل يخضع كل هذا لقوانين وقواعد متسقة أم لا ، هذا رأينا في هذه المسألة.

ثانيا - الإعلال والإبدال : الإعلال خاص بحروف العلة (واى) الواو w والياء y والحركات الطوال (ألف المد - واو المد - ياء المد) ولكن علماء العربية أقحموا عنصرا مضللا على هذه الثلاثة (واى) والذي كان له جانب كبير في التيه والاضطراب في علاج قضايا الصرف العربي ، إنه الهمزة العربية التي اعتبروها حرفا من حروف العلة.

لقد تأثروا بتصور أن الهمزة كثيرة التغير من (واى) إلى الهمزة ، والعكس صحيح ، وهذا خطأ كبير ، فقد تصوروا أن المفرد (خطيئة) جمعه (خطايا) توهموا أن الهمزة تحولت إلى ياء y ، وهذا خطأ ، إذ أن (خطيئة) مهموزة جمعها (خطائئ) بهمزتين ، كما قال أحد الداعين : (اللهم : اغفر لي خطائئى) أما (خطية) بدون همزة ألبته فجمعها (خطايا) ونظيره :

- قضية ← قضايا.
- مهية ← مهايا.
- مطية ← مطايا.

فأين الهمز هنا ، بل أين الإعلال من أصل أصله ؟ اللهم لا.

إن موقف القبائل العربية من الهمز - قديما - اختلف من قبيلة إلى أخرى ، بعضهم أحب الهمزة حتى حشرها وأقحمها فيما اسطاع من الكليمات واللفيظات ، وبعض كرهها حتى ما يأتي بها إلا عند الاضطرار الشديد والحاجة الماسة.

وبعض القبائل كان بين بين ، لا هو مع الهمز يقحمه في شتى كلامه ، ولا منه يفر وينفر ، فجاءت الألفاظ ، فيها وفيها ، في بعضها همز وفي غيرها لا همز.

وعليه فقط أحب أحد عشاق الهمز أن يجمع (خطيئة) على خطائئ ، بهمزتين في حين مالت القبيلة الأخرى إلى (خطية) و(خطايا) مبتعدة عن الهمز تماما تماما ، بعض العرب قال (جبريل - ميكال) وبعضهم همز في الكلمتين ، فقال (جبرائيل - ميكائيل).

مثال آخر ، في الإعلال يقولون : قال اسم الفاعل منها (قائل) و(باع) بائع ، إذن - يا سادة يا كرام - حدث للألف إعلال - تحولت ألف المد في كل إلى همزة ، كيف ؟ يشرحون ، وفي الشرح يفيضون ويسهبون.

والحقيقة أن الفعل (قال) أصله (قول) اسم الفاعل (قاول) كما نقول : ندم ← نادم ، علم ← عالم ، وكذا في (باع) أصله (بيَع) اسم الفاعل منه (بايع).

الفعل الواوي (قاول - صاوم - ضاوع [1]) بالواو ، والياني (بايع - قايل [2] - ضايع [3]) فأصبح لدينا نموذجان في اسم الفاعل ، أحدهما بالواو للواوي وآخر بالياء لليائي ، فأصبح لدينا مثلا : (قاول - بايع) وحدت العربية النموذج فاختارت الياء فقط ، وأهملت الواو ، فقد سبق أن الياء أمامية ، والواو خلفية ، وحركة الجزء الأمامي من اللسان أسهل من حركة الجزء الخلفي من اللسان ، ولذا مالت العربية إلى الياء اللينة ، ومالت عن الواو اللينة ، ورغبت عنها.

ومن هنا أصبح اسم الفاعل - واويا أو يائيا - كله بالياء فقط توحيدا للنموذج ،

---

(١) من ضاع يضوع ، أي ينتشر.
(٢) قال يقيل من القيلولة ، النوم وقت الظهيرة والراحة.
(٣) ضاع يضيع من الضياع.

ثم جاءت القبائل المحبة للهمز ، فهمزت الياء ، أو بمعنى أدق وضعت الهمزة مكان الياء ، كما تقول ـ مثلا ـ خطائئ ، ميكائيل ، جبرائيل ، في حين أبقت بعض القبائل على الياء ، كما حدث في اللهجات الحديثة التي تأتي باسم الفاعل يائيا في جميع الأحوال ، فنقول : صام ، عاد ، باع ، هام ← صايم ، عايد ، بايع ، هايم ، وهكذا.

لكن هل تدرس ظاهرة الإعلال ؟ نعم تدرس ، ولكن في إطار صوتي لهجي ، في إطار البحوث والدراسات ، لكن بعيدا عن تعليمها لطلاب العربية - خاصة للمبتدئين ـ وخارج إطار الصرف ، والصرف التعليمي.

هذا ما يمكن قوله عن الإعلال ، فماذا في الجعبة عن الإبدال ؟ الإبدال خاص بالصوامت أو (الحروف الصحيحة) في حين اختص الإعلال ـ كما سبق ـ بحروف العلة.

في شذا العرف للحملاوي : (وينفرد الإبدال في نحو : اصطبر واذكر) ففي المثال الأول تحولت التاء إلى طاء ، أو بمعنى آخر : فخمت التاء بسبب جوارها الصوت المطبق ، أي (الصاد).

وفي مثال (ادّكر) تحولت تاء (افتعل) إلى دال ، وكذا الحال عند مجاورة الدال والزاي ، نحو (ادَّان ـ ازدهر) وهكذا.

وفي صيغة (افتعل) من المثال ، أي ما كانت فاؤه واوا أو ياء لينتين ، سقطت الواو والياء ، وعوض عنهما بتضعيف التاء ، مثل : وصل ← اتصل ، يسر ← اتسر.

وهكذا نجد في صيغة (افتعل) ما يلي :

١- إذا جاورت التاء الصوامت المطبقة (ص ض ط ظ) أطبقت التاء ، أو فخمت ، فصارت طاء.

٢- إذا كانت فاء (افتعل) مجهورا من الصوامت الثلاثة (د ذ ز) أجهرت التاء ، فصارت دالا.

ولكن لماذا تم التغيير مع هذي الصوامت السبعة (ص ض ط ظ - ذ د ز) على وجه الخصوص ، دون غيرها ؟ السبب - يا رعاك مولاك - أن هذه الصوامت السبعة من نفس مخرج التاء ، أو بالقرب منه ، ومن ثم كان التأثر بها ، سواء من تاء إلى نظيرها المفخم (الطاء) أو من التاء إلى نظيرها المجهور الدال ، فالثلاثة الأخيرة (د ذ ز) كلها مجهورة ، ولذا أثرت جهرا في التاء فجعلته دالا ، كما أن الأربعة كلها (ص ض ط ظ) كلها صوامت مطبقة ، في أعلى درجات التفخيم ، كما أنها مفخمة في جميع الأحوال.

٣- وعندما تكون فاء الكلمة واوا لينة أو ياء لينة ، يسقط الصوت اللين واوا أو ياء :

- وضح ← اوتضح ← اتَّضح.
- يسر ← ايتسر ← اتَّسر.

عدلت العربية عن الصيغتين (اوتضح - ايتسر) سقطت الواو أو الياء ، عوض عن هذا السقوط بتضعيف التاء ، كما هو واضح ، ولا أرى أنه حدث إبدال ما بين الواو وما بين الياء والتاء ، إذ شتان شتان ما بين النوعين من الأصوات ، كيف ؟.

الواو والياء أصوات لينة ، أو أنصاف حركات ، في حين نجد التاء من بين صوامت العربية ، ولكي يحدث تبادل ما بين الصوامت ، لابد من صلة وقرابة ما بين البدل والمبدل منه ، كما وجدنا في تحول التاء إلى الطاء ، إذا الأخيرة النظير المطبق للتاء ، وفي تحول التاء إلى دال ، تحولت الأولى إلى نظيرها المجهور ، وهكذا.

وهكذا يدرس الإبدال - كما الإعلال - في إطار صوتي ، غير صرفي ، خاصة

الصرف التعليمي ، وفي المراحل الأولى من تعليم العربية ، إذ لا تبدو هذي الأشياء مفهومة أمام طلابنا ، بل وأكاد أقول أمام معلميهم.

ثالثا ـ الوقف : هي الأخرى قضية صوتية محضة لا شية فيها ، لكن هل تدرس ؟ نعم تدرس في حرم الأصوات بعيدا عن الصرف ، لقد استقر الأمر في الوقف في النثر العربي على الحركة الطويلة أو السكون قولا واحدا ، لا شية فيه ، إذ لا وقف في النثر على الحركة القصيرة مطلقا ، وإن صح هذا في الشعر على ما سيأتي.

كما أن ظاهرة الوقف يمكن أن تدرس في إطار تاريخي ، فالوقف بالروم والاختلاس والإشمام ، كلها قضايا تاريخية ، كان هذا النوع من الوقف موجودا في اللهجات العربية القديمة ، في العربية القديمة ، بدليل وجودها في القراءات القرآنية أو إمكانية وجودها على ما هو مفصل في كتب القراءات والتجويد.

لكنا نلحظ أن القراء المصريين المجودين برواية حفص عن عاصم ، يقفون بالسكون الخالص ، أو الحركة الطويلة ، فقط فقط ، لا روم ولا إشمام ولا اختلاس ، اللهم إلا الروم في آية يوسف (قالواْ : يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ...) ففي الفعل (تأمنا) النون مشددة مع إشارة للضم بالشفتين فقط ، هذا موضع الإشمام الوحيد في رواية حفص ، أما الروم والاختلاس ـ أي النطق ببعض الحركة القصيرة ـ أو النطق بها سريعة ، كأنها ⅓ أو ⅔ حركة ، فلا ألحظه في رواية حفص ، كما أن شيئا من هذا لم يعد موجودا في الفصحى المعاصرة في غير القرآن الكريم.

رابعا ـ التقاء الساكنين : كما سبق ، الحركتان الطويلتان لا تلتقيان إلا إذا سقطت الهمزة من بينهما ، أو ما يسمى بهمزة بين بين ، أو في نطق بعض من غير

العرب ، عندما يعجزون عن نطق صوامت العربية العصية الصعبة عليهم كما في (شيخو ← شيو) بياء مد بعدها واو مد خالصتين.

كما أشرنا إلى إمكانية التقاء صامتين ساكنين ، نهاية المقطع ، كما في (بذْر - كبْشْ) عند الوقف ، ومن ناحية أخرى تلتقي الحركة الطويلة - بعدها وليس قبلها - بالصامت الساكن ، كما في المقطع : (ص ح ح ص) والذي يمكن أن ينكمش إلى (ص ح ص) أو تمد الحركة إلى ثلاثة أضعافها كما في (قاف - لام ميم - آلآن) في المد الحرفي والكلمي المثقل والمخفف ... الخ.

قضية صوتية بامتياز ، تعالج في إطار الأصوات وحرمها ، بعيدا عن الصرف وبعيدا بعيدا جدا عن حرم الصرف التعليمي.

<u>خامسا - الإدغام ومخارج (الحروف) وصفاتها</u> : الإدغام مصدر أدغم ، أي أدخل ، تقول : أدغم اللجام في فم الدابة ، وأدغم المفتاح في الباب وأدغم (الحرف) في (الحرف) أي أدخله فيه ، وهذا يعني أن الصوت الأول يفنى تماما ، ويضعف الصوت التالي له ، وهو ما يسمى بالإدغام الكامل ، كما في إدغام الباء في الميم (اركب معنا) بفناء الباء تماما تماما ، وتضعيف الميم ، وكما في إدغام النون في اللام (أن لا ← ألا) فإذا بقي من الصوت الأول المدغم بعض صفاته ، سمي الإدغام ناقصا ، كما في إدغام النون في الواو أو الياء : (من وَاق - أن يُقضى).

وعلامة الإدغام الكامل في المصحف - برواية حفص - عدم وضع علامة السكون على (الحرف) ووضع علامة التضعيف على الثاني ، أما في الإدغام الناقص فلا توضع علامة السكون الأول ، لكن الثاني لا توضع عليه علامة تضعيف ، بل حركة الحرف فقط ، كما يحدث مع إخفاء النون الساكنة ، هي الأخرى تخلو من علامة السكون ، أما الذي يلي النون فعليه حركته ، دون تضعيف.

والإدغام نوعان ـ كما سبق ـ الإدغام الكبير ، والإدغام الصغير ، الأول إذا كان الصامت الأول متحركا ، كما في (الرحيم ملك) بكسر الميم الأولى قبل إدغامها في الميم الساكنة.

أما الإدغام الصغير فالصامت الأول ساكن ، كما في (بل سَّولت) وهو الأكثر في الفصحى ، وفي القراءات القرآنية ، أما الإدغام الكبير فاشتهر به أبو عمر بن العلاء البصري (ت١٥٤هـ) وهو من القراء السبعة.

وأرى أن الإدغام بنوعيه ، الناقص والكامل ، الصغير والكبير ، هو عبارة عن حذف للعنصر الأول ، ثم تعويض عن هذا الحذف بتضعيف الثاني ، ولذا فإن الرسم المصحفي محق تمام عندما يهمل الحرف الأول من تشكيله بالسكون ، في حين يضع التضعيف على الحرف الثاني ، المدغم فيه.

لكن الإدغام بأنواعه ينصب على الصوامت دون الحركات ، خاصة الطوال بل إن صوتي اللين (أنصاف الحركات) الواو والياء يحدث معهما إدغام ، لكن في نطاق ضيق ، وكذا ليس الإدغام مفتوحا أمام كل الصوامت ، فلم نر الهمزة تدغم أو يدغم فيها ، فإن الإدغام يتركز ويفشو بين الصوامت الأمامية قريبة المخرج كالدال والتاء واللام والراء ... الخ ، ويقل مع الأصوات بعيدة المخرج كالهاء والعين والحاء والخاء والغين وغيرها.

أما مخارج الصوامت وصفاتها فإنها قضايا صوتية بامتياز ، ولذا توضع هي والإدغام في دروس الأصوات ، أو التجويد ، وليس في قضايا الصرف ، هي قضايا مهمة ، مفيدة لطالب العربية ، إلا أنها لا توضع في إطار علم الصرف.

وفي كتابي الصرف العربي والنحو قسمت الصرف إلى قسمين ، الأول خاص

بالأفعال ، والثاني للأسماء ، لكن قدمت للقسمين بموضوع أقسام الكلمة من الأسماء والأفعال والحروف ، وعلامة كل قسم ، هذا أساس للكلام في الصرف ، نظام الكلمة - وكذا النحو - نظام الجملة - فبدون المعرفة الجيدة بأنواع الكلمة يتعذر أن يفهم الطالب شيئا من الصرف أو النحو ، ثم تحدثنا عن الميزان الصرفي ، بعد هذين الموضوعين عددنا موضوعات الصرف بالشكل الآتي :

<u>أولا - الأفعال</u> : وفي هذا القسم موضوعات : (الفعل المعتل والصحيح - المجرد والمزيد - الأفعال الجامدة والمتصرفة - المتعدي واللازم - المبني للمعلوم والمبني للمجهول - الإسناد والتوكيد).

<u>ثانيا - الأسماء</u> : (المجرد والمزيد - الجامد والمشتق - المصدر - اسم الفاعل - صيغ المبالغة - اسم المفعول - الصفة المشبهة باسم الفاعل - اسم التفضيل - صيغتا التعجب - اسما الزمان والمكان - اسم الآلة - المذكر والمؤنث - المنقوص والمقصور والممدود - الجموع في العربية - تثنية المعتل الآخر وجمعه - التصغير - النسب).

هذي هي الموضوعات المهمة في الصرف العربي الجديرة أن نقدمها لدارسي العربية ومتعلميها من العرب وغير العرب ، وهذا ليس معناه أننا نغلق الطريق أمام دراسة أي موضوع أو البحث فيه ، فكل شيء يمكن أن يدرس وأن يبحث ، لكن في مكانه وفي إطار المنهج الصحيح والمناسب للدراسة.

لكن في التعليم والتعليم الأمر مختلف ، يجب أن نقدم ما هو منطقي ومفيد للمتعلم ، وإلا فسوف يكون النفور من تعلم لغتنا ، ومن ثم علينا أن نحذف من الموضوعات المقدمة لأبنائنا الحواشي والزوائد والتفاصيل والموضوعات التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، والتي ينسى بعضها بعضا ، أو لعلها تنسى الجوهري المفيد في تعلم العربية ، وفي دراسة العربية وفهمها.

المادة التاسعة والعشرون
{٢٩}

أول من وضع الصرف العربي والنحو هو أمير المؤمنين علي بن أي طالب (عليه السلام).

يبدو أننا بحاجة إلى إعادة تيك الكليمات التي كان يحكيها لنا أستاذنا الدكتور محمود قاسم ـ رحمه الله ـ حيث قال :

ليس شيوع الفكرة دليلا على صحتها ، بل على العكس كلما كانت الفكرة شائعة كانت خاطئة ، فإن أكثر الأفكار شيوعا أكثر خطأ ، بفتح الهمزة أو ضمها ، حيث تشيع بين الدارسين فكر مثل :

- مكتشف النحو هو أبو الأسود الدؤلي.
- مكتشف الصرف هو معاذ الهراء.

من هو أبو الأسود الدؤلي ؟ ظالم بن عمرو ، نسبه إلى (الدؤل بن بكر بن كنانة) كان أبو الأسود من سادات التابعين ، صحب أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه صفين ، وولي قضاء البصرة التي بها توفي (٦٧هـ).

ومن معاذ الهراء ؟ إنه : أبو مسلم ، معاذ بن مسلم الهراء ، لقب بهذا لأنه كان يبيع الثياب الهروية ، نسبه إلى (هرات) التي تقع الآن في غرب أفغانستان ، بالقرب من الحدود الإيرانية الأفغانية.

الهراء من علماء الكوفة ، وهو عم الرؤاسي الذي سيأتي الحديث عنه ، الهراء هذا نسب إليه أنه أول من وضع التصريف ، وتتلمذ عليه علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) أما الهراء نفسه فقد توفي (١٨٧هـ) قبل الكسائي بعامين.

الرؤاسي ، أبو جعفر ، محمد بن أبي سارة ، الرؤاسي ، سمي بهذا لعظم رأسه ، وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو ، تتلمذ عليه الكسائي ، وأبو زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ).

ونبدأ الحكاية من البدء والبداية لنقول : إن أول من وضع النحو هو علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ) لقد رسم لأبي الأسود أبواب : (إن - الإضافة - الإمالة) ثم صنف أبو الأسود أبواب : (العطف - النعت - التعجب - الاستفهام).

جاء في الفهرست لابن النديم : (إن النحو أخذ عن أبي الأسود ، وإن أبا الأسود أخذه عن أمير المؤمنين (عليه السلام)).

وفي الفهرست [1] أيضا : إنما سمي النحو نحو الآن أبا الأسود قال لأمير المؤمنين حين ألقى عليه شيئا من أصول النحو : (واستأذنته) أبو الأسود استأذن أمير المؤمنين في : (أن أصنع نحو ما صنع ، فسمي ذلك نحوا).

مجمل الروايات والأخبار تشير إلى أن أمير المؤمنين هو الذي خط أول خطوط هذا العلم ، ووضع له الأسس والقواعد ، ثم صنع نماذج من الفكرة والمخطط ، مثل : (إن - الإضافة - الإمالة) ثم نسج التلميذ النجيب على منوال أميره وأستاذه أبوابا مثل : (العطف - النعت - التعجب - الاستفهام).

---

(١) ص١٣٩.

وعندها لم يملك الإمام علي إلا أن قال : ما أجمل هذا النحو الذي نحوت ، وهنا سجل التاريخ الفكرة لأمير المؤمنين وبراءة اختراعها ، بل وضع نماذج لها ، ومراجعة النماذج الأخرى التي أنتجها تلميذه.

كما سجل التاريخ لأمير المؤمنين أنه من سمى هذا العلم (النحو) الذي شغل العرب والعجم على السواء ، وطبقت شهرته الخافقين ، والعالم من أقصاه إلى أقصى أقصاه ، وإلى يوم الناس هذا.

وبعد هذا كله يبرز سؤال : أين الصرف ، وأين مكانه ؟ ومن مكتشفه ؟ من وضعه ؟ تذكر الروايات اسمين كريمين ، هما :

- علي بن أبي طالب (عليه السلام).
- معاذ بن مسلم الهراء (ت١٨٧هـ).

والرأي أن الإمام علي (عليه السلام) هو المكتشف للصرف ، كيف ، ولماذا ؟

١- نتصور في البداية أن قضايا وموضوعات العلمين (الصرف والنحو) عولجت معا ، دون فصل بينهما حتى وقت متأخر من القرن الثاني الهجري.

٢- تذكر الروايات أن الإمام علي (عليه السلام) قدم من الموضوعات (الإمالة) التي قد نتجادل : هل هي من الصرف ، أم يجب أن تخرج منه ، لكننا لا نشك لحيظة أنها ليست من النحو ، من بعيد أو من قريب.

٣- لا أتصور أن يوضع النحو في عهد أمير المؤمنين (٣٥ - ٤٠ هـ) في حين تأخر وضع الصرف واكتشافه إلى منتصف القرن الثاني أو بعده ، فإن نظام الكلمة (الصرف) هو أساس نظام الجملة وهو سابقه في الترتيب المنطقي ، إذ لا يمكن أن يقوم النحو ويوضع دون أن يسبقه الصرف.

٤- إن الهراء الذي نسب إليه وضع الصرف على أحد القولين ، هو عم الرؤاسي

الذي نسب إليه أنه (أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو) وهذا شيء منطقي تماما.

لقد تم وضع النحو قبل الصرف في ولاية أمير المؤمنين - ٣٥ - ٤٠هـ - قبل قرن أو يزيد من الرؤاسي ، والذي نسب إليه (كتاب التصغير) ولم يذكر أنه أول من ألف في الصرف من الكوفيين ، كما قيل في النحو.

فهل يعقل أن يقوم الهراء بوضع الصرف ، ثم يؤلف ابن الأخ - الرؤاسي - ليس أول كتاب في الصرف ، أو حتى كتابا في الصرف ، بل يكتب في قضية واحدة ، ومحددة من قضاياه ، هي (التصغير) إن هذا يدل على أن هذا العلم (الصرف) قد استقرت مسائله وقواعده وأسسه حتى ألف هذا الرؤاسي في مسألة واحدة من مسائله كتابا ، أفرده لتيك المسيألة.

من كل ما سبق أرجح - يا رعاك الله - أحد القولين عن الشيخ أحمد الحملاوي - رحمه الله - بأن أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أول من وضع الصرف ، بما أنه أول من وضع النحو ، أو بتعبير أدق هو أول من وضع الصرف والنحو كليهما ، ولكن العلماء ركزوا تركيزا شديدا على النحو ، وبه بدءوا ، وافتتحوا به كتبهم وتواليفهم ، مثنين بالصرف.

برغم أن ترتيب الصرف منطقيا وعلميا أن يبدأ به ، ثم يثنى بالنحو ، على اعتبار أن البدء يجب أن يكون بنظام الكلمة (الصرف) يليه ويأتي بعده نظام الجملة (النحو) وليس العكس ، كما يفعل عامة الكاتبين والأغلبية الساحقة منهم ، ولذا دائما يقولون (النحو والصرف) والصح والصحيح والحق الحقيق أن يقولوا : (الصرف والنحو).

براءة اختراع وفضل عظيم وسابقة مهمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ليس في وضع النحو فقط ، ولكن في وضع الصرف والنحو كليهما ، وكانا يسيران دوما في مشكاة واحدة ، وتحت عباءة واحدة ، تحت مسمى النحو ، ثم اختص الصرف باسم ووسم خاص به ، كما أن أمير المؤمنين هو من أعطى لهذا العلم (النحو) اسمه الذي بقى له إلى يوم الناس هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يبقى هذا العلم وهذا الاسم إلى أن يشاء الله مشيرا ومشيدا بفضل أمير المؤمنين في دراسة علم مهم من علومها ، فضل يضاف إلى ما لا يحصى من أفضال أمير المؤمنين وسجاياه على العرب والعجم على السواء.

المادة الثلاثون
{٣٠}

الكلمة العربية ربعة بين كلمات اللغات ، لا هي قصيرة بينة القصر ، ولا هي طويلة فاحشة الطول ، لا حد لطولها.

نبدأ بهذه الكليمة الجميلة الرائعة ، ذات الرونق البديع الرائق والمعنى المتفوق والفائق ، كلمة (ربعة) من أين جئنا بها يا رحمك الله ؟ وفي الإجابة نقول : هذي الكليمة وصف بها سيد الخلق أجمعين ، محمد صلوات ربي وسلامي عليه ، هو أعظم شخصية في هذا الكون وأكثرها أهمية ووزنا لمّ ، ولمه - بالهاء - ولماذا ؟ قبل هذي التساؤلات نذكر القارئ الكريم : (الربعة : الوسيط القامة ، للمذكر والمؤنث [1]) وهكذا وصف سيد الخلق بأنه ربعة بين الرجال ، لا هو بالطويل بين الطول ، ولا القصير واضح القصر ، تماما تماما ، كما في المنام شرفت برؤياه ، ومتعت نظري بسمته الكريم فلم (كان هذا الرجل) أعظم الناس طرا في هذا الكون ، وفي الخافقين ؟ لقد عاش حياته كلها لتصل إلينا دعوته الكريمة ، لولاه لهلكنا مع الهالكين ، تحمل من أجلنا ومن أجل هدايتنا ما لا تتحمله الجبال الرواسي وصناديد الرجال.

عندما أعيته قريش وأوصدت أمامه كل الأبواب وسدت وصدت كل الطرق

---

(١) المعجم الوسيط ٣٣٧/١.

اتجه إلى القرية الأخرى ، إلى الطائف ، فكان مستجيرا بالرمضاء الحارقة من النار القرشية الصادة عن سبيل ربه ، لقد سلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم ، ثم ألقوا الأشواك في طريقه ، موقف خزي وعار سجله التاريخ ، ولكنه (ﷺ) لا ييأس ولا ينهار ، يحاول أن يكلم ابني عبد يا ليل ، إذ يقول الشقيان : إن كنت نبيا فأنت أعظم من أن نكلمك ، وإن كنت كاذبا فأنت أقل من أن نكلمك ، ولكن ضوءا ضعيفا في نهاية النفق، ضوء ضعيف يظهر ، إن هذا الفتى (عداس) ابن نينوي [1] العظيم يقدم له شيئا من العنب ، يبدأ (ﷺ) أولا بتسمية الله ، يعجب الفتى ، هل أنت غريب عن هذي البلاد ، ما أحد هنا يفعل هذا ؟ يسأله سيد الخلق : من أين؟ من نينوي ، يقول الصادق المصدوق : بلد نبي الله يونس (عليه السلام) يعجب الفتى : أو تعرفه؟ بلي ، ذاك نبي الله ، ذاك أخي، نبي من أنبياء الله ، وأنا نبي من أنبياء الله.

ويعود محمد من هذه القرية الظالمة ، الظالم أهلوها ، وفي الطريق إلى القرية الأخرى يلجأ إلى ربه ، فكان مما قال : (إن لم يك بك عليّ غضب فلا أبالي ...) الخ.

وينزل ملك الجبال يعرض عليه : (إن شئت) يا محمد (أطبقت) عليهم على قريش (الأخشبين) جبلي مكة ، فكان الرد (عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله).

ولا تكتفي القريتان بما كان ، بل تأتي قريش في معركة أحد تحاول قتل نبيها ، كسرت رباعيته ، اجتهدت في الخلاص منه ، وسحقه ، ولكن الله أنجاه من هؤلاء العتاة المستكبرين المتطاولين على مقامه الكريم (ﷺ) فالحمد لله الذي عافانا من أن نشهد معهم أو نشترك معهم في تلكم الجرائم الشنعاء الفحشاء.

---

(١) تقع الآن شرق مدينة الموصل شمال العراق العربي الجريح ، الذي ينزف من كل جوانبه.

لكل هذا كان مقام محمد (ﷺ) مكانه ومكانته لدى المسلمين الموحدين ، إنه الرجل الذي كرس حياته وجهده وكل طاقاته من أجل هدايتنا إلى دين الله الحق الحقيق ، الصح الصحيح.

والآن قبل أن تدخل في ملحمة اللغة ومعمل التحليل لكون الكلمة العربية ربعة بين كلمات اللغات نسّاءل مع المسائلين : لماذا كان الهادي البشير ربعة بين الرجال ؟ في رأيي : المسألة ليست مسألة طول أو قصر ، وإنما هو مؤشر دال على أن الرجل كان على مسافة متقاربة من كل الرجال ، حتى في الطول والقصر ، نوع من التوازن والاعتدال والبعد عن الانحياز إلى طرف أو نوع أو جنس من الناس إنه القائل : (أدخل الإسلام بلالا في نسبي ، وأخرج الكفر أبا لهب من نسبي) مع أن هذا الأخير كان عما شقيقا له ، ولكن هذا لم يجعله يميل إليه بسبب كفره وصده عن سبيل الله ، حتى نزلت سورة قصيرة تلعنه وزوجه إلى الأبد في قرآن يتلى على كر الدهور ومر السنين.

وهكذا نرى هادينا وسيدنا كان ربعة بين الرجال ، أي على مسافة متقاربة من كل الناس ، اعتدال وتوازن ، دون الانحياز إلى فريق أو رجال ، دون فريق آخر ، ورجال آخرين.

والآن من أطيب الحديث وأعذبه وجماله الفائق ، الحديث عن النبي الأعظم (ﷺ) إلى الكلمة العربية ، حيث نستأذن نبينا بأن نصف هذه الكلمة العربية التي حملت كتابه الكريم بأنها ربعة بين كلمات اللغات ، لا هي طويلة جدا بشكل فاحش ، ولا هي قصيرة جد بشكل لافت.

ونستفتح هذا التحليل بنماذج من الكلمات فاحشة الطول ، ربما لا يتخيلها بعض القراء ، منها :

١- في اللغة الإنجليزية : نختار ٤ كلمات من تحليل للدم أجراه أحد أساتذة كلية الطب بجامعة عين شمس ، فمن الكلمات التي وردت في التحليل :

- microcalcification — التكلس المتضخم للدم
- microinfarctions — أوعية دموية ميتة
- intervillitis
- insufficiency — نقص

٢- من اللغة الألمانية : كنا نترجم مقالة بالإنجليزية تناقش أحوال المهاجرين العرب إلى ألمانيا ، الوضع اللغوي وتعليم لغة الأم ، الكاتب الريخ مهلم (ألماني) في قائمة مراجعة نذكر القارئ ببعض الكلمات الألمانية :

- autsfuhrungsuorschriften.
- auslanderbeau.
- muttersprachlicher.

هذه الكلمات فارعة الطول ، أو ذات الطول الفاحش نجد على العكس منها كليمات قصيرة جدا جدا تكاد تصل إلى مقطع قصير مفتوح، أو قصير الحركة مغلق ، كما نجد في لغات (الكداي) أو عائلة (الكداي) تلكم اللغات التي تنتشر جنوب الصين ، أو هي بالفعل مقتبسة من لغات في جنوب الصين ، هذا البلد الذي ظل وسيبقى مخزنا بشريا يفيض من جوانبه على الأقطار الأخرى ، سيما جيرانه الأقربون.

عائلة (الكداي) مجموعة اللغات التي نجدها جنوب الصين ، في دول الجوار وعلى رأسها تايلاند وكمبوديا ولاوس وميانمار (بورما) وحتى فيتنام أو اللغات التايلندية والكمبودية واللاوسية والبورمية والفيتنامية ... الخ ، وعلى رأسها اللغة السيامية (التايلندية) التي يتحدث بها ٦٥ مليون نسمة ، ترتيبها ٢٤ من حيث عدد المتكلمين بها داخل الوطن ، ولهذا تفصيل سيأتي في مكانه.

لكن كيف وصلت العربية إلى هذه الدرجة من التوازن في حجم الكلمة فلم تأت

طويلة طولا فاحشا ، ولا قصيرة قصرا بينا واضحا ، إذا أردت أن نعرف هذي الآليات التي مكنت لغتنا من الوصول إلى ربعة الكلمة فإن علينا أن نتعرف على تيكم الآليات:

أولا : المقطع العربي :

والذي تحكمه عدة قواعد تسير باتجاه توازن الكلمة وربعتها ، وهي :

١- لا يتكون المقطع العربي من عنصر واحد البتة ، صامتا أو حركة ، بل عنصران اثنان على الأقل ، على الأقل صامت وحركة طويلة.

٢- لا يبدأ المقطع العربي إلا بالصامت ، لا يبدأ بحركة مطلقا ، لكنه ينتهي بحركة طويلة أو قصيرة ، أو بصامت واحد ، أو اثنين على الأكثر ، على الأكثر.

٣- والمقطع العربي لا يبدأ بصامتين متجاورين أو أكثر ، دون حركة بينهما أو بينها كما نجد في عدد من اللغات كالإنجليزية والماليزية ، وهذا نوع من الاختصار في الكلمة والتوازن.

٤- لا تزيد المقاطع في أية كلمة عربية عن ٧ مقاطع ، مهما اتصل بها من سوابق ولواحق في هذين المثالين ـ وهما من القرآن الكريم ـ فيهما نعم سبعة مقاطع ، تأمل : (أنلزمكموها ـ فسيكفيكهمُ) لكن هذا النوع من الكلمات نادر في لغة بني يعرب.

إذ الكثرة الغالبة من الكلمات العربية لا تزيد مقاطعها ـ يا سادة يا كرام ـ عن ٤ مقاطع فقط.

٥- إذا كانت مقاطع العربية مقسومة إلى مقاطع مفتوحة ، هي (ص ح ـ ص ح ح) أي صامت وحركة قصيرة أو طويلة ، فإن المقاطع المغلقة تنتهي بصامت واحد أو اثنين ، ليس إلا ، ولا تزيد البتة عن صامتين.

ولكن ، ولكن ماذا يا فيلسوف؟ لكن المقطعين المفتوحين (ص ح + ص ح ح) إضافة إلى المقطع المغلق قصير الحركة (ص ح ص) هذي المقاطع الثلاثة هنا هي الشائعة في لغتنا العربية ، إنها - أي هذه الثلاثة - تكون وتمثل الكثرة الغالبة من كلام بني يعرب.

أما المقاطع الثلاثة (ص ح ح ص - ص ح ص ص - ص ح ح ص ص) فلا تكون إلا في سياقات ومواضع خاصة ، كالوقف أو الإدغام الكبير ، مثل قراءة (الرحيم ملك) بإدغام الميم الأولى المكسورة في الميم التي تليها في (ملك).

٦- آخر ما في الجعبة من المقاطع ودورها في ربعة الكلمة وتوازنها أن العربية تميل إلى المقاطع المغلقة ، ويقل فيها توالي المقاطع المفتوحة خاصة القصيرة.

فإن زادت المقاطع المفتوحة وتوالت عمدت العربية إلى إغلاق واحد منها ، وهذا نوع من الاختصار ، كيف ؟ بالمثال يتضح ويفهم المقال ، الفعل إذا أسند إلى ضمائر الرفع المتحركة (تاء الفاعل - نا الدالة على الفاعلين - نون النسوة) بني على السكون قولا واحدا ، ماضيا كان أو مضارعا ، أو من الأمر ، فالماضي kataba إذا أسند مثلا إلى نون النسوة تحول katabana إلى katabna ، وبالحرف العربي من (كتبَنَ) بفتح الباء إلى (كتبْنَ) بسكون الباء تحولت ٤ مقاطع إلى ثلاثة فقط ، هذا فقط ؟ كلا : اختصرت الكلمة مقطعا من مقاطعها بهذه الطريقة ، إضافة إلى اختزال عناصر الكلمة من ٨ عناصر إلى سبعة عناصر ، هذا ما أداه السكون في الكلمة ، أو حذف الحركة الأخيرة من الفعل kataba حين أسند إلى نون النسوة المفتوحة na.

هذا فضلا عن إعادة هندسة الكلمة من ٤ مقاطع قصيرة مفتوحة متوالية ، إلى : (ص ح + ص ح ص + ص ح) مقطع قصير مفتوح ، ثم مقطع مغلق ، وأخيرا

مقطع قصير مفتوح ، وهكذا تعاد هندسة ، كي يعود لها توازنها ، وتفر من توالي ٤ مقاطع من نمط ونوع واحد ، إلى (مقطع قصير مفتوح + مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير مفتوح) أنها العربية ، هندسة عبقرية ، توازن في كل منحى من مناحيها.

ثانيا : اشتقاق الكلمة العربية :

أو المجرد والمزيد في العربية ، هندسة دقيقة ، دقة الجبر والرياضيات ، وإبداع وتنسيق كأنه تنسيق لبدائع الزهور وفائقها ، كيف ؟ الكلمة العربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة :

- الحروف . - الأفعال . - الأسماء

النوع الأول - أي الحروف يخرج عن حديث التجرد والزيادة ، والصرف والتصريف من أوسع الأبواب ، أو قل : من باب الجمال - بكسر الجيم - الحرف يبقى كما هو ، لا يتجرد ، ولا يزاد عليه ، ولا يتصرف ، فلم يبق إلا النوعان الآخران :

- الأفعال المجردة نوعان ، ثلاثي ورباعي فقط ؟ فقط ، مثل : (علم - زمجر) برنة (فِعل - فعلل).
- أما الثلاثي المجرد فيزاد عليه عنصر واحد أو اثنان أو ثلاثة فقط ، حتى لا تزيد الكلمة عن الحد المعقول ، فزيادة عنصر واحد مثل : (فهّم - بتضعيف الهاء - جاحش - أعلم).

أما المزيد بعنصرين فيأتي على خمسة أوجه :

١- زيادة تاء على أوله وتضعيف العين : (تجرّأ - تسلّم).
٢- زيادة تاء على أوله وألف مد قبل الآخر (تقابل - تعانق).
٣- ألف وصل في الأول وتضعيف الصامت الأخير (احمرّ - اخضر) .

٤- ألف وصل بعدها نون (انهمر - انشطر).

٥- ألف وصل + تاء بزنة افتعل (اتصل - ادعى) أصلهما (اوتصل) ، (ادعى) أصلها (ادتعى) ثم حدث الإبدال فتحولت الكلمتان كما في صيغة (افتعل) إلى (اتصل - ادعى) كما عرفنا.

أما المزيد على الثلاثي المجرد بثلاثة عناصر فيأتي على ٤ أوزان ، هي :

١- استفعل : استهبل - استقبل.

٢- افعوّل : اجلوّذ ، إذا أسرع في سيره.

٣- افعالّ : احمارّ ، إذا زادت حمرته ، وليس (حموريته) والعياذ بالله.

٤- افعوعل : اعشوشب ، اخشوشن.

وانظر - يا رعاك وعافاك المولى - يزاد على الرباعي عنصر واحد أو عنصران ، ولا زيادة عن عنصرين ، فالمزيد الرباعي بعنصر واحد ، يأتي عن وزن واحد ، هو (تفعلل) الزيادة هي التاء في الأول (تدحرج - تفلسف).

والمزيد بحرفين يأتي على وزنين (افعلل) مثل (طمأن) أو : (افعنلل) احرنجم.

وقد تشتق من الأسماء أفعال رباعية مزيدة بعنصرين ، كما في : (ترهبن - تشيطن - تدهور - تجورب - تمسكن) بزنات : (تفعلل - تفيعل - تفعول - تفوعل - تمفعل) وهي من : (رهبان - شيطان - تدهور - جورب - مسكين).

وانظر - يا رعاك الله - إلى الثلاثي يزاد من عنصر إلى ٣ عناصر ، أما الرباعي فيزاد من عنصر واحد إلى عنصرين اثنين فقط ، ليس أكثر ، حتى يصير هناك توازن في الكلمة العربية ما بين الثلاثي المزيد والرباعي المزيد ، حيث إن الحد الأقصى المسموح به للزيادة على الثلاثي المجرد هو ٣ عناصر ، فإن زاد المجرد إلى أربعة

لم يزد عليه أكثر من عنصرين فقط ، وهكذا نجد :

١- الثلاثي المجرد ، أصوله ثلاثة من الصوامت لا يزاد عليه أكثر من ثلاثة عناصر.

٢- الرباعي المجرد ، أصوله أربعة ، لا يزاد عليه أكثر من عنصرين وعليه نجد :

- الثلاثي : ٣ صوامت أصلية + ٣ عناصر زائدة = ٦ مكونات.
- الرباعي : ٤ صوامت أصلية + ٢ من العناصر الزائدة = ٦ مكونات.

وهكذا لم تزد المكونات عن ستة ، ولو كانت العربية لغة نمطية لزادت على الرباعي والثلاثي كليهما كليهما ٣ عناصر ، أو زادت عليهما عنصرين فقط ، ولكنها آتت لكل ذي حق حقه ، لذا لم تطل الكلمة العربية حتى زادت عن الحد ، ولم تقصر حتى بان عليها القصر والتقزم ، وإنما راعت ووازنت ، قسمت فعدلت فجاءت كلماتها ربعة بين كلمات اللغات.

هذا عن الأفعال مجردها ومزيدها ، فماذا عن الأسماء ؟ تختلف قليلا ، كيف ؟ المجرد فيها (ثلاثي - رباعي - خماسي) مثل : (شهم - جعفر - فرزدق) الأفعال ليس فيها خماسي مجرد ، أو مزيده ؟ لماذا ؟ لأن حركة الأفعال أوسع في الاتصال بالضمائر المختلفة ، ومن ثم كان هذا سيؤدي إلى شدة طول الفعل وكثرة السوابق عليه واللواحق ، في حين نجد هذي اللواصق مع الأسماء أقل ، في حدود أداة التعريف وعلامات التثنية والجمع والتنوين والإعراب.

٣- الثلاثي المجرد من الأسماء ، يزاد عنصر واحد ٣ + ١ = ٤ مثل : (ضارب - قاتل) أو اثنان ٣ + ٢ = ٥ مثل (مضروب - مشغول) أو ثلاثة ٣ + ٣ = ٦ مثل (مستخرج) المجردات (خ ر ج) المزيدات (م س ت) ويزاد على المجرد الثلاثي ٤ عناصر مثل (استخراج) المجرد (خ ر ج) المزيدات هي (ألف الوصل - السين - التاء - ألف المد قبل الآخر) ٣ + ٤ = ٧ .

على الرباعي المجرد يزاد واحد ، أو اثنان ، مع الواحد ٤ + ١ = ٥ مثل (مدحرج) الميم الأولى هي الزائدة ، والمجرد الرباعي (د ح ر ج) ويزاد اثنان ٤ + ٢ = ٦ مثل (متدحرج) الميم والتاء زائدتان ، والمجرد (د ح ر ج) ويزاد ثلاثة ٤ + ٣ = ٧ مثل (احرنجام) المجرد (ح ر ج م) والمزيدات (ألف وصل - النون - ألف المد قبل الآخر .

الخماسي يزاد عليه عنصر واحد ٥ + ١ = ٦ فقط ، يزاد عنصر واحد فقط ، لا ثلاثة ولا اثنين، حتى لا تطول الكلمة عن الحد المعقول، ولكن انظر - يا رعاك الله - ما هو هذا العنصر الذي يزاد على الخماسي ؟ قف خشوعا واخفض الرأس أمام عبقرية العربية ، إن الاسم الخماسي فيه خمسة صوامت بالتمام والكمال ، لذا فإن العربية حين زادت هنا اختارت حركة طويلة (حرف مد) عنصر جديد مختلف عن كل عناصر الكلمة المكونة من صوامت وحركات قصار ، ومن ثم جاءت الزيادة مختلفة تماما تماما ، من نوع مختلف عن كل عناصر الكلمة ، هو الحركة الطويلة ، وهكذا تفاجئك العربية في كل ناحية من نواحيها وكل جانب من جوانبها بأوضح آيات العبقرية والتميز.

ولكن أين الأمثلة ؟ الأمثلة يا فيلسوف ؟ عندي منها الكثير ، لكن حسبي وقطني هذان المثالان ، الحركة الطويلة قبل الآخر (سلسبيل) أو آخر عناصر الكلمة (قبعثري [1]).

تذكر يا عاشق العربية أن الفعل مع مزيداته ، لا يزيد عن ستة ، أما في الأسماء فإنها كما زاد عن المجردات من الأفعال واحدا ، فإن مجموع المجردات

(١) قال المبرد : (إنه لمجرد تكثير البنية) أي لزيادة عنصر على عناصر الكلمة ، لكن لا تنسى يا والها بالعربية - أن لغتك اختارت العنصر الزائد من نوع مختلف تماما تماما عن عنصري الكلمة ، وهما الصوامت والحركات القصار.

والمزيدات في الأسماء قد زاد واحدا أيضا ، والسبب - كما سبق - أن حركة الأفعال أوسع ، حركتها أكبر من الأسماء ، وكلما كانت أقل كان هذا أسهل لحركتها وخطوها في لغتنا العربية ، ولذا كانت أقل من الأسماء تجردا ، ثم في مجموع المجرد ومزيده.

بقي أن نقول إن التعبير أحيانا فيما سبق ربما يحتاج إلى إيضاح ، فنحن نقول الثلاثي المجرد مثلا في (كتب) هو مكون من (ك ت ب) في حين هو مكون من ثلاثة مقاطع ، وليس ٣ صوامت فقط ، وهذا شيء مفهوم ، ولكننا حاولنا التعبير بالطريقة المألوفة في التراث العربي ، خاصة في الصرف.

وبرغم هذا كله فإن أكثر الأسماء المستخدمة في العربية هي الثلاثية ، مجردة ومزيدة ، ويقل استخدام الرباعي والخماسي مجردين ومزيدين ، وبشكل واضح شديد الوضوح ، وكذا الأفعال ، يزيد الثلاثي المجرد والمجرد الرباعي ومزيده ، وبشكل واضح أيضا .

ومن الصرف العربي نعود سراعا خفافا إلى علم مهم من علوم العربية ، ركن في لغتا ركين متين ، إنه :

<u>ثالثا : البلاغة العربية</u> : ولكن ترى - يا راعاك الله - ما دخل البلاغة في ربعة الكلمة العربية ، لقد وجدت لك - أيها القارئ الكريم - شرطا مهما من شروط فصاحة الكلمة ، في كل رجا وناحية تفاجئك العربية وتفجؤك ، ما هو هذا الشرط ؟ أن تكون الكلمة غير خارجة عن حد الاعتدال ، أي في الطول ، سواء أكانت من أصل عربي ، مثل (سويداواتها) جمع (سويداء) أي حبة القلب ، أو من غير أصل عربي ، مثل : (مغناطيسهن - أذربيجان).

ومن كتاب (علوم البلاغة ....) لأحمد مصطفى المراغي [1] : أصول الأبنية لا تحسن إلا في الثلاثي ، وبعض الرباعي ، نحو (عسجد) أما خماسي الأصل ؛ مثل (صهصلق ـ جحمرش) وما جرى مجراهما فإنه قبيح ، ومن ثم لم يوجد شيء من هذا الضرب في القرآن إلا ما كان معربا من أسماء الأنبياء ، مثل (إبراهيم ـ إسماعيل).

وللسيوطي كليمة هنا في مزهره [2] ، يقول فيها : (الأصول = ثلاثة حرف يبدأ به ، وحرف يحشى به) أي يكون في الوسط (وحرف يوقف عليه ، الرباعي مستثقل ، غير متمكن تمكن الثلاثي ، فإذا كان الثلاثي أخف وأمكن من الثنائي ، وكذا الرباعي ، فلاشك في ثقل الخماسي ، وقوة الكلفة به ، وإذا كان الرباعي مع قربه من الثلاثي إنما استعمل منه الأقل النزر ، فما ظنك بالخماسي على طوله وتقاصر الفعل الذي هو مظنة التصرف والثقل ، لذا قل الخماسي أصلا).

هذا ما يعني أنه برغم وجود الخماسي المجرد والمزيد من الأسماء ، فإن العربية تميل إلى الثلاثي ميلا واضحا ، ثم الرباعي ، مبتعدة قدر الإمكان عن الخماسي مجرده ومزيد ، ولذا لم يقع في القرآن من هذا غير نزر نادر قليل ، مثل (سلسبيل) اسم خماسي مزيد بياء المد قبل الآخر.

لكن ما يزال في الجعبة الكثير والكثير عن ربعة الكلمة العربية ، وإليك ما في الجعبة :

رابعا : اللغة العربية تدعم الكلمة الضعيفة :

وتحذف من الكلمة الطويلة فقط ، بل ترد المحذوف للكلمة إن بقيت الكلمة

---

(١) ص ١٨ .
(٢) ١ / ٢٤١ ـ ٢٤٣ .

على حرفين ، وهذا كله من آيات عبقرية العربية ، وما لا نجده أو نتوقعه إلا من العربية ، وهاك هاك التفاصيل ، كل التفاصيل :

١- هاء السكت : إذا بقيت الكلمة على (حرف واحد) أو على صامت واحد ، أو بمعنى أدق على مقطع قصير مفتوح ، أي قصير الحركة ، كما في الأمر من الفعل اللفيف في صيغة الأمر ، كالأفعال : (وفى - يفي - فه ، وعى - يعي - عه) الهاء ، أي هاء السكت في الأمر من كل ما سبق من الأفعال واجبه ، لا جائزة ، وبإجماع علماء العربية.

أما إذا بقي الفعل اللفيف على حرفين ، كما في المجزوم من المضارع (لم يف - لم يق - لم يع) فإن العلماء اختلفوا في هاء السكت هل هي واجبة أم جائزة ؟ لقد طالت الكلمة قليلا ، ولذا فإن علماء العربية انقسموا في شأنها ، ما بين موجب ومجوز ، فصح لديهم :

- لم يف / لم يفه.
- لم يق / لم يقه .
- لم يع / لم يعه .

والعجيب أن الكلمة إذا زادت عن اثنين ، ثلاثة فما فوق كانت الهاء جائزة ، وبإجماع العلماء ، مثل :

- لم يتسن / لم يتسنه.
- اقتد / اقتده.
- مالي / ماليه.

هل رأيت إبداعا وعبقرية وهندسة ودقة ، كما تجد في العربية ؟ اللهم لا ، اللهم لا ، اللهم لا.

٢- النسب : في لغتنا يزدان النسب بآيات من هذي العبقرية ، منها :

(أ) كم : كلمة ضعيفة ، لقد جاءت على حرفين ، وانحشرت بين الأسماء فجاءها قطار النسب ، وهي في هذه الحالة من الضعف قريبة ، لكن العربية لم تنسها ، التفتت إليها التفاتة عبقرية - كما هو عادة العربية ، ولقد زادتها عنصرا مقويا لها ، ومن نفس بنية الكلمة ، ومن ذات عناصرها ، فضاعفت الميم عند النسب فقالت : (كمْ ← كمي) بتضعيف الميم ، فدعمت الكلمة دعما عبقريا ، وبعنصر من داخل الكلمة ، ليس خارجا عنها.

(ب) وإذا انتهت الأسماء بياء مشددة فإن العربية تفرق بين هذي الأسماء عند النسب ، تقسمها بشكل عبقري ، لا نظير لها ، كيف ؟

- إذا كان قبل الياء المشددة حرف واحد (صامت واحد).
- إذا كان قبل الياء المشددة صامتان (حرفان).
- إذا كان قبل الياء المشددة ٣ أحرف فما فوق.

صامت واحد : قبل الياء المشددة ، مثل (حيّ) تقسم الياء إلى قسمين ، كما يظهر في الكتابة الصوتية hayy تُبقي الياء الأولى - كما هيه عند النسب ، أما الثانية التي تليها فتقلب واوا ، كي تتواءم مع ياء النسب المشددة بعدها ، فنقول : (حيّ ← حيويّ) وفي الكتابة الصوتية : ħayy → haywiyy ، وهكذا.

صامتان : قبل الياء المشددة ، كما في (عليّ) فاجأتك العربية بعبقرية فذة ، لقد زاد قبل الياء المشددة صامت ثان ، فاختلف تصرف العربية اختلافا بيناً ، كيف

بالله عليك ؟ أنا أقول لك ـ أخي أخيه ـ لقد حذفت العربية ياء ، وأبقت أخرى ، حذفت النصف ، وأبقت النصف الآخر ، لكنها حولته ـ أي الياء الثانية ـ إلى الواو حتى تتناسب مع ياء النسب المشددة ، هكذا (عليّ ← علويّ) (أمية ← أمويّ) وفي الكتابة الصوتية (ʕaliyy - ʕalawiyy) .

ثلاثة صوامت : فأكثر تحذف العربية الياءين معا ، ولا تبقى إلا على ياء النسب المشددة ، ففي النسب إلى مدينتي (إسكندرية ـ إسماعيلية) تحذف تاء التأنيث كما تحذف دوما عند النسب كما في (مكة ← مكي) ثم تحذف الياء المشددة من اسم المدينتين ، ليصبح النسب إليهما (إسكندري) أو (سكندري) و (إسماعيلي) بحذف التاء التأنيثية ، والياء المشددة قبلها ، وحضور ياء النسب المشددة مكان ما سبق.

(جـ) الاسم المقصور : إذا سبقت ألف المد ، أي ألف المقصور بصامتين فقط ، لم تحذف الألف قولا واحدا ، بل تقلب واوا حتى تتناسب مع ياء النسب المشددة ـ كما سبق ـ المثال ، المثال يا فيلسوف ؟ هذه هي الأمثلة :

- رضا ← رضوى.
- ربا ← ربوي.
- شطا ← شطوي.

لكن الاسم المقصور إذا طال حذفت العربية ألفه ، وربما حذفت واحتنكت غيره من الكلمة ، مثل :

- كندا ← كندي.
- بلجيكا ← بلجيكي.
- ليبيا ← ليبي.
- ماليزيا ← ماليزي.

لاحظ في (كندا) حذف الألف فقط ، لكن في : (ليبيا - ماليزيا) حذف الألف والياء قبلها ، الكلمة طالت ، فكان من العدل والأنصاف والمنطقي أن تحذف العربية من الكلمة.

وهنا أيضا لفتة بارعة عبقرية ، هي - وما هيه يا فيلسوف - لقد فرقت العربية بين الاسم المقصور الذي قبل ألفه ٣ أحرف ، إذا كان الثاني من الكلمة ساكنا أو متحركا ، فإن كان متحرك الوسط ، حذفت الألف قولا واحدا :

- كنــدا ← كندي.
- بردى ← بردي.

ولكن ، ولكن ماذا يا فيلسوف ؟ ولكن إذا كان المقصور ساكن الوسط أجازت العربية حذف الألف أو الإبقاء عليها ، بل وزيادة الواو أيضا ، هذه هي الأمثلة :

- بنها ← بنهى ، بنهوي ، بنهاوي.
- طنطا ← طنطى ، طنطوي ، طنطاوي.

ما الفرق إذا - يا فيلسوف - بين المقصور ساكن الوسط ، مثل (طنطا - بنها) وبين متحرك الوسط (بردى - كندا) إن بينهما لفرقا ، وأي فرق هوَه ؟

- بردى : مكونة من ٦ عناصر = ٣ مقاطع.
- بنها : مكونة من خمسة عناصر = مقطعين اثنين.

الكلمة الأولى ونظائرها متحركة الوسط ، عناصرها أكبر ، مقاطعها أكثر ، على عكس المثال الثاني - ساكن الوسط - عناصره أقل ، مقاطعه أقل ، لذا صح فيه الحذف للألف أو الإبقاء ، أما في الحالة الأولى فالحذف الحذف فقط ، ليس إلا بسبب طول الكلمة عن الأخرى ونظيراتها.

ولذا لم يكن من المصادفة أو قبيلها أن تميل لغتنا إلى المقاطع المغلقة ، أي التي تنتهي بصامت ساكن ، ولذا فإن عملية الإسكان ، أو حذفت الحركة القصيرة إن هي إلا عملية اختصار لعناصر الكلمة ومقاطعها ، وهذه أمثلة :

- في (يسْر) بإسكان السين اختصار لعناصر الكلمة ومقاطعها ، كما يظهر في الكتابة الصوفية yusr = ٤ عناصر ، مقطع واحد في حين yusur عند الوقف خمسة عناصر ، مقطعان اثنان ، الأول قصير مفتوح yu والثاني قصير الحركة مغلق sur.
- في (بحْر) نفس الشيء baḥr ، لكن baḥar بالتحريك مقطعان أي عند الوقف ، وهكذا.

(د) <u>رد ما حذف من الكلمة</u> : إذا بقيت على حرفين ، وهي على حرفين ضعيفة بحاجة إلى دعم ، وما حذف أحق وأولى وأجدر أن يعاد إليها ، بدلا من استيراد عنصر خارجي عن الكلمة ، أجنبي عنها ، وهذا ما يظهر في التثنية والجمع والنسب ، بل يكفي أن يظهر في أحدها أو بعضها ، مثل :

- يد عند النسب ← يدوي ، عادت إليها الياء.
- أخ ← أخوي ، أخوان ، إخوة.
- أب ← أبوي ، أبوان.
- دم ← دموي.
- سنة ← سنوي ، سنوات.
- شفة ← شفوي.

بقي في جعبتي - يا إخوتي - موضعان فيهما يتم الحذف من الكلمة ، أي من الكلمة الطويلة ، أو يتم الحذف فيهما لطول الكلمة ، وهما الترخيم والتنوين ، شيئان

من اختصاص الأسماء فقط ، نفصل عنهما الحديث فيما يلي :

٣- التنوين : التنوين خاص بالأسماء ، دون الأفعال والحروف بطبيعة الحال - وهو حالة من حالات الوصل لا الوقف - هو والإعراب ، كلاهما من اختصاص الوصل لا الوقف ، إذ في الوقف ، لا تنوين ، ولا إعراب ، كل يوقف عليه بالسكون [1] ، بعيدا عن الحركة القصيرة ، إلا أن الكلمة العربية بأقسامها الثلاثة يمكن أن تنتهي - أي عند الوقف - بحركة طويلة ، طويلة ، لا قصيرة البتة ، لاحظ :

- رأيت أسدا ← ألف مد عند الوقف.
- شاهدت الأسدْ ← سكون عند الوقف.
- إنه يجري ← ياء مد.
- هو يسعى ← ألف مد في النطق.
- هي تدعو ← واو مد.

اتفقنا على أن التنوين من اختصاص الأسماء ليس إلا ، بل والأسماء المعربة فقط ، الأسماء المبنية لا دخل لها بالقضية.

ولقد تأكد لي أن التنوين كان لكل الأسماء المعربة في لغتنا العربية ، ثم ، ثم ماذا يا فصيح ؟ ثم حرمت بعض الأسماء المعربة من التنوين لتدخل في إطار ما يسمى بالممنوع من الصرف.

فقد روي عن بعض القبائل العربية أنها كانت تنوّن كل الأسماء المعربة ، وهذا بقية النظام القديم الأول في العربية الذي حرم - في زمن لاحق - بعض الأسماء - أي المعربة - من التنوين ، فالأصل في الاسم المعرب الصرف.

(١) بطبيعة الحال في النثر ، لا في الشعر حيث سنفصل الحديث عن الوقف في الشعر لاحقا.

فما السبب في حرمانها من هذه النون الزائدة عليها ؟ حرمت لفرط طول الكلمة ، وبغية حصرها في نطاق الربعة والاعتدال ، كيف ؟ أنا أقول لك :

إني أسّاءل : لماذا تمنع الأعلام (إبراهيم ـ إسماعيل ـ ميكائيل) من الصرف في حين تصرف الأعلام نحو (نوح ـ لوط) وغيرهما ؟ سيقول لك الباده للعلمية والعجمة هل (إبراهيم ـ إسماعيل) أبو العرب وأبوه أعجميان ، و (نوح ، لوط) من العرب الأقحاح ؟ كلا ، ليس الأمر كذلك ، نعم بكل توكيد ليس كذلك.

سيقول آخر : منع مثل (إبراهيم - إسماعيل) للعلمية والتركيب ، لا بأس اقتربنا من كبد الحقيقة ، هذه الحقيقة الموكدة التي يشير إليها الأشموني [1] بقوله (العجمة سبب ضعيف ، فلم تؤثر بدون زيادة على الثلاثة) أي عن الثلاثة أحرف ، إذن القضية ليست قضية عجمة أو عروبة ، وإنما هي الزيادة عن الثلاثة ، أي أن طول الكلمة في مثل (إبراهيم ـ إسماعيل) هو الذي برر غياب التنوين ، أو بمعنى آخر حرمان الكلمة الطويلة من عنصر من عناصر الزيادة في الكلمة ، وهو النون الساكنة الزائدة.

ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد ، بل إن علماء العربية يرون في الثلاثي مما يوسم أو يوصف بالعجمة ثلاثة أقوال ، هي :

(أ) العجمة لا أثر لها مطلقا ، وهو الصحيح ، ولذا ينون ، هذا نص الأشموني ، وهذا يفيد أن الحرمان من التنوين ليس بسبب العجمة ، ولكن بسبب طول الكلمة ، وفي ذات الوقت خروجها عن أوزان الأسماء العربية ، نحو (إبراهيم ـ إسماعيل).

---

(١) ٣ / ٤٦ .

(ب) ما تحرك وسطه ينصرف ، وما سكن وسطه فيه وجهان الصرف وعدمه.

(ج) ما تحرك وسطه لا ينصرف ، وما سكن وسطه ينصرف ، وهو ما أخذ به ابن الحاجب.

العلم الأعجمي إذا زاد عن ثلاثة منع من الصرف قولا واحدا ؟ طول الكلمة ، هذا الطول هو ما برر حرمانها من التنوين ، فإن كان الاسم الأعجمي ثلاثيا اختلف الأمر ، واختلفت أقوال علماء العربية.

والطريف أن علماء العربية ـ مرة أخرى فرقوا بين ساكن الوسط ومتحرك الوسط ـ أي من الثلاثي ، كما حدث في التفرقة بين النسب إلى بنها ـ ساكن الوسط ـ و (بردي) متحرك الوسط ، وكما قلنا هناك ، السكون اختصار واختزال في عناصر الكلمة ومقاطعها ، التحريك على العكس من هذا ، ولذا اختلف الأمر.

ما تحرك وسطه من الاسم الأعجمي لا ينصرف ؟ طالت الكلمة قليلا ، إذ سكن الوسط انكمشت الكلمة قليلا ، ولذا صح تنوينها والزيادة عليها.

إذا فالقضية ليست في العجمة والعروبة ، وإنما في طول الكلمة وقصرها ، طول الكلمة يبرر حرمانها من التنوين ، حفاظا على ربعة الكلمة العربية واعتدالها ما بين الطول والقصر ، فإن كانت أميل إلى القصر ، أو قصيرة فلا يحذف منها ، هذا هو السبب والمبرر.

وننتقل من الاسم الأعجمي ، أو من العلم الأعجمي إلى العلم المؤنث ، شيوخنا دوما يقولون سبب المنع من الصرف العلمية والتأنيث ـ أو غيره ـ هذا المؤنث نجد فيه عجبا عجبا يوكد كل ما سبق ، كيف يا يرحمك الله ؟.

مرة أخرى من الأشموني [1] : المؤنث بالتاء ممنوع من الصرف مطلقا ، سواء كان مؤنثا في المعنى أم لا ، زائدا عن ثلاثة أحرف أملا ، ساكن الوسط أم لا ، مثل : عائشة ، طلحة ، هبة.

يا إلهي !! تاء التأنيث إذا جاءت ، مهما كان العلم المؤنث ، تأنيثه حقيقي أو مجازي زائد عن ٣ أم لا ، ساكن الوسط أم لا ، لم ولمه ؟ لأن تاء التأنيث عنصر زائد على الكلمة حتى عند الوقف هو موجود على شكل هاء ، وفي الوصل على هيئة التاء ، فإن زيد التنوين زادت الكلمة عن حدها وربعتها واعتدالها.

المؤنث المعنوي يشترط في منعه أن يزيد عن ٣ أحرف (زينب ـ سعاد) لماذا ؟ لأن الرابع بمنزلة تاء التأنيث ، عنصر زائد لعنصر تاء التأنيث.

ويعود الأمر إلى إسكان وسط الثلاثي أو تحريكه ، فيشترط في منع العلم الثلاثي المؤنث من التنوين أن يكون (متحرك الوسط) لأن الحركة قامت مقام العنصر الرابع الزائد ، أو مقام تاء التأنيث ، كماي في (سَقر) بتحريك القاف.

عدنا مرة أخرى إلى محرك الوسط وساكنه ، الحركة فيها زيادة ، السكون فيه انكماش واختصار ، كما شرحنا قبلا.

فكما أن العلم (الأعجمي) إذا كان ثلاثيا متحرك الوسط ، مثل (شَتَر) اسم قلقة ، فإن العلم المؤنث الثلاثي متحرك الوسط (سَقر) تنون أيضا ، لا بسبب العجمة أو العلمية ، ولكن بسبب حركة الوسط التي ناظرت العنصر الرباعي وتاء التأنيث أيضا ، فهي عنصر زائد على الكلمة يبرر حرمانها من نون التنوين الزائدة.

---

(١) ٣ / ٣٥٧.

وفي التنوين والمنع منه نضيف شيئا يشتبه على بعض الناطقين المتكلمين ، وهو جمع التكسير الممدود ، أي الذي ينتهي بألف مد بعده همزة ، وبما أن الهمزة جاءت مفردة على السطر ، هذا الجمع هل ينون أو لا ينون ، أو بمعنى أدق : متى ينون ، ومتى يمنع من الصرف ؟ ونجيب من خلال النحو الوظيفي للأستاذ عبد العليم[1] إبراهيم ، حيث جاء فيه :

جمع التكسير الذي يمنع من التنوين ، ليجر بالفتحة دون الكسرة يشترط فيه أن تكون الهمزة زائدة على آخره ، مثل (علماء - شرفاء) لا وجود للهمزة في المفرد ، أما الأصلية ، أي في المفرد ، مثل (عبء ← أعباء ، جزء ← أجزاء ، ضوء ← أضواء) أو المنقلبة عن أصل ، واوا كان أم ياء ، مثال الواوي ، أي الذي انقلبت واوه إلى همزة (عدو ← أعداء ، عضو ← أعضاء ، بهو ← أبهاء) ومثال الأصل اليائي (رأي ← آراء ، صدى ← أصداء).

معنى هذا أن التنوين ، وهو نون زائدة أيضا لم يزد على الزائد ، بل زيد على جمع التكسير إذا كانت أصلية أو منقلبة عن أصل ، فالتنوين هنا دل على أصالة الهمزة ، أو على تحولها وانقلابها عن أصل (واوا كان أو ياء) والمنع من التنوين دل على زيادة الهمزة ، كما في (علماء - وشرفاء) إذا المفرد في كليهما (عالم - شريف) لا همز في أصيلهما ولا المزيد ، ومن هنا كان للتنوين وغيابه وظيفة صرفية في تمييز نوع الهمزة نهاية الجمع ، هل هي زائدة فتمنع الكلمة من الصرف أو هي أصلية أو منقلبة عن أصل فتنون الكلمة.

ولكن - عزيزي - القارئ ألا تعود بنا القضية إلى زيادة الكلمة وطولها ، فلا شك عندي أن جمع التكسير ذا الهمزة الزائدة هو أكثر كمية في عناصره ومقاطعه

---

(١) ص ١١٥.

من الأمثلة ذات الهمزة الأصلية أو المقلبة ، بل إن كل الأمثلة تشي وتشير إلى طول الكلمة مع الزائدة ، وقصر الكلمة مع الهمزة الأصلية أو المنقلبة عن أصل.

كما ألاحظ شيئا آخر ، هو أن الأمثلة ذات الهمزة الزائدة كلها تأتي متحركة الوسط ، في حين تجد على العكس من هذا أن الأمثلة ذات الهمز الأصلي أو المنقلب عن أصل ساكن الوسط ، أو ساكن الثاني ، ولقد تأكدنا ـ سلفا ـ أن الإسكان نوع من الاختصار في الكلمة ، والتحريك على العكس زيادة في طول الكلمة ، عناصر ومقاطع.

قارن بين النوعين من الأمثلة :

الهمزة الزائدة	الأصلية	المنقلبة عن أصل
علماء	أضْواء	أغداء
شرفاء	أجْزاء	أعْضاء
سعداء	أغْباء	أصْداء

سكون الثاني اختصار واختزال على عكس تحريكه ، طول في الكلمة بزيادة عناصرها ومقاطعها ـ كما سلف ـ فضلا عن كون الهمزة الزائدة نفسها ـ أي في نهاية الكلمة ـ هي عبارة عن عنصر زائد عن الكلمة ، أو عنصر من عناصر طول الكلمة ، كما هو واضح للباده.

والآن طلة منا أو إطلالة على قواعد منع الأسماء المعربة من التنوين في بعض كتب [1] النحو ، لنلاحظ ما يلي :

أ ـ <u>من الأسماء المعربة التي لا تنون</u> :

- جمع التكسير : إذا جاء بعد ألفه الزائدة ـ لاحظ الزيادة ـ حرفان ، أو حرفان

(١) راجع كتابي (الصرف والنحو) ص٢١٠ ، وكتاب أحمد صفوت (الكامل ...) ٢ / ٢٨٢ .

بينهما ياء مد ، أو بدونها (مفاتح ومفاتيح ـ مساجد ومساجد ـ عصافر وعصافير) الطول واضح في الكلمة.

- الأسماء المختومة بألف التأنيث المقصورة والممدودة : مثل (جرحى - ذكرى) المقصورة ، ومثال الممدودة (صحراء ـ خضراء) وبطبيعة الحال فإن ألف التأنيث المقصورة زيادة على الكلمة ، وألف التأنيث الممدودة زيادة أخرى أكثر ، إنها عنصران (ألف المد + الهمزة) ليس عنصرا واحدا ، كما في الأسماء المقصورة.

العلماء أيضا يقسمون الأسماء المعربة الممنوعة من الصرف إلى قسمين أعلام وصفات ، وكلاهما له شروط ليمنع من الصرف ، الأمر ليس على إطلاقه ، بل سبق أن ذكرنا أن التأنيث وحده والعجمة وحدها ، كلاهما ليس بالكافي للمنع من الصرف ، بل لابد من زيادة على ٣ أحرف ، إذن فالقضية قضية زيادة وطول في الكلمة ، الحرمان من التنوين محاولة لكبح جماح الطول الزائد في الكلمة ، ولكن لا بأس من شيء من تفصيل للأعلام والصفات الممنوعة من الصرف ، على النحو التالي :

ب- الصفات : تأمل هذي الصفات التي تحرم من التنوين ، إنها :

- الصفة المزيدة بالألف والنون : لاحظ المزيدة بالألف والنون ، إذن القضية زيادة وطول ، مثل (سكران ـ ظمآن) الذي مؤنثه على وزن (فعلى) أي : (سكرى ـ ظمأى) وهلم جرا.
- الصفة على وزن الفعل : لأنها أشبهت الفعل ، مثل (أحمر ـ أخضر) شرط أن لا تقبل التاء ، مثل (عنده بنات أربع) فأربع ، أي مذكرها ، لذا لا تنون كلمة (أربع) لهذا السبب.

- الصفة التي يعدل بها إلى وزن آخر : كما في وزن (فعال أو مفعل) من الأعداد مثل : (أحاد - مثنى - رباع - مخمس) من الأعداد : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ التنوين جاء للدلالة على صيغ بعينها ، فالوظيفة هنا صرفية ، ودلالية أيضا لأن معنى الأمثلة السابقة بوزنيها (أحاد - موحد) هو : (واحدا واحدا - اثنين اثنين - أربعة أربعة - خمسة خمسة) وهكذا ، فالصيغتان نوع من الاختصار ، دل عليه اختصار آخر ، أو حذف لبعض الاسم المعرب ، وهو التنوين.

ومن الصفات التي عدل عن وزنها ، ودل التنوين على هذا العدول (أخر) جمع (أخرى) فإن العدول في هذا المثال وفي ألفاظ الأعداد نوع من الاختصار ، عبر عنه بالحذف والسلب ، وليس بإضافة عنصر جديد زائد عن الكلمة ، كما هو دأب العربية ، مما سيأتي تفصيله لاحقا في دستور اللغة العربية.

جـ - الأعلام : ومنها الأعلام الآتية التي منعت من الصرف :

- العلم المزيد : لاحظ المزيد بألف ونون (شعبان - عمران) زيادة واضحة في حجم الكلمة وعناصرها.
- العلم الأعجمي المؤنث : إن زاد عن ٣ أحرف على التفصيل الذي مر بنا (سعاد - زينب) (واشنطن - لندن).
- العلم المركب تركيبا مزجيا : (بعلبك - حضرموت) طول واضح ، ليس لكلمة واحدة ، وإنما كلمتان ، لاحظ هما كلمتان - ممتزجتان - لكن يلاحظ ويؤخذ في الاعتبار أن الجزء الأول ، مثل (بعل - حضر) مبني على الفتح ، والثاني (بك - موت) ممنوع من الصرف ، معرب إعرابه ، وإن كان بعض النحاة يرى أن يبنى الجزآن - الجزءان - على فتح جزأي الكلمة ، رأى لا بأس به ، وبالأخذ به لكنه يقود في النهاية إلى حرمان الكلمتين من التنوين ، من عصرين اثنين ، ما

يحد من طول الكلمة ، ليقودها إلى الربعة والاعتدال.

- العلم المختوم بألف الإلحاق المقصورة : الإلحاق معناه الزيادة ، أو أنها زائدة ، عنصر زيادة وطول في الكلمة ، وهي غير ألف التأنيث المقصورة ، كما نجدها في مثل (ذكرى - لبنى) لكن يجمع بين النوعين طول الكلمة والزيادة عليها ، ما يبرر حرمانها من التنوين ، على أي الأحوال فإن العلم المنتهي بألف مد مقصورة ملحقة ، أو قل جاءت للإلحاق : (ملقى) علم على بلد ، أو مكان ، هنا تمنع من الصرف.
- العلم الذي عدل عن وزنه : أو قل تعدل وزنه من (زافر - عامر) إلى : (زفر ← عمر) بضم الأول وفتح الثاني ، التنوين هنا له وظيفة صرفية ، وهي العدول عن الصيغة الأولى (فاعل) بكسر العين إلى (فُعَل) بضم ثم فتح.

لكن علينا قبل ترك التنوين أن نقول بضع ملاحظ ، هن :

أ - نحن نقر أن هناك من الأسباب التي تمنع الصرف غير ما سبق ، لقد ذهبنا إلى أن طول الكلمة وزيادة كميتها وعناصرها ما يسوق الاسم المعرب إلى حرمانه من التنوين ، هذا هو السبب الرئيس الذي يجمع الأغلبية الساحقة من أمثلة الممنوع من الصرف.

نعم كل هذا صحيح ، لكن هناك أسباب أخر تضاف إلى طول الكلمة ، نحاول الإشارة إليها ، ومنها :

ب- تنوين الاسم الممنوع من الصرف أو المبنى - حتى لو كان علما - يجعله نكرة ، فمن هذا (رب أحمدٍ كريم التقيته) أحمد : علم ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، لأنه على زنة الفعل ، أو كان قبل علميته فعلا ، لكنه عندما نون كان نكرة ، ليس معرفة.

ومثله (سيبويه) المبني على الكسر ، لو نون لكان نكرة ، ليس علما ، ليس سيبويه صاحب الكتاب ، واحد يشبهه في فقه العربية والتفاني في خدمتها ، فالتنوين له وظيفة نحوية ، هي الدلالة على التنكير ، وغيابه دلالة على التعريف.

جـ - العلم المؤنث على وزن (فعال) بفتح الفاء ، هذا العلم يبنيه الحجازيون على الكسر ، ويعربه التميميون ، لكن مع عدم تنوينه ، وغياب التنوين فيما ذكر له وظيفة صرفية يشير إلى صيغة خاصة بالعلم المؤنث.

د - إذا قلت في النداء (يا رجل) قصدت رجلا بعينه ، وهو ما سماه النحاة النكرة المقصودة ، أي التعريف ، وإن قلت (يا رجلا) بالتنوين ، قصدت أي رجل ، أو سمي بالنكرة غير المقصودة ، أي التنكير ، فالتنوين يشير إلى وظيفة التنكير ، وغيابه يدل على التعريف.

هـ - العلم الموصوف بابن لا ينون ، كيف ولمه ولم ولماذا ؟ لكثرة الاستخدام : ولارتباط العلم الصفة بالعلم الموصوف ، إنها علاقة أبوة وبنوة حقيقية ، فكأن العلاقة الوثيقة بينهما أشبهت العلاقة بين المضاف والمضاف إليه ، هذا المضاف الذي يحرم من التنوين لشدة ووثاقة العلاقة بينه وبين ما بعده ، أي المضاف.

على أي الأحوال تترك الإضافة إلى موضعها ، ونتحدث عن العلم الموصوف بابن (محمد بن عبد الله - علي بن أبي طالب) العلم الأول في المثالين ، أي (محمد - علي) لا ينونان ، حيث الثاني أب - وربما يكون جدا - للأول من ناحية الصلب ، فهنا التنوين له وظيفة دلالية ونحوية ، في الدلالة الإشارة إلى الأبوة الحقيقية والبنوة الحقيقية ، وفي النحو ، الأول صفة والثاني موصوف ، ولا فصم بين الصفة والموصوف ، كما لا فصم الأبناء والآباء.

لكن الأول إذا نون كانت الأبوة مدعاة وغير حقيقية ، وكان الأول مبتدأ ،

والثاني خبر ـ كما هو المنطق والمعتاد والوارد ـ يمكن أن يكون صادقا أو غير صادق ، ففي القرآن الكريم : (وقالت اليهود : عزيز ابن الله ...) في قراءة التنوين ، عزيز : مبتدأ ، ابن الله ، خبر ومضاف إليه ، وليس صفة وذلك للدلالة على زيف الادعاء وكذبه ، فعزير أو غيره ليس ابنا لله ، وكذا تكتب الألف في (ابن) مع التنوين ، كما تكتب في بداية السطر ، حتى لو كانت كلمة (ابن) صفة.

و- لا تجمع العربية بين أداتين متناقضتي الوظيفة ، أو ذواتي وظيفة واحدة كيف ؟ انظر :

التنوين والتعريف : لا تجمع العربية بين أداة التعريف في اسم معرب وبين التنوين ، هما أداتان متناقضتان ، ولذا لا يجتمعان في كلمة ، وكذا المضاف لا ينون مطلقا ، المضاف إليه المجرور دوما يمكن أن ينون (كتاب صرف ونحو مهين) كتاب مضاف لا ينون مطلقا ، أما المضاف إليه فينون إن كان نكرة ، كذا المعرف بأل (الصرف والنحو ليسا صعبين) الكلمتان (الصرف - النحو) لا ينونان البتة.

كذلك اتخذت العربية إجراء آخر في الإعراب ، هو أن الاسم الممنوع من الصرف ينصب ويجر بالفتحة (رأيت أحمد مررت بأحمد وأخيه) لكن عندما يكون الاسم المعرب معرفا بالألف واللام أو مضافا فإن العربية لا تفرق بين المصروف وغير المصروف ، هذه المعلوم في التنوين وغيابه لا محل لها من الإعراب هنا.

لذا فإن علينا أن نعلم أبناءنا أن المحلى بالألف والمضاف كليهما ينصبان بالفتحة ، ويجران بالكسرة ، ولا يشغل الطالب نفسه يكون الاسم المعرب منونا أو محروما من الصرف ، كلاهما واحد ، أي في الإعراب ، وهذا شيء منطقي في اللغة العربية.

٤ـ التـرخيم : ومـا أدراك مـا التـرخيم ، تـرى عنـه حـديثا مفـصلا فـي كتـب النحـو ومطولاتـه ، نتعرف سريعا علـى هذه الظـاهرة ، لنـصل منـه إلـى بغيتنـا وهـو أن الترخيم وغيره من العناصر الذي ذكرت هنا إنما هي وسائل وآليات للوصول إلى ربعـة الكلمـة والحيلولـة دون فـرط طولهـا ، وزيـادة كميتهـا عن الحد المعقـول ، وهذا هو التفصيل في موضوع الترخيم فنقول : حذف يطرأ على بعض الأسماء ، وهو المنـادى ، هذا الحذف أو الاختـزال لـه شـروط فصلها النحـاة تفصيلا ، علـى رأس هذه الشروط أن يزيد الاسم المرخم عن ثلاثـة أحرف ، أي أن يكون أربعـة فما فـوق ، إلا إذا كـان فيـه تـاء تأنيث فلا يشترط فيـه العلميـة ، ولا الزيـادة عن الثلاثة من أمثلته : (يا مالِ ـ يا حارِ ـ يا هرقْ) أو (يا مالُ ـ يا حارُ ـ يا هرقُ) بدل (يا مالكُ ـ يا حارثُ ـ يا هرقلُ).

ولا نخوض في تفاصيل إعرابه ، بل نحيل القـارئ إلـى المطـولات والموسـعات من كتب النحو ، فقط نذكر القارئ بإعرابين فقط ، هما :

الأول : أن نعامل المرخم كأنه لم يحذف منه شيء ، فيعرب كما كان قبل الترخيم (يا مالكُ) بضم الكاف ، ومرخمه (يا مالُ) بضم اللام أيضا ، وهـو مـا يسميه النحاة لغة من لا ينتظر ، أي يتوقع أن الكلمة انتهت ولم يعد لها تتمه.

الثاني : أن يحذف الحرف الأخير من المنـادي ، أو العنصر الأخير مـع حركتـه ـ أي الضمة ـ ويبقى الاسم المرخم على آخر حركة له ـ أو سكون ـ بعد الترخيم أو الحذف (يا مالِ) بكسر اللام ، وهو مـا يسمى علـى لغة مـن ينتظر ، أي أن نهاية الكلمة تشي بأن لها تتمة أخرى ، ينتظر ويتوقعها السامع أو القارئ.

الأشموني [1] يعطي تفصيلا أكثر في شرط الزيادة عن ٣ أحرف ، فيقول تحت عنوان شروط ترخيم المنادي : أولها أن يكون رباعيا فصاعدا ، فلا يجوز ترخيم الثلاثي ، سكن الوسط أو تحرك ، نحو (شمْس ـ حكم) بسكون الميم في الأول وفتح الكاف في الثاني.

وأجاز الفراء والأخفش ترخيم المحرك الوسط ، لكن ابن عصفور منع ترخيمه قولا واحدا ... انتهى.

أرأيت ـ عزيزي القارئ ـ كيف أن علماء العربية اتفقوا على منع ترخيم الثلاثي ساكن الوسط ، لكن إذا تحرك وسط اختلفوا في الترخيم أو المنع ، كما قلنا متحرك الوسط أطول وأكثر في عناصره ومقاطعه من ساكن الوسط ، إذن القضية هنا وفي كل ما سبق محاولة لكبح جماح الطول في الكلمة ، وإعادتها إلى ربعتها واعتدالها.

وانظر أيضا : إن العلماء تناقشوا في كثير من شروط الترخيم ، لكن في الطول اتفقوا على ترخيم الرباعي فما فوق ، إلا إذا كان الثلاثي متحرك الوسط ، ومع الأشموني أيضا ، إذ نقتبس منه :

ومن شروط الاسم المرخم أن يكون علما ، وأجاز بعضهم ترخيم النكرة المقصودة ، مثل (يا غضنفر ← يا غضنف) القضية قضية طول ، حتى المثال الذي جاء به الأشموني كان خماسيا مجردا ، كما ترى.

ليس هذا فقط ، أي ليس الحرف الأخير يمكن أن يحذف ، بل الذي قبله أيضا يمكن أن يحذف ، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الأخير يحذف بدون قيد ولا شرط ، أما الذي قبله فإنه يحذف ، لكن بشروط :

---

(١) ٣ / ٣٢٧ .

أ - أن يكون زائدا غير أصلي ، فإن كان أصليا بقى ، كما في (يا مختار ← يا مختا) لا يجوز حذف ما قبل الراء ، وهو ألف المد ، إذ الفعل (اختار يختار) فهو مختار.

ب- أن يكون من حروف (واي) فإن كان من غيرها ، أي إن كان حرفا صحيحا امتنع حذفه ، مثل (يا فرزدق ← يا فرزد) ولا يصح حذف الدال بعد حذف القاف ، حيث سيتكرر حذف نوع واحد ، هو الصوامت من الاسم.

جـ - أن يكون ساكنا غير متحرك ، أي ما قبل الآخر ، فإن كان متحركا فلا يحذف لأنه سيحاف على الكلمة ، حيث إن الصامت الساكن عنصر واحد ، في حين الصامت المتحرك عنصران ، الصامت + حركته.

د- أن يكون ما قبل الآخر رابعا فأكثر ، فإن كان ثالثا لم يجز حذفه ، وهنا رجعنا مرة أخرى إلى طول الكلمة ، فإن ما قبل الآخر لا يكون رابعا إلا إذا كانت الكلمة فارعة الطول ما يبرر حذف الآخر ، وما قبل الآخر أيضا.

ومن الأسماء التي استكملت شروط حذف ما قبل الآخر ، فضلا عن الآخر نفسه (يا أسماء - يا منصور ← يا أسمَ - يا منصُ) وهكذا.

وفي أوضح المسالك [1] حديث عما فيه تاء التأنيث الذي يختص بما يلي :

أ - لا يشترط في ترخيمه علمية ولا زيادة عن الثلاثي.

ب- يكتفي بحذف التاء فقط ، ولا يحذف شيء قبلها (يا سلافة ← يا سلاف).

ج- يشترط في إعرابه أن نبقى على الحركة التي قبل التاء كما هي ، نقول (يا حفصة ← يا حفصَ) بفتح الصاد ، ولا يصح في ترخيمه ، أي إعراب المرخم منه (يا حفصُ) بضم الصاد ، لم - يا يرحمك الله ؟ حتى لا يلتبس بنداء المذكر

(١) ٤ / ٦٦.

غير المرخم ، فإذا قلت : (يا حفصُ) قاصدا ترخيم (يا حفصة) فإن هذا يوهم ويلتبس بنداء رجل اسمع (حفص) غير مرخم ، هذا منطق العربية وحكمتها وعبقريتها ، أو قل : قل من كثر ونزر من بحر وغيض من فيوض العبقرية في لغتنا.

والشيء بالشيء يذكر ، فلا يعاب من أحد ولا ينكر ، إن عبقرية العربية تقول لك : لا يجوز ترخيم المستغاث ؛ لأن تطويل الصوت فيه مطلوب فيه ، والحذف ينافي هذا الغرض ، وتيك لوظيفة ، مثل : (يا لقومي - يا للرجال) لاحظ اللام قبل المستغاث (المنادي) مفتوحة ، هذا المنادي هنا لا يقبل الاختصار والاختزال ، لأن الاستغاثة تحتاج إلى التطويل في النطق وعدم الإسراع فيه حتى يؤدي الغرض منه ، وهو إسماع الآخرين أو الآخر ، المستغاث بهم ، المفزوع إليهم ، كما في (يا للأنصار - يا للمهاجرين).

وعندي طرفة بديعة من طرف العربية ، إنها ترخيم التصغير ، وما ذاك يرحمك الله ؟ تقول العربية : إن الكلمة إذا كانت طويلة وأردت تصغيرها فإنك تجد من لغتك مخرجا لطيفا غاية اللطف ، حيث تجرد الكلمة من الزيادة ، ثم تقوم بتصغيرها ، مثل : (محمود - نسابة) إنك ترجع الكلمتين إلى أصليهما لتقول (حميد) بزنة (فعيل) من (حمد) و (نسيب) فعيل من (نسب) أرأيت إلى هذي التحفة الرائعة التي تتحفنا بها العربية ، أيوجد هذا في لغة أخرى غير العربية ؟ كلا وألف كلا.

٥- <u>الحذف من الجموع</u> : إذا طالت ، انظر إلى العربية تقول :

- عصافير ← عصافر.
- مفاتيح ← مفاتح.
- ملاحيظ ← وملاحظ.

بل إن في العربية لغته بارعة ما يسرني أن بها حمر النعم ، أو النوق العصافير ، ما هي ، يا رعاك الله ؟ إن العربية تخيرك في الجمع ؟ في أي شيء تخيّرك ؟ في الحرف الذي تحذف ، إنها لا تخفف عن الكلمة طولها فقط ، بل تعطي الكاتب والمتكلم الحرية في حذف العنصر الذي يريد من المفرد عند الجمع ، ولا تلزمه بحذف حرف بعينه :

- فرزدق يجمع على (فرازق) بحذف الدال ، أو (فرازد) بحذف القاف.
- سفرجل ← سفارج ، أو سفارل.

والآن وصلت سفينة المادة الثلاثين من دستور العربية ، وما من به الباري من شروحات وإيضاحات ، كي تسلم الراية للمادة التالية من الدستور.

المحتويات